سنة بلا مذاهب

(١)

منابع الهداية الصافية

الأحاديث الواردة حول الكتاب والسنة وكيفية التعامل معهما

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

يحـاول هـذا الكتـاب ــ كسـائر أجـزاء السلسـلة ـ التمييز بين الأحاديث التي تتوافق وتتناسب مع المعـاني والحقائق القرآنية، وغيرها من الأحاديث التي استعملت وسيلة لضربها وتشويهها وتحريفهـا، سـواء مـا ورد من ذلك في المصادر السنية أو الشيعية.

وهو يقتصر على الأحاديث المرتبطة بمنابع الهداية الكبرى، والتي نص عليها قوله تعـالى: : {وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل: 44]

وهي تشير إلى أن رسول اللـه ﷺ كلـف بوظيفـتين مرتبطـتين بالهدايـة: إحـداهما نقـل الـوحي الإلهي كمـا أنزل إليه إلى أمته، والثانية بيانه وتوضيحه وشرح كيفية تنفيذه.

وبذلك، فإن الأحـاديث الـواردة في هـذا البـاب في المصادر الحديثية المختلفة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

أولهما: الأحــاديث الــواردة في فضــل القــرآن الكـريم، وبيـان ضـرورة اتباعـه، وأنـه لا يمكن التحقـق بالإسلام إلا من خلاله.

ثانيهما: الأحــاديث الــواردة في فضــل الســنة المطهـرة، وأنهـا لا تقـل عن القـرآن الكـريم من حيث وجوب الاتباع، ولو أنها تليه عند التنازع.

سنة بلا مذاهب

(1)

منابع الهداية

الصافية

الأحاديث الواردة حول الكتاب والسنة وكيفية التعامل معهما

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1441 ـ 2019

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة السلسلة

تحاول هذه السلسلة أن تكون موسوعة شاملة لكل الأحاديث التي اصطلحنا على تلقيبها بـ [الأحاديث المقبولة]، وهي الموافقة للقرآن الكريم والعقل والفطرة والواقع، بغض النظر عن مدى صحتها سندا.

ولذلك؛ فإن انتقاءنا لها ليس قائما على أساس الدراسة السندية، والتي قد يقع الخلاف الشديد فيها، وإنما هو قائم على أساس دراسة المتون، وتحليل معانيها، وبيان مدى موافقتها للقرآن الكريم، والقيم التي جاء بها.

وأما غيرها مما لا نرى موافقته لها، فقد خصصنا لها مباحث ومطالب خاصة، تذكرها، وتبين سر رفضنا لها، مع ذكر المصادر التي وردت فيها.

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد جمعنا في هذه الموسوعة أكبر عدد من الأحاديث الواردة في المصادر المختلفة للسنة النبوية بغض النظر عن الطائفة التي تنتمي إليها.. ذلك أن السنة المقبولة الموافقة للقرآن الكريم فوق الطوائف والمذاهب.. ولذلك تعاملنا معها مثل التعامل مع القرآن الكريم، والذي هو فوق الطوائف والمذاهب، ولهذا سميناها [سنة بلا مذاهب]

بالإضافة إلى ذلك كله، حاولنا تصنيف الأحاديث بحسب مواضيعها إلى ما يتناسب مع الواقع الفكري الجديد الذي نعيش فيه، وذلك على خلاف التصنيفات السابقة، والتي كانت تخضع إلى الأبواب الفقهية أو العقدية أو غيرها.

وقد خصصنا جزءا من السلسلة لكل تصنيف يشمل مواضيع ذات روابط واحدة، وذلك حتى لا يتحول الكتاب إلى أجزاء يصعب التعامل معها إلا للمختصين؛ فهذه السلسلة موجهة لعامة الناس، وليس للمتخصصين فقط، ذلك أنها تحاول أن تقرب إليهم السنة النبوية، وبطريقة بسيطة.

بالإضافة إلى ذلك كله، حاولنا أن نجيب عن الشبهات المرتبطة ببعض الأحاديث التي يصعب تقبلها أو فهمها، لنبين مدى موافقتها للعقل والفطرة السليمة.

بناء على هذا كله وضعنا مجموعة ضوابط لقبول الأحاديث أو رفضها، وهي تتمثل في الضوابط السبعة التالية:

أولا. قبول كل المصادر الحديثية:

مهما كانت مدرستها، ذلك أن السنة النبوية أعظم من أن تحتكرها أي طائفة من الطوائف؛ فهي ـ مثل القرآن الكريم ـ حق الأمة جميعا، ولهذا وجب احترام كل كتاب يتضمن أحاديث رسول الله ﷺ حتى لو لم يكن فيه إلا حديث صحيح واحد، ذلك أن ذلك الحديث الواحد لا يختلف عن الآيات القرآنية في قدسيته ووجوب تعظيمه.

ولهذا أنكرنا في مواضع كثيرة على من يتجرأ على كتب الحديث بمدارسها المختلفة.. كصحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرها من كتب الحديث في المدرسة السنية.. أو كتاب الكافي في الأصول والفروع للكليني، أو تهذيب الأحكام والاستبصار للطوسي، أو من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق.. وغيرها من كتب الحديث في المدرسة الشيعية.. أو مسند الربيع بن حبيب في المدرسة الإباضية.

فكتب الحديث هي المحال التي جمع فيها الحديث بصحيحه وضعيفه وموضوعه، ولذلك من الخطأ الكبير أن نسيء إلى مصدر كاملا للحديث النبوي بسبب بعض الأحاديث المردودة فيه.. بل لو لم يصح من كتاب كامل إلا حديث واحد لكان من الأدب مع رسول الله ﷺ أن نحترم ذلك الكتاب.

لهذا فإننا في هذه السلسلة في حال ردنا لبعض الأحاديث لا نتهم المصنفين، ولا الرواة؛ فذلك ليس من شأننا، وإنما نردها بناء على عدم موافقتها للأصول التي جاءت بها الشريعة، ونكل رواتها إلى الله تعالى، بل إننا لا نتعرض لهم أصلا؛ فقد اكتفينا في أكثر أحاديث السلسلة بذكر الأحاديث دون ذكر رواتها، وإنما نقتصر على ذكر مصادرها في الهوامش.

وأعيد هنا ما ذكرته في بعض كتبي من أن ردي لبعض الأحاديث الواردة في المصادر الحديثية المختلفة (ليس ناشئا عن اعتقادي أن رسول الله ﷺ قالها أو فعلها؛ فذلك عين الضلال، بل عين الكفر؛ فمن يتجرأ على تكذيب رسول الله ﷺ لا يبقى له من الإسلام شيء.. ومثل ذلك فإني لا أتهم الصحابي الذي روى الحديث، لأن الحديث لم نسمعه من الصحابة مباشرة، وإنما ورد إلينا عن طريق طويل قد يختلط فيه الحابل بالنابل، والمحق من المبطل.. ومثل ذلك لا أتهم صاحب الكتاب

الـذي ورد فيـه الحـديث، لأن أكـثر المحـدثين كـانوا يجمعـون الأحـاديث، ويـتركون المواقـف منهـا ومن فهمهـا للفقهـاء والمفسرين وغيرهم.. ومثل ذلك لا أتهم أي راو من الرواة بأنـه هو من وضع الحديث لأن ذلك غيب.. والله أعلم به) [1]

وقد ذكرت فيه أن كل الذي أفعله هو أني أعرض الحـديث على القرآن الكـريم والفطـرة الصـافية، والعقـل السـليم. فـإن وجدت الحديث موافقا لها، قلت به، وصدقته حتى لو كان راويـه متهما بالضعف، وكل حديث مخالف لذلك أنكرته ونقدته حتى لو كان الراوي قد وُثّق من الجميع..

وسبب ذلك هو اعتقادي أنه من الصعوبة، بـل من المحـال التوثيق المطلق والتضـعيف المطلـق لأي راو، فقـد قـال تعـالى لرسـول اللــه ﷺ في شـأن المنـافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَـوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْـرَابِ مُنَـافِقُونَ وَمِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَـةِ مَـرَدُوا عَلَى النِّفَـاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: 101]، فإن كـان رسـول اللـه ﷺ يخفى عليه ـ بحسب الآية الكريمة ـ بعض المنـافقين، فكيـف لا يخفى على ابن معين أو ابن أبي حاتم أو البخـاري بعض الـرواة الذين تسللوا لكتب الحـديث، ليجعلوهـا وسـيلة لتحريـف الـدين وتشويه قيمه.

ثانيا. استبعاد الأحاديث الموقوفة على الصحابة:

والتي يذكرونها بنـاء على اجتهـادهم، أمـا تلـك الـتي تشـبه الأحاديث المرفوعة لرسول الله ﷺ، والتي يـذكر العلمـاء عـادة أن لها حكم الرفع؛ فإنا نضمها إلى المرفوعات إلى رسول اللـه ﷺ، وذلك لاعتبارين:

أولهما: أن مفهوم الصحبة طرأ عليه ما طـرأ على الكثـير من القضايا، حيث تحولت ـ بسبب الخلاف مع الشيعة خصوصا ـ إلى نوع من القداسة التي لم يدل الـدليل عليهـا، لا من القـرآن الكريم، ولا من السنة، ولا من الفطرة السليمة.

ذلك أن مفهوم الصـحبة ـــ حسـبما اتفـق عليـه البشـر ـــ لا يقصد منه إلا ذلك الذي داوم على التواصل مع صـاحبه، وعـرف الكثير عنـه، بحيث يمكن الاسـتفادة منـه عنـد محاولـة التعـرف عليه، أما ذلك الذي لم يحظ بهـذا النـوع من الصـحبة، فلا يمكن تلقيبه بها.

وللأسف، نجد المؤرخين للصحابة يضعون كل قـوم رسـول

[1] رسول الله والقلوب المريضة (ص: 9)

الله ﷺ من بينهم، وكيف لا يفعلـون ذلـك، وقـد عـرف البخـاري الصحابي: (بأنه من صـحب النـبي ﷺ أو رآه من المسـلمين)[1]، ومثله علي بن المديني الذي يذكر (بأنه من صـحب النـبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار)[2]، ومثلهمـا الإمـام أحمـد الـذي عـرف الصحابي بأنه (كل من صحبه سنةً أو شهراً أو يوماً أو سـاعةً أو رآه فله من الصحبة على قدر مـا صـحبه وكـانت سـابقته معـه، وسمع منه، ونظر إليه)[3]

ومثلهم جميعا ابن تيمية الـذي عـرف الصـحبة بأنهـا (اسـم جنس تقـع على من صـحب النـبي ﷺ سـنةً أو شـهراً أو يومـاً أو ساعةً أو رآه مؤمناً، فله من الصحبة بقدر ذلك فقد علـق النـبي ﷺ الحكم بصحبته وعلق برؤيته، وجعل فتح الله على المسلمين بسـبب من رآه مؤمنـاً بـه. وهـذه الخاصـية لا تثبت لأحـدٍ غـير الصحابة؛ ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه ﷺ)[4]

وهذا مخالف للقرآن الكـريم؛ فاللـه تعـالى أثـنى فيـه على المهـاجرين والأنصـار، والسـابقين الصـادقين غـير المغـيرين ولا المبدلين، ولم يثن على كـل من رأى رسـول اللـه ﷺ، أو أسـلم متأخرا، ولم يظفر بشرف الصحبة الطويلة، أو كان من الطلقاء الذين لم يسلموا إلا بعد أن رأوا انتصارات رسول الله ﷺ.

ثانيهما: أن هنـاك خلافـا بين أعلام المدرسـة السـنية في مـدى قبـول قـول الصـحابي، ومن الأقـوال الـتي حكيت في ذلك[5]:

القـول الأول: أن قـول الصـحابي حجـة، وهـو القـول المنسوب للإمام مالك والشافعي في القـديم، وأنكـر ابن القيم أن يكون للشافعي قولاً جديـداً غـيره، وهـو القـول الـذي ذكـره الشافعي في كتاب اختلافه مع مالك وهو من كتبه الجديدة كمـا ذكر العلائي وهو إحدى الروايتين عن أحمـد أومأ إليهـا في عـدة روايـات، واختـاره من الحنابلـة القاضـي أبـو يعلى وابن القيم وانتصـر له في كتابـه إعلام المـوقعين، ونسـب هـذا القـول

1() صحيح البخاري 4/188.
2() انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى 1/243.
3() تحقيق الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، ص 30 -35.
4() انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 4/ 464.
5() انظر: مختصر حجية قول الصحابي وأثرها في المسائل الفقهيـة، أحمـد الجميلي، ص2.

السرخسي للحنفية.

القـول الثـاني: أن قــول الصــحابي ليس بحجــة، وهو الروايـة الثانيـة عن أحمـد أومـأ إليـه في روايـة أبي داود، وهـو المشهور عن الشافعية أنه قول الشافعي في الجديد، وهو قول أكــثر أتباعــه كــالغزالي والآمــدي، وبهــذا قــال بعض الحنفيــة كالكرخي والدبوسي، وهو قول أهل الظاهر والمعتزلة.

القول الثالث: أن قول أحد الخلفاء الأربعـة فقـط حجـة وأما بقية الصحابة فليس قولهم حجة.

القول الرابع: أن قـول أبي بكـر وعمـر حجـة دون بقيـة الصحابة.

القــول الخــامس: أن قــول الصــحابي حجــة إذا وافق القيـاس، وأشـار إليـه الشـافعي في الرسـالة فيمـا إذا اختلفت أقوال الصحابة ونسبه إليه الباقلاني في الجديد نقلاً عن المزني كمــا نســبه إليــه القاضــي حســين وابن القطــان واختــاره ابن القطان.

القـول السـادس: أن قـول الصـحابي حجـة إذا خـالف القياس، وبه قال الغزالي في المنخول وابن برهان في الوجيز.

وقد رد الشـوكاني على من يقـول بحجيـة قـول الصـحابي بشدة، وذلـك بعـد إيـراده الخلاف في (قـول الصـحابي هـل هـو حجـة أم لا؟)، فقـد قـال: (والحـق: أنـه ليس بحجـة، فـإن اللـه سبحانه لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبينا محمدا ﷺ، وليس لنـا إلا رسول واحد، وكتاب واحد، وجميـع الأمـة مـأمورة باتبـاع كتابـه، وسنة نبيـه، ولا فـرق بين الصـحابة وبين من بعـدهم، في ذلـك، فكلهم مكلفـون بالتكـاليف الشـرعية، وباتبـاع الكتـاب والسـنة، فمن قال: إنها تقوم الحجة في دين اللـه عـز وجـل بغـير كتـاب الله، وسنة رسـوله، ومـا يرجـع إليهمـا، فقـد قـال في دين اللـه بمالم يثبت، وأثبت في هذه الشريعة الإسـلامية شـرعا لم يـأمر الله به، وهذا أمر عظيم، وتقول بالغ، فمن حكم لفـرد أو أفـراد من عباد الله بأن قوله، أو أقـوالهم حجـة على المسـلمين يجب عليهم العمل بها وتصير شرعا ثابتا متقررا تعم به البلوى، مما لا يدان الله عز وجل به، ولا يحل لمسلم الركون إليـه، ولا العمـل عليه، فإن هـذا المقـام لم يكن إلا لرسـل اللـه، الـذين أرسـلهم بالشرائع إلى عباده لا لغيرهم، وإن بلـغ في العلم والـدين عظم

المنزلة أي مبلغ)[1]

ثم ختم بقوله: (فاعرف هذا، واحرص عليه، فإن الله لم يجعل إليك وإلى سائر هذه الأمة رسولا إلا محمدا ﷺ، ولم يأمرك باتباع غيره، ولا شرع لك على لسان سواه من أمته حرفا واحدا، ولا جعل شيئا من الحجة عليك في قول غيره، كائنا من كان)[2]

ثالثا. قبول الاحاديث المروية عن أئمة الهدى:

وذلك للاعتبارات التالية:

1. أن جميع الأمة متفقة على اعتبارهم جميعا من الأئمة والعلماء والصالحين، وأنهم أولى الناس بلقب [العترة الطاهرة]، و[آل بيت النبوة]، ولم يخالف في ذلك إلا النواصب الذين تتفق الأمة على بدعيتهم وضلالهم.

2. أن الشيعة يعتبرون أحاديث أئمة الهدى تابعة للسنة النبوية، إما مباشرة، لكونهم كانوا يذكرون أحاديثه من دون رفعها إليه ﷺ، مثلما كان يفعل الكثير من الصحابة، كما ذكر ذلك الإمام الصادق في قوله: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين، وحديث أميرالمؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عزّوجلّ)[3]

وروي أنه قيل له: (أسمع الحديث فلا أدري منك سماعه أو من أبيك؟)، قال: (ما سمعته مني فاروه عن رسول الله ﷺ)[4]

وقال: (والله لولا أنّ الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا)[5]

وقيل له: (بأي شيء يفتي الإمام؟)، قال: بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتاب؟.. قال: بالسنّة، قيل: فما لم يكن في الكتاب والسنّة؟.. قال: (ليس شيءٌ إلا في الكتاب والسنّة)[6]

1() إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ج2، ص188.

2() المرجع السابق، ج2، ص189.

3() بحار الأنوار (2/ 179)

4() بحار الأنوار: 2/161.

5() بحار الأنوار: 2/173.

6() بحار الأنوار (2/ 175)

وقال: (عجبا للناس يقولون: أخذوا علمهم كله عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به، ونحن أهله وذرّيّته، في منازلنا أنزل الوحي، ومن عندنا خرج إلى الناس العلم أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟!.. إنّ هذا محال)[1]

وقبله قال الإمام الباقر: (يا جابر.. لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[2]

وقال: (إنّا على بيّنة من ربنا، بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيه لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)[3]

وقال: (إنّ رسول الله ﷺ دعا عليا في المرض الذي توفي فيه فقال: (يا علي.. ادن مني حتى أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ، وأئتمنك على ما ائتمنني الله عليه، ففعل ذلك رسول الله ﷺ بالإمام علي، وفعله الإمام علي بالإمام الحسن، وفعله الإمام الحسن بالحسين وفعله الحسين بأبي، وفعله أبي بي)[4]

3. ما ورد في الحديث الذي يشير إليهم، ويوصي بسنتهم على اعتبار أنها امتداد لسنته، وهوقوله ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة)[5]

ولا يصح تطبيق الاصطلاح التاريخي لـ [الخلفاء الراشدين] هنا، لأن الخلافة المقصودة هنا مشترطة بما ورد في الأحاديث الأخرى من شروط، وأولها كونهم من العترة التي أوصى بها رسول الله ﷺ، كما سنرى ذلك بتفصيل في الجزء الثاني من هذه السلسلة.

بالإضافة إلى ذلك، فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)؛ وذلك يدل على أن هؤلاء الخلفاء

1() بحار الأنوار: 2/179.
2() بحار الأنوار: 2/172.
3() بحار الأنوار: 2/173.
4() بحار الأنوار: 2/174.
5() رواه أبو داود (2/ 611) حديث (4607)، والترمذي (5/ 44) حديث (2676)

الراشدين سيظهرون عند الاختلاف والفرقة والفتنة، وهو يشير إلى إعراض الناس عنهم، ولذلك دعا إلى التمسك بهم، وهو على خلاف ما كان عليه الخلفاء التاريخيين الثلاثة الذين كان الأمر بأيديهم.

رابعا. عرض الأحاديث على القرآن الكريم:

وذلك ليس تهوينا أو إنزالا من قيمة السنة النبوية، أو عدم اعتبارها، فهي صنو القرآن الكريم، ولكنا نفعل ذلك بناء على الاعتبارات التالية:

1. قطعية ثبوت القرآن الكريم:

ذلك أن القرآن الكريم قطعي الثبوت، بسبب تواتره، واتفاق الأمة عليه، بخلاف ما ورد من روايات في السنة المطهرة؛ فأكثرها ورد عن طريق الآحاد، ولهذا يمكن أن يكون فيها الضعيف والموضوع، حتى لو ورد عن طريق من نعتبرهم ثقاة؛ وذلك لأنه يمكن أن يدلسوا أو يخطئوا أو يسهوا.. أو يتستروا بالوثاقة ليدسوا في الدين ما ليس منه.

ولهذا؛ فإن رد الأحاديث بسبب مخالفتها للقرآن الكريم ليس ردا للحديث نفسه، وإنما هو تكذيب لرواته، بناء على استحالة مخالفة رسول الله ﷺ لما أوحي إليه.

2. ما ورد في مركزية القرآن الكريم ومرجعيته:

ذلك أن الله تعالى اعتبر [الكتاب] هو المرجع الذي يصير إليه المؤمنون عند التنازع، ولذلك إن حصل الخلاف بين الحديث والقرآن، كان القاضي هو القرآن الكريم.

وقد اعتبر الله تعالى هذا قانونا في جميع الأديان، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213]

وأنكر على المخالفين لهذا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: 23]

وأشار إلى أن ما حصل من تبديل وتحريف للأديان كان بسبب تعطيل الكتب، والاكتفاء بتلاوتها مع عدم تفعيل ما فيها، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [البقرة: 113]

وهكذا دعا هذه الأمة إلى تحكيم كتابها في كـل خلاف تقـع فيه، قال تعالى: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [الشورى: 10]

بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر أن دور رسول الله ﷺ مرتبـط ببيان القرآن الكريم، إما عبر تأكيد مـا ورد فيـه، أو بيـان كيفيـة تنفيذه، وبذلك فإنه يستحيل أن يتعارض الشـرح مـع المشـروح، لأن كليهمـا وحي إلهي، وقـد قـال اللـه تعـالى: أَفَلَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًـا كَثِـيرًا [النساء: 82]

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قـال: كـان قـومٌ على باب رسـول اللـه ﷺ يتنـازعون في القـرآن، فخـرج عليهم يومـا متغيرا وجهـه فقـال: (يـا قـوم، بهـذا أهلكت الأمم، وإن القـرآن يصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض) [1]

3. مـا ورد من الحـديث في عـرض الحـديث على القرآن الكريم:

وهي موجودة في المصـادر السـنية والشـيعية، وسـنوردها هنا، مع بيان موقف العلماء منها:

أ ـ ما ورد في المصادر السنية:

من الأحاديث الواردة في المصادر السنية، والتي تدعو إلى عـرض الحـديث على القـرآن الكـريم، إمـا صـراحة، أو إشـارة وإيماء:

[الحديث: 1] قوله ﷺ: (إن الحـديث سيفشـو عـني، فمـا أتاكم عني يوافـق القـرآن فهـو عـني، ومـا أتـاكم عـني يخـالف القرآن فليس عني)[2]

[الحديث: 2]ـ قوله ﷺ: (ما جاءكم عـني فاعرضـوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله)[3]

[الحديث: 3]ـ قوله ﷺ: (إني والله لا يمسك النـاس علي بشيء إلا أني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابـه ولا أحـرم إلا مـا حرم الله في كتابه)[4]

1()رواه الطبراني في (الأوسط) 3/227 (2995)

2() البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (1/ـ 9) ورواه ابن المقرئ في معجمـه، (3/ 239)

3() رواه البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (1/ 116)

4() رواه الشافعي في مسنده، (1/ 129)، رقم (116)، والبيهقي في (معرفة السنن

[الحـديث: 4]ـ قولـه ﷺ: (سـتكون علي رواة يـروون الحـديث، فأعرضـوا القـرآن، فـإن وافقت القـرآن فخـذوها وإلا فدعوها) [1]

[الحديث: 5]ـ قوله ﷺ: (سيأتيكم عني أحـاديث مختلفـة، فما جاءكم موافقًا لكتاب الله ولسنتي فهو مني) [2]

[الحديث: 6]ـ قوله ﷺ: (إني سألت قوما من اليهـود عن موسى فحدثوني حتى كذبوا عليـه، وسألت قومـا من النصـارى عن عيسى فحـدثوني حـتى كـذبوا عليـه، وإنـه سـيكثر عليَّ من بعـدي كمـا كـثر على من قبلي من الأنبيـاء، فمـا حـدثتم عـني بحديث فـاعتبروه بكتـاب اللـه، فمـا وافـق كتـاب اللـه فهـو من حديثي، وإنما هدى الله نبيـه بكتابـه، ومـا لم يوافـق كتـاب اللـه فليس من حديثي) [3]

[الحـديث: 7]ـ قولـه ﷺ: (سـئلت اليهـود عن موسـى فـأكثروا وزادوا ونقصـوا حـتى كفـروا، وسـئلت النصـارى عن عيسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصـوا حـتى كفـروا، وإنـه سيفشـو عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرأوا كتاب الله واعتـبروه، فما وافق كتاب اللـه فأنـا قلتـه ومـا لم يوافـق كتـاب اللـه فلم أقله) [4]

[الحديث: 8] قوله ﷺ: (ألا إن رحى الإسلام دائرة)، قيل: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: (اعرضوا حـديثي على الكتـاب فما وافقه فهو مني وأنا قلته) [5]

[الحديث: 9]ـ قوله ﷺ: (إنه سـيأتي نـاس يحـدثون عـني حديثا، فمن حدثكم حديثا يضارع القرآن فأنا قلتـه، ومن حـدثكم حديثا لا يضارع القرآن فلم أقله) [6]

[الحديث: 10] قوله ﷺ: (أيما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتـاب اللـه فـاقبلوه، وأيمـا حـديث بلغكم عـني لا تجـدون في القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه) [7]

والآثار)، (3/ 360)، رقم (1155)

1() تاريخ ابن عساكر 55/77.

2() الكفاية في علم الرواية 1/130، وسنن الدارقطني 4/208.

3() مسند الروياني2/255.

4() الطبراني12/316 رقم13224.

5() المعجم الكبير2/97.

6() رواه البيهقي كما في [مفتاح الجنة للسيوطي1/22].

7() رواه البيهقي كما في [مفتاح الجنة للسيوطي1/22].

ومن الأحاديث الموقوفة على الصحابة في هذا ما روي عن معاذ أنه قال: (إنه يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبي، والرجل فيقول الرجل قرأت القرآن فلم أتبع، ثم يقوم به فيهم فلا يتبع، ثم يحتظر في بيته مسجدا فلا يتبع، فيقول قد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فلم أتبع، واختظرت في بيتي مسجدا فلم أتبع، والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسوله لعلي أتبع)، قال معاذٌ: (فإياكم وما جاء به فإنه ضلالةٌ) (1)

بالإضافة إلى هذا؛ فقد وردت الشواهد الكثيرة التي تؤيد تلك الأحاديث، ومنها ما روي عن معاذ بن جبل أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الفتنة فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب: فما المخرج منها؟ قال: (كتاب الله فيه حديث ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وفصل ما بينكم من يتركه من جبار يقصمه الله، ومن يبتغ الهدى من غيره يضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لما سمعته الجن، قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن: 1، 2]، وهو الذي لا تختلف به الألسن، ولا يخلقه كثرة الرد) (2)

ومنها ما روي من رد الصحابة لبعض الأحاديث لمخالفتها القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك ما روي من رد عائشة ما رواه أبو هريرة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار)، فردت عليه بغضب شديد، وصفه الراوي بقوله: (فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض)، ثم قالت: (والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: (كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]) (3)

ومنها ما روي عن رد عائشة لحديث ابن عمر الذي يقول

1() رواه الدارمي (199)

2() أمالي أبي طالب ص 250، وحلية الأولياء 5/253، ومصنف ابن أبي شيبة 6/125رقم30007، ومسند البزار 3/72.

3() رواه أحمد: 6/ 150 وفي 6/ 240 وفي 6/ 246..

فيـه: (إن الميت ليعـذب ببكـاء أهلـه عليـه)، حيث قـال: وهـل ـ يعني ابن عمر ـ إنمـا مـر رسـول اللـه ﷺ على قـبر فقـال: (إن صاحب هذا القبر ليعذب وأهلـه يبكـون عليـه) ، ثم قـرأت قولـه تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: 164]) [1]

ومنهـا مـا روي عن أبى إسـحاق قـال: كنت فى المسـجد الجـامع مـع الأسـود بن يزيـد ومعنـا الشـعبى فحـدث الشـعبى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبى ﷺ لم يجعـل لهـا سـكنى ولا نفقة فقال الأسـود: أتت فاطمـة بنت قيس عمـر ابن الخطـاب فقال: (ما كنا لندع كتاب ربنا وسـنة نبينـا لقـول امـرأة لا نـدرى أحفظت أم لا، المطلقة ثلاثا لها السكنى والنفقة) [2]

وهو يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنّ مِن بُيُوتِهِنّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ﴾ [الطلاق:1]

وللأسف؛ فإن كبار أعلام المدرسة السـنية لم يفعّلـوا هـذه الأحاديث، بل اتهموا الأحاديث الداعية إلى عـرض الحـديث على القرآن، وذلك ما جعلهم يقعون أحيانا كثيرة في تقـديم أحـاديث آحاد على القرآن الكريم نفسه، ونسخه، بل تعطيله بسببها، كما سـنرى ذلـك في كـل أجـزاء السلسـلة عنـد ذكـر الأحـاديث المردودة.

ومن أقـوالهم في رفض هـذا الاعتبـار، والأحـاديث الـتي تسانده قول ابن بطة ـ بعد عرض بعض تلك الأحـاديث ــ: (قـال ابن الساجي: قال أبي رحمه الله: هذا حديث موضوع عن النبي ﷺ قـال: وبلغـني عن علي بن المـديني، أنـه قـال: ليس لهـذا الحديث أصل، والزنادقة وضعت هذا الحديث)[3]

ثم علـق على ذلـك بقولـه: (وصـدق ابن السـاجي، وابن المـديني رحمهمـا اللـه، لأن هـذا الحـديث كتـاب اللـه يخالفـه، ويكذب قائله وواضعه، والحديث الصحيح، والسـنة الماضـية عن رسول الله ﷺ ترده قـال اللـه عـز وجـل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُـونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجًـا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، والذي أمرنـا اللـه عـز وجـل أن نسـمع ونطيـع، ولا نضـرب لمقالتـه عليـه السـلام

1() أبـو داود (3129) ، والنسـائي في المجتـبى4/17، والطـبراني في الكبـير (13262).

2() الدارمى (2/218، رقم 2274) ، وأبو داود (2/288، رقم 2291).

3() الإبانة الكبرى لابن بطة (1/ 266)

المقـاييس، ولا نلتمس لهـا المخـارج، ولا نعارضـها بالكتـاب، ولا بغـيره، ولكن نتلقاهـا بالإيمـان والتصـديق والتسـليم إذا صـحت بذلك الرواية) [1]

وقال ابن عبد البر: (وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه وقد عـارض هـذا الحـديث قـوم من أهل العلم فقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتـاب اللـه قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفا لكتاب الله؛ لأنـا لم نجـد في كتـاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافـق كتـاب اللـه، بل وجدنا كتاب اللـه يطلـق التأسـي بـه والأمـر بطاعتـه ويحـذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال)[2]

لكن هنـاك من قبلهـا؛ فمن أعلام الحنفيـة القـائلين بهـذا السرخسي الذي احتج بحديث العرض، وقال: (إذا كان الحــديث مخالفا لكتاب الله تعالى فإنـه لا يكـون مقبـولا ولا حجـة للعمـل به.. فالكتاب متيقن به، وفي اتصال الخبر الواحـد برسـول اللـه ﷺ شبهة، فعنـد تعـذر الأخـذ بهمـا لا بـد من أن يؤخـذ بـالمتيقن ويترك ما فيه شبهة) [3]

وقال الجصاص: (فمن العلل التي يرد بها أخبار الآحاد عنــد أصـحابنا مـا قالــه عيســى بن أبـان: ذكــر أن خــبر الواحــد يــرد لمعارضته السنة الثابتة إياه، أو أن يتعلق القرآن بخلافه فيمــا لا يحتمل المعاني) [4]

وقال السمعاني: (ذهب جماعة من أصحاب أبي حنيفة إلى أنــه يجب عــرض خــبر الآحــاد على الكتــاب، فــإن لم يكن في الكتاب ما يدل على خلافه قبل وإلا فـيرد، وذهب إلى هـذا كثـير من المتكلمين) [5]

وقال أبو المحاسن الحنفي: (والحاصل أن الحديث المروي إذا وافق الشرع وصدقه القرآن وجب تصديقه) [6]

ومن أعلام الشافعية إمـام الحـرمين الجويـني الـذي قـال: (إذا تعارض ظاهران أحدهما منقول تواترا،والآخر منقول آحــادا؛

1() الإبانة الكبرى لابن بطة (1/ 266)
2() جامع بيان العلم وفضله (4/17)
3() أصول السرخسي1/365، 2/68.
4() الفصول في الأصول 3/113.
5() قواطع الأدلة1/365.
6() معتصر من المختصر2/384.

فـالمتواتر يقـدم، فليكن الأمـر كـذلك في تقـديم الكتـاب على السنة) (1)

وقال أبو إسحق الشيرازي: (إذا روى الخـبر ثقـة رد بـأمور ذكر منها: أن يخـالف نص كتـاب أو سـنة متـواتر،ة فيعلم أنـه لا أصل له أو منسوخ) (2)

وقال الشاشي: (شرط العمل بخبر الواحد ألا يكون مخالفا للكتاب والسنة المشهورة)(3)

وقـال النـووي: (ومـتى خـالف خـبر الآحـاد نص القـرآن أو إجماعا وجب ترك ظاهره)(4)

ومن أعلام المالكيــة الشــاطبي، فقــد قــال: (إن الكتــاب مقطوع به، والسنة مظنونة، والقطع فيها إنّما يصحّ في الجملــة لا في التفصـيل، بخلاف الكتـاب، فانـه مقطـوع بـه في الجملـة والتفصيل، والمقطوع به مقدّم على المظنـون، فلـزم من ذلـك تقديم الكتاب على السنة) (5)

وذكر بعض الأمثلة على ذلك، فقـال: (وللمسـألة أصـل في عمل السلف، فقد ردت عائشة حديث: (إن الميت ليعذب ببكـاء أهله عليه) بهذا الأصل نفسه لقوله: (أَلاَّ تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَىَ وَأَن لّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاّ مَا سَعَىَ)[النجم:38- 39]، وردت حديث رؤية النبي ﷺ لربـه ليلـة الإسـراء؛ لقولـه:(لا تُدْرِكُـهُ الأبْصَـارُ) [الأنعام:103]، ورد عمر بن الخطاب حـديث فاطمـة بنت قيس حين روت أن زوجها لما طلقها ثلاثا لم يجعل لها النبي ﷺ نفقــة ولا سكنى، وقال: (ما كنا لندع كتـاب ربنـا وسـنة نبينـا ﷺ لقـول امرأة لا نـدري لعلهـا حفظت أو نسـيت، لهـا السـكنى والنفقـة، قال الله عز وجل : (لاَ تُخْرِجُوهُنّ مِن بُيُوتِهِنّ وَلاَ يَخْـرُجْنَ إِلاّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ) [الطلاق:1]. وروي عن الزهري أنـه قـال: إن خير الأمور ما عرض على كتاب الله) (6)

وقد علق عليه بعض المتـأخرين، فقـال تعليقـا على قولـه: (ومن ذلـــك كلّـــه تعلم بطلان مـــاذهب إليـــه الشـــاطبي في الموافقات من أن رتبة السـنة التـأخر عن الكتـاب في الاعتبـار،

1() البرهان 1/1186.
2() اللمع في أصول الفقه 172.
3() الأصول 1/280.
4() المجموع 4/285.
5() الموافقات 4 / 7..
6() الموافقات3/18..

وقد قلّده في ذلك بعض الكتّاب من المتأخرين في هذا الموضوع، وبالتقليد أغفل من أغفل)[1]

ب ـ ما ورد في المصادر الشيعية:

وهي كثيرة، ومحل اتفاق من جميع علماء الشيعة، ومن أحاديثهم فيها:

[الحديث: 11]ـ روي أنه ﷺ أنه خطب الناس بمنى، فقال: (أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عنّي يخالف كتاب الله فلم أقله)[2]

[الحديث: 12]ـ قوله ﷺ: (إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه) [3]

[الحديث: 13]ـ قوله ﷺ: (إذا جاءكم حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاطرحوه، أو ردوه علينا) [4]

[الحديث: 14]ـ ما روي عن الإمام علي أنه قال: (الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثا لم تروه خيرٌ من روايتك حديثا لم تحصه، إنّ على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه)[5]

[الحديث: 15]ـ ما روي عن الإمام علي أنه قال: (ما جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ بها)[6]

[الحديث: 16]ـ ما روي أن الإمام الصادق سئل عن اختلاف الحديث (يرويه من نثق به، ومنهم من لا نثق به؟)، فقال: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله، أو من قول رسول الله ﷺ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به)

[الحديث: 17]ـ ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب

1() الموافقات 4 / 7..
2()الكافي، 1/ 69 ح5.
3() مستدرك الوسائل 17/325.
4() تهذيب الأحكام 7/225.
5() بحار الأنوار: 2/165، وتفسير العياشي.
6() البهبودي/صحيح الكافي/ج 1/ص11.

الله فهو زخرف)(1)

وهذه الروايات هي التي جعلت علماء الشيعة يعتبرون كل كتبهم الحديثية محال للمناقشة والنقد لأي رجل بلغ درجة الاجتهاد من غير نكير عليه، وقد قال الشيخ المفيد في كتابه [تصحيح الاعتقاد]: (وكتاب الله تعالى مقدَّم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون سواه)(2)

ولهذا نرى الشيعة رغم احترامهم الشديد لكتاب الكافي ولمؤلّفه محمّد بن يعقوب الكليني وشهادتهم له بتبحّره في علم الحديث، إلاّ أنهم لم يدّعوا بأنّ ما جمعه كلّه صحيح، بل إن من علماء الشيعة من طرح أكثر من نصفه، وقال بعدم صحتها، ومع ذلك لم يشاغب عليه مثلما يشاغب علينا بسبب الحديث والحديثين.

بل إنّ الشيخ الكليني نفسه لا يقول بصحّة كلّ الأحاديث التي جمعها في الكتاب، فقد ذكر في كتابه أن أئمة أهل البيت وضعوا قواعد لحلّ اختلاف الأخباركالعرض على القرآن، وأنّه سيعمل على هذا المنهاج، لكن مع هذا لم يدّع توفيقه لتدوين الآثار الصحيحة فقط، ولذا اعترف بالتقصير وقال له: (وقد يسّر الله تأليف ما سألت وأرجو أن يكون بحيث توخّيت، فمهما كان من تقصير فلم تقصر نيتنا في إهداء النصيحة)

إضافة إلى ذلك، فقد عقد في كتابه باباً بعنوان (الأخبار المتعارضة) أو (الأخبار المختلفة) وبيّن فيه أن الأئمة أمروا بالرجوع في هذه الحالة إلى القرآن أو المشهور أو غير ذلك، وذلك كله دليل على أنّه لا يشهد بصحة كتابه كله.

ومثل ذلك نرى موقف الزيدية؛ فهم متفقون مع إخوانهم من الإمامية في ذلك، فقد احتج الإمام زيد بن علي ببعض تلك الأحاديث في جواب له على من سأله من أهل المدينة حيث قال: (وكتبت تسألني عن رواة الصحابة للآثار عن الرسول ﷺ، وقلت: إنك قد نظرت في روايتهم فرأيت فيها ما يخالف الحق، فاعلم يرحمك الله أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته إلاَّ وقد أثبت الله حججه عليهم؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحدث الذي كان من بعده، وإنه

1() وسائل الشيعة 18 / 78..

2() تصحيح الاعتقاد: 44.

يكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وقد قال رسـول الله ﷺ: (اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القـرآن فمـا كـان من القرآن فهو عني وأنا قلته، ومـا لم يكن على القـرآن فليس عني ولم أقله، وأنا بريء منه) (1)

واحتج به الإمـام القاسـم بن إبـراهيم (المتـوفى 246هــ)، فقد قال: (وقد قال رسول الله ﷺ: (أيها النـاس قـد كُـذِبَ على الأنبيـاء الـذين كـانوا من قبلي، وسـيكذب علي من بعـدي، فمـا أتاكم فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فهو مني، وإن لم يوافق كتاب اللـه فليس مـني).. فكيـف يـدعونا رسـول الله ﷺ ويأمرنا بشيء ليس لنـا فيـه النظـر؟ لقولـه: (اعرضـوه على كتاب الله) (2)

واحتج به الإمام الهـادي (المتـوفى 298هــ)، فقـال: (وفي ذلك ما يروى عن النبي المصطفى عليه وآله أفضل صلاة أرحم الراحمين، من أنه قال: (سـيكذب علي كمـا كـذب عليَّ الأنبيـاء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فمـا وافـق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب اللــه فليس مـني ولم أقلـه).. يريـد ﷺ أن مـا وافـق الكتـاب ممـا روي عنـه من الأحكام، ومن شرائع الإسلام فإنـه منـه أخـذ، وإنـه جـاء بـه عن الله، وما خالف الكتاب فليس من السنة التي جاء بها عن اللــه؛ لأن جميع الوحي الذي جاء عن الله سبحانه من السنة والقرآن، فهما شيئان متشابهان متفقان، لا يتضادان أبداً ولا يفترقان) (3)

واحتج به الإمام محمد بن يحيى المرتضى (المتـوفى سـنة 310هـ)، فقال في مسائل عبد اللــه بن الحسـن: (وسـألت عن الحديث عن رسول الله ﷺ هل يخالف الكتاب؟ فقـال: اعلم أن كل حديث صح عن رسول الله ﷺ فإنه غير مخالف للكتاب، بـل الكتاب يشهد عليه بـالحق وينطـق فيـه بالصـدق، وفي ذلـك مـا يروي عنه عليه وآله السـلام أنـه قـال: (يكـذب علي كمـا كـذب على الأنبياء من قبلي فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو عني وما خالفه فليس عني) (4)

وقال الإمام محمد بن القاسم الرسـي في تفسـيره: (فمـا

1() مجموع كتب ورسائل الإمام زيد 316.
2() الرد على الروافض، ص100.
3() مجموع رسائل الإمام الهادي ص480.
4() مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى 2/593.

وافق الكتاب وحقائقه قُبِلَ وصح عن رسول اللـه ﷺ، وعُلم أنـه منه، وما خالف الكتاب علم أن رسـول اللـه لم يقلـه، ولم يـأت عنه) [1]

وقال الإمام المنصور عبدالله بن حمـزة: (أن يكـون الخـبر سـليم الإسـناد من المطـاعن، سـليم المتن من الاحتمـالات، متخلصا عن معارضة الكتاب والسنة) [2]

وقال الإمام القاسم بن محمـد: (يجب أن يعـرض مـا روي عن النبي ﷺ من الأحاديث على كتاب اللـه.. وإنـا لا نعلم صـدق الحديث عنه إلاَّ إذا جاء متواترا أو تلقته الأمـة بـالقبول أو وافـق الكتاب) [3]

ج ـ ما ورد في مصادر المعتزلة والإباضية:

أمـا المعتزلـة، فقـد روى القاضـي عبـدالجبار في كتابـه [فضـيلة الاعـتزال، وطبقـات المعتزلـة] حـديث العـرض على القرآن الكريم، وهو:

[الحديث: 18]ـ قوله ﷺ: (سيأتيكم عني حديث مختلـف، فما وافق كتاب الله تعالى أو سنتي فهو مني، وما كان مخالفـا؛ لذلك فليس مني) [4]

واحتج بـه أعلامهم على وجـوب العـرض على القـرآن الكريم، ومنهم أبو الحسين البصـري في كتابـه [المعتمـد في أصـول الفقه] [5]

وقال القاضي عبدالجبار: (والذي نقـول: إن خـبر الواحـد لا يقبل إذا خالف الكتاب والسنة المقطوع بها)[6]

وروى أن التركاني قال لأبي علي: ما تقول في حديث أبي الزناد؟ فقال: هو صحيح، قـال التركـاني: فبهـذا الإسـناد حـديث (حج آدم موسى)، فقال أبو علي: هـذا باطـل، فقـال التركـاني: حديثان بإسناد واحد صححت أحدهما، وأبطلت الآخر؛ فقـال أبـو علي: (مـا صـححت هـذا الإسـناد وأبطلت ذلـك لإسـناده؛ وإنمـا صححتُ هـذا لوقـوع الإجمـاع عليـه، وأبطلت ذلـك؛ لأن القـرآن

1() المصابيح الساطعة الأنوار1/224.
2() الشافي 1/50.
3() الاعتصام1/18- 23.
4() فضيلة الاعتزال وطبقات المعتزلة، 154.
5() المعتمد في أصول الفقه، 2/127، 153.
6() فضيلة المعتزلة طبقات الاعتزال ص154.

يدل على بطلانه، وإجماع المسلمين ودليل العقل)، فقال: كيف ذلك؟ فقال أبو علي: (أليس في الحديث أن موسى لقي آدم في الجنة فقال:يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، أفعصيته؟ قال له: يا موسى أفترى هذه المعصية فعلتها أنا، وكان كتب عليَّ قبل أن أخلق بألفي عام؟ قال: بلى، ربي قد كتب عليك، فقال: فكيف تلومني على شيء قد كتب علي، فحج آدم موسى)، فقال أبو علي للتركاني: أفليس الحديث هكذا؟ قال: بلى، قلت: (أفليس إذا كان ذلك عذرا لآدم، يجب أن يكون عذرا لكل كافر وعاص، وأن يكون من لامهم محجوجا؟)، قال: فخرس [1]

وهذا ما ذهب إليه الإباضية؛ فقد ورد في مسند الربيع بن حبيب روايتان لحديث العرض هما:

[الحديث: 19] ما روي عن جابر بن زيد، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني)[2]

[الحديث: 20] ما رواه الربيع بن حبيب في (مسنده) عن جابر بن زيد، عن النبي ﷺ قال: (ما من نبي إلاّ وقد كذب عليه من بعده، ألا وسيكذب علي من بعدي كما كذب على من كان قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو عني وما خالفه فليس عني)[3]

خامسا. عرض الأحاديث على السنن المقبولة:

ولذلك إذا تعارض حديث مع أحاديث أخرى أكثر قوة؛ فإنه يرجح القوي على الضعيف، ويدعم ذلك باتفاق الأمة عليه؛ فالأحاديث المتفق عليها بين المدارس الإسلامية أقوى من الأحاديث التي اختصت بها كل مدرسة، لما ورد من النصوص الدالة على اعتبار إجماع الأمة.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد من اتفاق المصادر السنية والشيعية على ذم الطلقاء، بل لعن بعضهم ممن تسببوا في تشويه الدين وتحريفه؛ فمثل هذه الأحاديث يستدل بها على كذب كل حديث ورد في فضيلتهم.

1() فضيلة المعتزلة وطبقات الاعتزال ص289.
2() مسند الربيع بن حبيب 1/365.
3() مسند الربيع بن حبيب 1/365.

ومثل ذلك الكثير من أحاديث المناقب التي لم يقصد منها إلا إبعاد الناس عن مصادر الهداية التي حددها رسول الله ﷺ بدقة، وفصلها، وهو ما جعل أصحاب الفئة الباغية يضعون أحاديث أخرى ليصرفوا الأنظار عنها.

سادسا. عرض الأحاديث على العقل والفطرة السليمة:

ذلك أن الدين مرتبط بالفطرة والعقل، ويستحيل على رسول الله ﷺ أن يقول أو يدعو إلى ما يخالفهما، ومن الأحاديث الدالة على هذا:

[الحديث: 21]ـ قوله ﷺ: (إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه، فصدقوا به قلته أو لم أقله فإني أقول ما تعرفونه ولا تنكرونه، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به، فإني لا أقول ما تنكرونه، وأقول ما تعرفونه)[1]

[الحديث: 22] قوله ﷺ: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريبٌ، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم، وأبشاركم منه وترون أنه منكم بعيدٌ فأنا أبعدكم منه)[2]

[الحديث: 23]ـ قوله ﷺ: (ما جاءكم عنى من خير قلته، أو لم أقله فأنا أقوله، وما أتاكم من شر فإني لا أقول الشر)[3]

[الحديث: 24]ـ عن الإمام علي قال: (إذا حدثتكم عن النبي ﷺ حديثا، فظنوا به الذي هو أهياه وأهداه وأتقاه[4]

سابعا ـ التصرف في بعض الأحاديث إذا اقتضى الأمر ذلك:

وذلك أنا رأينا أن الحديث قد يكون حاويا للكثير من المعاني المقبولة الصحيحة التي لا يمكن رفضها، لكنه بسبب كلمة أو جملة أضيفت إليه صار معارضا لشروط قبوله، ولهذا بدل رفض الحديث جملة، نكتفي بحذف ما أضيف إليه، أو تعديل صياغته، بناء على أن الأحاديث رويت بالمعنى، مع ذكر ذلك، أو الاكتفاء بعزو الحديث لمصدره، لمن شاء أن يرجع

1() رواه الطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (15/ 347)، الدار قطني في سننه، (4/ 208)

2() رواه أحمد 3/497، والبزار كما في (كشف الأستار) 1/105 (187)

3() رواه أحمد 2/367، والبزار كما في (كشف الأستار)1/80(126)

4() رواه ابن ماجة (20)

للحديث بصيغته الأصلية.

ولهذا؛ فإنا في الحالة العادية، وهي الأكثر والأغلب، نكتفي بذكره بنصه الكامل، وقد ننتقي بعض رواياته الأقرب، أو نجمع بين الروايات.

أما إذا رأينا أن بعض ألفاظ الحديث تسيء إليه؛ فإنا نحذف ذلك اللفظ أو نبدل صياغته، بحيث يتناسب مع القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد روي في المصادر السنية والشيعية ما يشير إلى جواز ذلك، بل ضرورته، ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 25] ما روي عن سليمان بن أكيمة، قال: أتيت النبي ﷺ فقلنا له: بآبائنا وأمهاتنا يارسول الله! إنا نسمع منك الحديث فلا نقدر أن نؤديه كما سمعنا، فقال: (إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا، وأصبتم المعنى فلا بأس)(1)

[الحديث: 26] ما روي عن عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه، فما سمعته يقول بشيء قط قال رسول الله ﷺ، فلما كان ذا عشية، قال قال رسول الله ﷺ، فنكس، قال: فنظرت إليه هو قائمٌ، محللة قميصه قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه، قال: (أو دون ذلك أو فوق ذلك أو قريبا من ذلك أو شبيها بذلك)(2)

[الحديث: 27] قيل للإمام الصادق: أسمع الحديث منك فلعلّي لا أرويه كما سمعته، فقال: (إن أصبت فيه فلا بأس، إنما هو بمنزلة: تعال، وهلمّ، واقعد، واجلس)(3)

وننبه إلى أننا فرقنا بين الأحاديث المقبولة والمردودة؛ وذلك بذكر كل صنف منها في محله الخاص به، وقد وضعنا في مقدمة كل حديث مقبول رقما خاصا متسلسلا، هكذا [الحديث: رقمه].. بخلاف الأحاديث المردودة، فإنا لم نضع لها تلك العلامة، وإنما وضعتها في مقدمتها [النموذج: رقم]

مع التنبيه إلى أننا قد نضع بعض الأحاديث التي نرى قبولها، ضمن مباحث الأحاديث المردودة، لنستدل بها على ردها، وفي تلك الحالة ننبه إلى قبولها إما بذكرها مرفوعة إلى رسول الله ﷺ أو موقوفة على أئمة الهدى، أو نذكر في

---

(1) رواه الطبراني في 7/100 (6491)

(2) رواه ابن ماجة (23)، ورواه الدارمي (270)

(3) بحار الأنوار: 2/161، وكتاب مدينة العلم.

مقدمتها رقم الحديث متسلسلا.

مقدمة الكتاب

يحاول هذا الكتاب ـ كسائر أجزاء السلسلة ـ التميـيز بين الأحاديث التي تتوافق وتتناسب مع المعاني والحقـائق القرآنيـة، وغيرها من الأحاديث التي استعملت وسيلة لضـربها وتشـويهها وتحريفهـا، سـواء مـا ورد من ذلـك في المصـادر السـنية أو الشيعية.

وهو يقتصر على الأحاديث المرتبطة بمنابع الهداية الكبرى، والتي نص عليها قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 44]

وهي تشـير إلى أن رسـول اللـه ﷺ كلـف بوظيفـتين مرتبطتين بالهداية: إحداهما نقل الـوحي الإلهي كما أنـزل إليـه إلى أمته، والثانية بيانه وتوضيحه وشرح كيفية تنفيذه.

وبناء على هذا يذكر القـرآن الكـريم أن الـدين لا يمكن أن يقوم من دون الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ، كما قـال تعـالى: ﴿قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

ثم بين معنى الاتباع، وأنه ليس قاصرا على مجـرد الانتمـاء للدين، وإنما هـو الطاعـة المطلقـة الـتي يقـترن فيهـا اللـه مـع رسـوله، لأنـه لا يمكن أن تتحقـق طاعـة اللـه من دون طاعـة رسـوله، كمـا لا يمكن أن تتحقـق طاعـة الطـبيب من دون استعمال أدويته، فقال: ﴿قُـلْ أَطِيعُـوا اللَّهَ وَالرَّسُـولَ فَـإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]

وأخبر أن كل الأنبياء عليهم السلام دعوا إلى تلـك الـدعوة، بل استهلوا رسائلهم بهـا، كمـا حكى اللـه تعـالى عن نـوح عليـه السلام قولـه: ﴿أَلَا تَتَّقُـونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُـولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـونِ﴾ [الشـعراء: 106 - 110]

وحكى عن هود عليه السلام قوله: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُـولٌ أَمِينٌ (125) فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـونِ (126) وَمَـا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَـالَمِينَ (127) أَتَبْنُـونَ بِكُـلِّ رِيـعٍ آيَـةً تَعْبَثُـونَ (128) وَتَتَّخِـذُونَ مَصَـانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ [الشعراء: 124 - 131]

وحكى عن صالح عليـه السـلام قولـه: أَلَا تَتَّقُـونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـونِ (144) وَمَـا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ مِنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَـالَمِينَ [الشعراء: 142 - 145]

وحكى عن لوط عليه السلام قوله: أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُـولٌ أَمِينٌ (162) فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـونِ [الشـعراء: 161 - 163]

وحكى عن شعيب عليـه السـلام قولـه: أَلَا تَتَّقُـونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ [الشـعراء: 177 - 179]

وحكى عن المسيح عليه السلام قوله: قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُـوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُـدُوهُ هَـذَا صِـرَاطٌ مُسْـتَقِيمٌ [الزخرف: 63، 64]

وهكذا؛ فإن كـل هـذه الآيـات وغيرهـا تشـير إلى أن منـابع الهداية تنطلق من التسليم المطلق لرسـول اللـه ﷺ سـواء في ذلك الوحي الذي تنزل عليه باسم الله تعالى، أو في ذلك البيان الذي كلف به من طرف الله تعالى حتى يوضح معاني مـا أوحي إليه، ويفصل كيفية تنفيذها.

ومع وضوح هـذه الحقـائق وعقلانيتهـا إلا أن الانحـراف دب إليها بسبب ما قام بـه أصـحاب الفئـة الباغيـة من تركـيز شـديد على تـدنيس منـابع الهدايـة، حـتى تصـبح مختلطـة بالسـموم المضللة، وقد شمل تدنيسهم وتحريفهم كلا المنبعين:

أما الكتـاب؛ فقـد فعلـوا معـه مـا عـبر عنـه الإمـام الجـواد بقوله: (وكـل أمـة قـد رفـع اللـه عنهم علم الكتـاب حين نبـذوه وولاهم عدوهم حين تولوه، وكان من نبـذهم الكتـاب أن أقـاموا حروفـه وحرفـوا حـدوده، فهم يروونـه ولا يرعونـه، والجهـال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية) (1)

وأما السنة؛ فقد أخرجوها من دورها في بيان الكتـاب، إلى جعلها وسيلة لضربه ونسخ حقائقه وقيمه وتحريفها.

وقد رأينا أن الأحاديث الواردة في هذا البـاب في المصـادر

(1) الكافي: 8/ 53 / 16.

الحديثية المختلفة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

أولهما: الأحاديث الواردة في فضل القرآن الكريم، وبيان ضرورة اتباعه، وأنه لا يمكن التحقق بالإسلام إلا من خلاله.

ثانيهما: الأحـاديث الـواردة في فضـل السـنة المطهـرة، وأنها لا تقل عن القرآن الكريم من حيث وجوب الاتباع، ولو أنها تليه عند التنازع.

وقد خصصنا كل صنف بفصل خاص، جمعنا فيه نـوعين من الأحاديث:

1. الأحاديث المقبولة لموافقتها للقرآن الكريم.
2. الأحـاديث المـردودة لمعارضـتها لـه، مـع بيـان سـبب المعارضة.

الفصل الأول

القرآن الكريم والحقائق المقدسة

ينطلق المنبع الأول من منابع الهداية الصافية من رحمة الله تعالى وعنايته بعباده، ذلك أنه لم يكتف بتلك التعاليم الشفوية أو العملية التي يقوم بها أي رسول من رسله، وإنما تنزل لعباده، ليخاطبهم باللغة التي يفهمونها، وذلك عبر كلماته المقدسة التي تحوي أصول الحقائق والقيم، ليكون غيرها تابعا ومفسرا لها.

وبذلك فإن القرآن الكريم هو الأساس الأول لكل منابع الهداية؛ فمنه تنطلق، وإليه ترجع، وهو يشبه في ذلك ما يتعارف عليه البشر فيما بينهم؛ فهم لا يكتفون بتلك القوانين التي يصدرونها كل حين، وإنما يضيفون إليها، أو يقدمون لها بالوثيقة التي تضع الأصول الكبرى التي تنبني عليها تلك القوانين، ويسمونها دساتير.. ويحرصون على أن تحوي كل ما يضمن سلامة الدولة أو المؤسسة من الانهيار؛ فلذلك يضعون فيها كل الاحتمالات الممكنة التي تضعهم على السكة الصحيحة.

ولهذا أخبر الله تعالى عن شمول كتبه المقدسة لكل شيء، والذي يعني كل الحاجات التي يتطلبها الدين، سواء من الحقائق الضرورية للسلوك، أو القيم الضابطة له.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى عن التوراة: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: 145]

فالآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى أودع في التوراة كل الحقائق والقيم التي يحتاجها بنو إسرائيل، بحيث تغنيهم عن غيرها في تلك الفترة التي لم يكن لهم فيها رسول غير موسى عليه السلام أو من تبعه من الرسل، والذين كانوا بنفس شريعته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]

ولهذا لم تتعرض تلك الشريعة للتغيير إلا عند الحاجة إلى ذلك عندما أرسل المسيح عليه السلام بتلك التغييرات الخاصة، والتي تشبه ما يسمى في واقعنا بـ [تعديل الدستور]، كما قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50]

وهذا يدل على أن الكتب المقدسة محكمة ودائمة ولا تتعرض للنسخ بتلك السهولة التي يذكرها بعض المفسرين أو المحدثين.. وفي حال تعرضها لذلك يكون النص الناسخ واضحا وقويا وصريحا وقطعيا، وليس مجرد روايات أو اجتهادات وفهوم.

وبناء على هذا؛ فإن كل الأحاديث التي تتناقض مع هذه المعاني أحاديث مرفوضة، أو مؤولة:

1 ـ فكل حديث يربط آيات القرآن الكريم بأحداث تاريخية، ويعتبره قاصرا عليها، وأنه ليس له امتداد ليشمل كل المجالات مع استعداده لذلك مرفوض أو مؤول.

2 ـ وكل حديث يجعل القرآن الكريم وأحكامه خاضعة للتبديل والتغيير والنسخ إما بضربها بآيات أخرى، أو بضربها بالسنة المطهرة، مرفوض أو مؤول.

وبناء على هذا سنذكر هنا ما يؤكد هذه المعاني في المصادر الحديثية المختلفة، مع بيان ما قد يحتاج إلى إعادة النظر فيه لاختلافه مع ما ورد في القرآن الكريم ودلت عليه العقول.

المبحث الأول

الأحاديث المقبولة في فضل القرآن الكريم وتلاوته وتدبره

والأحاديث الواردة في هذا الباب كلها تؤكد وتفصل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقوله: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]

والمقصود منها ـ كما ذكرنا ـ اشتمال القرآن الكريم على الحقائق الكبرى، التي تنبني عليها جميع المعارف والقيم المرتبطة بوظائف الإنسان في مرحلة حياته الدنيوية، وليس المراد منها ذكر تفاصيل الحقائق؛ فذلك مستحيل، لا يطيقه البشر، ولا تطيقه صفحات الكتاب وكلماته، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: 109]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: 27]

وقد رأينا أن الأحاديث الواردة في هذا الباب يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولهما ــ أحاديث تؤكد ما ورد في القرآن الكريم عن فضله ومركزيته في الدين، وأنه المرجع في كل الحقائق والقيم، وهي جميعا ترتبط بالتنزيل القرآني.

ثانيهما ـ أحاديث تحذر من الإساءة إلى القرآن الكرم بالفهم والتنزيل، وهي ترتبط بالتأويل القرآني.

وستناول كلا الجانبين في العنوانين التاليين:

أولا ـ الأحاديث المقبولة في فضل القرآن الكريم وتلاوته:

مما نعتبره من السنة المقبولة لموافقتها للقرآن الكريم وما تقتضيه العقول السليمة.

1 ـ الأحاديث المرفوعة في فضل القرآن الكريم وتلاوته:

ويمكن تقسيمها بحسب رفعها إلى رسول الله ﷺ إلى

قسمين:

أ ـ الأحاديث المقبولة في المصادر السنية:

من الأحاديث الواردة في المصادر السنية، والتي يمكن اعتبارها محل اتفاق بين الأمة جميعا، ولهذا نجد نظيراتها في المصادر الشيعية الأحاديث التالية:

[الحديث: 1] وهو في فضل المعاني الواردة في القرآن الكريم والدعوة لتحكيمها في كل الشؤون باعتبارها المخرج من الفتن، وقد قدم له رسول الله ﷺ بقوله: (ألا إنها ستكون فتنة)، فسئل: فما المخرج منها يا رسول الله؟.. فقال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن: 1، 2]،من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[1]

[الحديث: 28] وهو في الدعوة إلى الالتزام الكامل بتعاليم القرآن الكريم والتحذير من تضييعها، وذلك عبر تصوير ما يحدث في المعاد من آثار التعامل الإيجابي أو السلبي مع القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن، قد كان يضيع فرائضه ويتعدى حدوده ويخالف طاعته ويرتكب معصيته، فيقول: أي رب، حملت آياتي بئس حاملٌ، تعدى حدودي وضيع فرائضي وترك طاعتي وركب معصيتي. فما يزال عليه بالحجج حتى يقال: فشأنك به. فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبه على منخره في النار، ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ويجتنب معصيته فيصير خصما دونه، فيقول: أي رب، حملت آياتي خير حامل، اتقى حدودي وعمل بفرائضي واتبع طاعتي واجتنب معصيتي. فلا يزال له بالحجج حتى يقال: فشأنك به، فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلة الإستبرق ويضع عليه تاج الملك

1() الترمذي (2906)، وقال: حديث غريب،والدارمي (3331)،وأحمد 1/19.

ويسقيه بكأس الملك)(1)

[الحديث: 29]ـ وهو في فضل التلاوة الجماعية للقرآن الكريم ومدارسته، باعتبارها من وسائل الاتباع؛ فلا يمكن أن يتحقق الاتباع من دون ملازمة التلاوة والمدارسة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)(2)

[الحديث: 30]ـ وهو في الترغيب في التلاوة من خلال استعمال ما يرغب فيه البشر من الأموال، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟)، قيل: نعم، قال: (فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة، خيرٌ له من ثلاث خلفات عظام سمان)(3)

[الحديث: 31]ـ وهو في الترغيب في التلاوة وفهم القرآن الكريم من خلال استعمال ما يرغب فيه البشر من الأموال، ونص الحديث هو من قوله ﷺ: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟)، قيل: يا رسول الله نحب ذاك، قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خير له من ثلاث، وأربعٌ خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)(4)

ويستحسن تقريب هذا الحديث والذي قبله ومن هو على شاكلته في عصرنا بما يعرفونه من أموال وسيارات وغيرها.

[الحديث: 32]ـ وهو في الترغيب في التلاوة وفهم القرآن الكريم من خلال ذكر الأجور المعدة للتلاوة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنةٌ والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرف)(5)

[الحديث: 33]ـ وهو في اعتبار التلاوة من أفضل العبادات، لكونها الوسيلة لتحقيق الاتباع، قال ﷺ: (ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر على

1() البزار كما في (كشف الأستار) (2337)
2() أبو داود (1455)، وأصله في مسلم (2699)
3() مسلم (802)
4() مسلم (803)، أبو داود (1456)
5() الترمذي (2910)

رأس العبد ما دام في مصلاه وما تقـرب العبـاد إلى اللـه بمثـل [تلاوة كتابه])[1])[2]

[الحديث: 34] وهو في الترغيب في ختم القرآن الكريم جميعا، وعدم الاكتفاء ببعض آياته، لأن الاتباع لا يتحقق إلا بذلك، وقد قاله ﷺ ردا على من سأله، فقال: يا رسول الله! أي العمل أحب إلى الله؟، فقال ﷺ: (الحال المرتحـل)، قـال: ومـا الحـال المرتحـل؟ قـال ﷺ: (الـذي يضـرب من أول القـرآن إلى آخـره كلما حل ارتحل)[3]

[الحديث: 35] وهـو في اعتبـار القـرآن الكـريم وسـيلة لتحقيق الحاجات المختلفة، وبيان مرتبته بالنسبة للدعاء، وكونـه أفضل منه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (يقول الرب تعالى: (من شـغله قـراءة القـرآن عن مسـألتي، أعطيتـه أفضـل مـا أعطي السائلين)[4]

[الحديث: 36] وهو في فضل التلاوة ووصول آثارها إلى الوالدين، وهو بذلك يدعو إلى تربية الأبناء بالقرآن وعلى هديـه، ونص الحديث هـو قولـه ﷺ: (من قـرأ القـرآن وعمـل بـه ألبس والداه تاجا يوم القيامة، ضـوؤه أحسـن من ضـوء الشـمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا)[5]

[الحديث: 37] وهـو في فضـل التلاوة والعمـل بـالقرآن الكريم ووصول آثارها إلى الأسرة، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله وحـرم حرامـه، أدخلـه الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته..)[6]

وننبه إلى أن هناك زيادة في آخـر الحـديث حـذفناها، وهي [كلهم قد وجبت له النار]، لما فيها من الدعوة للإرجـاء، حسـبما شرحنا ذلـك بتفصـيل في حقيقـة الشـفاعة ومجالهـا في كتـاب [أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل]، وغيره.

[الحديث: 38] وهو في فضـل التلاوة والاتبـاع ودورهمـا في تكريم المتبع وحصوله على الرضوان الإلهي، ونص الحـديث

1() وردت هذه اللفظة بصيغة (ما خرج منه)، وقد استبدلانها بتلك اللفظة لورود مثلها في أحاديث أخرى، وخوفا من دلالة (ما خرج منه) على ما ذكره المجسمة.

2() الترمذي (2911)

3() الترمذي (2948)

4() الترمذي (2926)

5() أبو داود (1453)

6() الترمذي (2905)، وابن ماجة (216)

هو قوله ﷺ: (يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبسه حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة)(1)

[الحديث: 39] وهو في بيان درجات التلاوة والاتباع، وأن منزلة المؤمن بحسب علاقته بالقرآن الكريم، وتعمقه في فهمه، واتباعه أحسن ما فيه، وذلك باختيار العزيمة بدل الرخصة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)(2)

[الحديث: 40]ـ وهو في الترغيب في إتقان التلاوة، وتشجيع غير المتقنين لها، حتى لا يحجبهم عدم القدرة عليها عن القراءة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران)(3)

[الحديث: 41]ـ وهو في بيان آثار القرآن الكريم على قارئيه سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وفيه إشارة إلى أن التلاوة وحدها لا تكفي ما لم يصحبها الاتباع الصادق، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيبٌ وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيبٌ ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مرٌ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌ ولا ريح لها، ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيءٌ أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه)(4)

[الحديث: 42]ـ وهو يحدد معيار التفاضل بين المؤمنين، وكونه مرتبطا بالقرآن الكريم، وذلك بحسب حفظهم وفهمهم وحرصهم عليه والتزامهم بتعاليمه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)(5)

1() الترمذي (2915)، والدارمي (3311)
2() الترمذي (2914)، وأبو داود (1464)
3() البخاري (4937)، ومسلم (798)
4() أبو داود (4829)
5() مسلم (817)

[الحديث: 43] وهو يبين أن أفضل المؤمنين هو الحريص على تعلم القرآن تلاوة وفهما، وتعليمه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(1)

وقد صاغ رسول الله ﷺ هذا الحديث بهذه الصياغة المختصرة ليصبح شعارا سهلا يمكن ترديده ونشره بسهولة.

[الحديث: 44] وهو في الترهيب من عدم قراءة القرآن الكريم أو حفظه، وتشبيه من يفعل ذلك بالبيت الخرب الذي لا شيء فيه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرب)(2)

[الحديث: 45] وهو في التحذير من نسيان القرآن الكريم والغفله عنه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه، إلا لقى الله يوم القيامة أجذم، واقرأوا إن شئتم ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: 125 - 126](3)

[الحديث: 46] وهو في التحذير من استخدام القرآن الكريم وسيلة لطلب الدنيا مثلما حصل لأهل الكتب المقدسة السابقة، والذين ذكر القرآن الكريم تجارتهم بكتبهم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوامٌ يقرءون القرآن ويسألون به الناس)(4)

[الحديث: 47] وهو في التحذير من الاكتفاء بالإيمان الذهني أو اللفظي بالقرآن الكريم من دون التزام حدوده، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ما آمن بالقرآن من استحل محارمه)(5)

وقد صيغ مختصرا ليصبح مثل القانون الذي ينتشر بين الناس ليبين لهم ضوابط التعامل مع القرآن الكريم.

[الحديث: 48] وهو في بيان دور القرآن الكريم في تحقيق الاكتفاء الذاتي لقارئه، إما ماديا أو معنويا، فالقناعة كنز لا يفنى، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (القرآن غنى لا فقر بعده، ولا غنى دونه)(6)

---

1) البخاري (5027)
2) الترمذي (2913)، والدارمي (3306)
3) أبو داود (1474)،والدارمي (3340)
4) الترمذي (2917)
5) الترمذي (2918)
6) الطبراني 1/255.

وقد صيغ مختصرا ليكون لـه انتشـاره وتـأثيره الكبـير مثـل انتشار الحكم والأمثال وغيرها.

[الحـــديث: 49]ـ وهـــو في فضـــل الجمـــع بين التلاوة والاستماع، أو في الترغيب في استعمال كل الوسائل في نشـر القرآن الكريم إما عبر تلاوته أو الاستماع إليه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من اسـتمع إلى آيـة من كتـاب اللـه كتبت لـه حسـنةٌ مضاعفةٌ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة)(1)

[الحديث: 50]ـ وهـو في الـترغيب في الأجـور المعـدة لقارئ القرآن الكريم، وذلك عـبر مـا يـرغب فيـه البشـر عـادة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ القرآن صابرا محتسبا كـان له بكل حرف زوجةٌ من الحور العين)(2)

وقد حذفت من الحديث مـا ورد في بدايتـه: (القـرآن ألـف ألف حرف وسبعة وعشرون ألـف حـرف)، لأن القـرآن الكـريم بقي ينزل إلى آخر حياته ﷺ، بالإضـافة إلى الاختلاف الكبـير في عدد حروفه(3).

[الحـديث: 51]ـ وهـو يـرغب في التلاوة من خلال ذكـر تنزل الملائكة عندها وحضـورهم واسـتماعهم ومـا في ذلـك من البركات الكثيرة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (تلك الملائكـة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليهـا لا تتـوارى منهم) (4)

وسبب قوله هو ما روي عن بعض الصـحابة أنـه كـان يقـرأ القرآن الكريم وفرسه مربوطةٌ، وكانت تتحرك بقراءته، وتسكن بسكونه، فرفع رأسه إلى السماء، فإذا (مثل الظلـة فيهـا أمثـال المصابيح)، فلما أصبح حدث النبي ﷺ، فقال: (وتدري مـا ذاك؟) قال: لا والله، فذكر الحديث.

وهو ليس بمستغرب لأنه من الإكرامات الإلهية وخاصة في زمن النبوة لتثبيت المؤمـنين، وذلـك لا يعـني أنـه إذا لم تحصـل تلـك الحركـة الـتي حصـلت لـه لا تحضـر الملائكـة؛ فهم عليهم السلام موجودون معنا، وفي كل مكان.

1() أحمد 2/341.
2() (الأوسط) 6/361 (6616)
3() ذكر السّيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) عدّة أقـوال في عـدد حـروف القرآن فقد ذكر بعضهم أنّ عددها (1000000) حرف، وذكر آخـر أنّ عـددها (323671) حرفًا، وأورد غيره أقوالًا أخرى منها أنّ عددها (340740) حرفًا. أو (340740) حرفًا.
4() البخاري معلقا بعد حديث (5018)

وقد روي في حديث آخر تنزل السكينة بدل الملائكة، فقد روي أن رجلا كان يقرأ سورة الكهف وعنده فرسٌ مربوطة؛ فتغشته سحابةٌ فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: (تلك السكينة تنزلت للقرآن)[1]

[الحديث: 52] وهو في الترغيب في التفاعل مع القرآن الكريم، وذكر نماذج عن ذلك، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8]، فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: 1] فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: 40] فليقل: بلى وعزة ربنا:ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾، فبلغ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات: 50] فليقل: آمنا بالله)[2]

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] قال: (سبحان ربى الأعلى)[3]

[الحديث: 53] وهو في فضل سورة الفاتحة، لاحتوائها على ملخص مركز لكل الحقائق والقيم القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[4]

وقد ذكر راوي الحديث قصته، فقال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: (ألم يقل الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد)، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟، فذكر رسول الله ﷺ الحديث.

وفي استعمال رسول الله ﷺ لهذا الأسلوب نوعا من الترغيب المحبب للنفوس، فقد كان في إمكانه ﷺ أن يذكر الحديث مباشرة لكنه قدم له بذلك من باب التهيئة النفسية لما

1() البخاري (4839)، ومسلم (795)
2() أبو داود (887)، والترمذي (3347)
3() أبو داود (883)
4() البخاري (4474)

يقوله.

[الحديث: 54]ـ وهـو في الـترغيب في سـورة الفاتحـة، ويشبه الحديث السـابق، فقـد روي أنـه ﷺ نـادى بعض أصحـابه وهو يصلى، فلما فرغ من صـلاته لحقـه، فوضـع يـده على يـده، وقال: (إني لأرجو أن لا نخرج من المسجد حتى تعلم سـورة مـا أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقـان مثلها)(1)

[الحديث: 55]ـ وهـو في الـترغيب في سـورة الفاتحـة وخواتيم سـورة البقـرة للمعـاني الكثـيرة الـتي تحملانهـا، ونص الحديث هو أن بينما جبريـل عليـه السـلام قاعـدٌ عنـد النـبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال: (هذا باب من السـماء فتح اليوم، لم يفتح إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ)، فقال: (هذا ملـكٌ نـزل إلى الأرض لم يـنزل قـط إلا اليـوم، فسـلم وقـال: أبشـر بنورين أوتيتهما لم يؤتهمـا نـبيٌ قبلـك: فاتحـة الكتـاب وخـواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته)(2)

[الحـديث: 56]ـ وهـو في الـترغيب في قـراءة القـرآن الكريم جميعا، وبيان دوره في الشـفاعة لأهلـه الـذين يلـتزمون بتعاليمـه، ويكـثرون تلاوتـه، مـع بيـان أن لكـل سـورة صـورتها وشفاعتها الخاصة، ونص الحديث هـو قولـه ﷺ: (اقـرأوا القـرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقـرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتـان أو كأنهمـا فرقانٌ من طـير صـواف يحاجـان عن صـاحبهما، اقـرأوا سـورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرةٌ ولا تسـتطيعها البطلة(3).. وما من عبد يقرأ بها في ركعة قبل أن يسجد ثم سأل الله شيئا إلا أعطاه إن كادت لتحصى الدين كله)(4)

[الحـديث: 57]ـ وهـو في الـترغيب في قـراءة القـرآن الكريم، وتعلم علومه، والتزام تعاليمه، وبيان أثره في شخصـية المـؤمن وغـيره، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (تعلمـوا القـرآن واقرءوه وقوموا به، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسـكا يفـوح بريحـه كـل مكـان، ومثـل من

1() مالك 1/92.

2() مسلم (806)، النسائي 2/138.

3() فسرت (البطلة) بالسحرة، واللفظ لا يدل على ذلك، بل يدل على الباطـل الـذي هو مقابل الحق، أي أن المتمعن في سورة البقرة، سيجد من الحق ما يرد به الباطل.

4() مسلم (804)

تعلمه ويرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكى على مسك)[1]

وقصة هذا الحديث هي أن رسول الله ﷺ بعث بعثا فاستقرأهم فقرأ كل رجل ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال: (ما معك أنت يا فلان؟)، قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: (أمعك سورة البقرة؟)، قال: نعم، قال: (اذهب فأنت أميرهم، فإنها إن كادت لتحصى الدين كله)، فقال رجلٌ من أشرافهم: والله ما منعني يا رسول الله أن أتعلمها إلا خشية أن لا أقوم بما فيها، فذكر ﷺ الحديث.

وفي قوله ﷺ: (فإنها إن كادت لتحصى الدين كله) دليل على أن الشرف المرتبط بها ليس لحفظها أو تلاوتها فقط، وإنما للالتزام بتعاليمها.

[الحديث: 58] وهو في بيان تأثير القرآن الكريم في طرد شياطين الإنس والجن، وذلك للمعاني الواردة فيه، لا لمجرد التلاوة، وضرب مثالا على ذلك بسورة البقرة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)[2]

[الحديث: 59] وهو في الترغيب في قراءة أواخر سورة البقرة كل ليلة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[3]

والآيتان المرادتان هما قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 285، 286]

وهما ـ كما يظهر ــ تحويان القضايا الكبرى في الدين، سواء العقدية أو الأخلاقية أو الروحية، بالإضافة إلى ذلك الدعاء الممتلئ بالمعاني العميقة.

[الحديث: 60] وهو في بيان تفاضل آيات وسور القرآن

1() الترمذي (2876)

2() مسلم (780)، الترمذي (2877)

3() البخاري (5051)، ومسلم (807)

الكريم بحسب المعاني الـواردة فيهـا، مـع ذكـر أفضـلية سـورة البقرة من ناحية كثرة المعاني، وأفضلية آية الكرسـي من حيث موضوعها، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لكـل شـيء سـنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آيةٌ هي سيدة آي القـرآن آيـة الكرسي)(1)

وهذا لا يتعارض مع ما ورد في فضـل سـورة الفاتحـة، لأن أفضـليتها مرتبطـة بكونهـا تلخص جميـع المعـاني القرآنيـة في صـيغة مختصـرة.. وسـورة الفاتحـة تلخصـها مـع ذكـر النمـاذج والأمثلة، ونحن نستعمل هذا في حياتنا، فنذكر أن أفضل المتون هو المتن الفلاني، وأفضل الشروح هو الشـرح الفلاني.. وهكـذا فـإن سـورة الفاتحـة مثـل المتن، وكـل سـور القـرآن الكـريم كالشرح لها، وأوسع الشروح سورة البقرة.

[الحـديث: 61]ـ وهـو في فضـل آيـة الكرسـي لعظمـة المعـاني الـتي تحويهـا، لارتباطهـا بـالتعريف باللـه تعـالى، ونص الحديث هو قوله ﷺ لبعض أصحابه من حفـاظ القـرآن الكـريم: (يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟)، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَـهُ مَـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَـيْءٍ مِنْ عِلْمِـهِ إِلَّا بِمَـا شَاءَ وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَـا وَهُـوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقـرة: 255]، فضـرب رسـول اللـه ﷺ على صدره، وقال: (ليهنك العلم يا أبا المنذر)(2)

[الحـديث: 62]ـ وهـو في بيـان دور القـرآن الكـريم في الحفـظ من الفتن، وضـرب مثـال على ذلـك بسـورة الكهـف، للمعـاني الـواردة فيهـا أو في بعض آياتهـا، كمـا شـرحنا ذلـك بتفصيل في كتاب [أوكار الاستكبار]، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من حفظ عشر آيـات من أول سـورة الكهـف عصـم من فتنـة الدجال)(3)، وفي رواية: (من آخر الكهف)(4)

ونرى أن رسول الله ﷺ ذكر هذا من بـاب الرخصـة لمن لا يسـتطيع قراءتهـا جميعـا، وخاصـة من العـوام، ذلـك أن تأثيرهـا

(1) الترمذي (2878)
(2) مسلم (810)
(3) مسلم (809)
(4) مسلم (809)، أبو داود (4323)

الكامل يكون بقراءتها وفهمها جميعا، أما من لا يطيق ذلك؛ فيمكنه الاكتفاء ببعضها.

[الحديث: 63] وهو في الترغيب في قراءة سورة يس واعتبارها قلب القرآن، وهو يدل على أن لكل سورة قرآنية مجالها ووظائفها الخاصة، مثل أعضاء الإنسان، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لكل شيء قلبٌ وقلب القرآن يس، ومن قرأها كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس)(1)

[الحديث: 64] وهو في بيان دور القرآن الكريم في قضاء الحوائج الدنيوية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه)(2)

[الحديث: 65] وهو في بيان دور القرآن الكريم في تحقيق الغنى سواء النفسي أو غيره، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقةٌ، وفي المسبحات آيةٌ كألف آية)(3)

[الحديث: 66] وهو في بيان دور القرآن الكريم في مغفرة الذنوب، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك)(4)

والمقصود بالعدد هو الحقيقة، ذلك أن لكل استغفار تأثيره الخاص، مثل عدد الغسلات، فقد لا يطهر الثوب بغسلة واحدة، وكلما كثرت الغسلات كان أفضل.

وهذا لا يعني استغناء قارئ القرآن الكريم عن التوبة، وخاصة عن الكبائر، أو الذنوب المتعدية، لأنه لا يمكن تطهيرها من غير ذلك، ومن غير رد الحقوق لأصحابها.

[الحديث: 67] وهو في فضل بدء اليوم بقراءة القرآن الكريم، وخاصة ما ارتبط منه بالحقائق الكبرى، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر

---

(1) الترمذي (2887)

(2) الدارمي (3418)

(3) وقد روي في قصة الحديث أن عبد الله بن مسعود مرض فعاده عثمان، فقال له ما تشتكي ؟ فقال: ذنوبي قال: ما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني،قال: ألا آمر لك بعطاء ؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر وقد أمرت بناتي لأن يقرأن في كل ليلة سورة الواقعة فإني سمعت رسول اللهِ ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا، الفتوحات الربانية: 3/279.

(4) الترمذي (2888)

سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه، مات شهيدا، ومن قرأها حين يمسي فكذلك)[1]

ونتبه إلى أن الفضل الوارد في هذا الحديث وأمثاله ليس مرتبطا بالقراءة المجردة، وإنما بتفاعل الحياة جميعا مع مقتضيات تلك القراءة، ولذلك أخبر ﷺ عن موت من حصل له ذلك شهيدا، ولو مات على فراشه.

وربما يكون لتخصيصه بالشهادة ارتباط بما ورد في آخر سورة الحشر، وهو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 21]

[الحديث: 68] ـ وهو في بيان أن لكل سورة قرآنية وظيفتها الخاصة بها، وذكر نموذج على ذلك بسورة الملك، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من القرآن سورةٌ ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك)[2]

وهذا مع كونه يدل على سورة الملك خصوصا إلا أنه يشير إلى أن لكل سورة بل لكل آية قرآنية وظائف ترتبط بصاحبها المهتم بها الحريص على تلاوتها وتدبر معانيها إلى الدرجة التي يصل إلى محبتها، كما ورد ذلك في فضل سورة الإخلاص، وهو أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه)[3]

[الحديث: 69] وهو في بيان فضل سورة الملك ودورها في حماية الملازم لها عذاب القبر، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (هي المانعة هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر)[4]، وقد قاله ﷺ تعقيبا على ما حدثه بعض أصحابه من أنه (ضرب خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبرٌ، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فذكر الحديث.

وفيه كرامة لذلك الصحابي الذي رأى الحادثة، وربما كان

---

[1] () الترمذي (2922)
[2] () أبو داود (1400)، والترمذي (2891)
[3] () صحيح البخاري (9/ 141)
[4] () رواه الترمذي (2890)

المقصد من تلك الكرامة ذلك التوضيح الذي بين به رسول الله ﷺ قيمة سورة الملك، ولو أن بيانه ليس مرتبطا بالحادثة.

[الحديث: 70]ـ وهو في إرشاد رسول الله ﷺ إلى سور خاصة بحسب قدرات القراء، وهو يدل على أن تصنيف السور بحسب ما تفتتح به آياتها مقصود، وله دلالاته الخاصة، ونص الحديث هو أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: (اقرأ ثلاثا من ذوات الراء)(1)، فقال: كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني، قال: (فاقرأ ثلاثا من ذوات حم)(2)، فقال: مثل مقالته الأولى، قال: (اقرأ ثلاثا من المسبحات)(3)، فقال مثل مقالته، وقال: أقرئني سورة جامعة، فأقرأه ﷺ ﴿إذا زلزلت﴾ [الزلزلة: 1] حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها شيئا أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال ﷺ: (أفلح الرويجل ـ مرتين)(4)

وقد أرشد رسول الله ﷺ الرجل إلى سورة الزلزلة لدلالتها على المعاد، والحساب، والدعوة إلى الورع والتقوى، وسماه رويجلا لقصر همته عن باقي السور.. وهو يدل على أن الكمال الإنساني مرتبط بتمثل القرآن الكريم جميعا لا بعض سوره أو آياته.

[الحديث: 71]ـ وهو في فضل سورة الإخلاص لاحتوائها على أصول التوحيد والتعريف بالله تعالى، ونص الحديث هو أن رجلا سمع رجلا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)(5)

والحديث يدل على أن الأجور المرتبطة بقراءة القرآن الكريم تختلف باختلاف المواضيع المقروءة، وإن كان كله فيه أجر عظيم، وقد قال الغزالي مشيرا إلى خصوصية الآيات المتعلقة بالمعارف الإلهية: (اعلم: أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد الفرق نفسك الجوارة،

---

(1) أي ثلاث سور من السور التي أولها الر بلا همز وهي سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

(2) أي من السور التي أولها حم، مثل غافر وفصلت وغيرها.

(3) أي من السور التي أولها سبح ويسبح، مثل سورة الجمعة والتغابن.

(4) أبو داود (1399)

(5) البخاري (5013)

المستغرقة بالتقليد، فقلد صاحب الرسالة ﷺ، فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقد دلت الأخبار على شرف بعض الآيات، وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة، والأخبار الواردة في فضائل قوارع القرآن، بتخصيص بعض الآيات والسور بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى، فاطلبه من كتب الحديث إن أردته)[1]

[الحديث: 72] وهو يبين استعمال رسول الله ﷺ الأساليب المختلفة في الترغيب في قراءة القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ مخاطبا أصحابه: (احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن)، فحشد من حشد، ثم خرج ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، ثم دخل، فبقي الصحابة منتظرين أن يقرأ عليهم ما ذكره، ثم خرج، فقال: (إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن)[2]

[الحديث: 73] وهو في الترغيب في قراءة سور مخصوصة من القرآن الكريم وتكرارها، وعلاقة ذلك بنعيم الجنة، وهو يدل على تجسد الأعمال، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] عشر مرات بني له قصرٌ في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة)، فقيل له: يا رسول الله، إذا لتكثرن قصورنا في الجنة!، فقال ﷺ: (الله أوسع من ذلك)[3]

[الحديث: 74] وهو في بيان علاقة القراءة بالجنة، ونص الحديث هو أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، فقال: (وجبت)، فقيل له: ماذا يا رسول الله؟ قال: (الجنة)[4]

[الحديث: 75] وهو في الترغيب في قراءة المعوذات القرآنية، واعتبارها كافية ومغنية عن غيرها من الرقى التي كانت في الجاهلية، أو التي ابتدعت بعد ذلك في الإسلام، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (أنزل علي آياتٌ لم ير مثلهن قط: المعوذتان، ما سأل سائلٌ بمثلهما ولا استعاذ مستعيذٌ بمثلهما)

1() جواهر القرآن (ص: 62)
2() مسلم (812)
3() الدارمي(3429)
4() الترمذي (2897)،والنسائي 2/171.

(1)

[الحـديث: 76]ـ وهـو في الـترغيب في قـراءة القـرآن الكريم، واعتباره مغنيا لصاحبه، وفيـه دليـل على جـواز اعتبـاره مهرا، ونص الحديث هـو أن النـبي ﷺ قـال لرجـل من أصـحابه: (هل تزوجت يا فلان؟)، قال: لا والله، ولا عنـدي مـا أتـزوج بـه، قال: (أليس معـك ﴿قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الإخلاص: 1]؟)، قـال: بلى، قال: (تلك ثلث القرآن)، قال: (أليس معك ﴿إِذَا جَـاءَ نَصْـرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: 1]؟)، قال: بلى قال: (ربع القرآن)، قال: (أليس معك ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: 1]؟)، قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قـال: (أليس معـك ﴿إِذَا زُلْـزِلَتِ﴾ [الزلزلـة: 1]؟)، قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، ثم قال: (تزوج تزوج)(2)

وفي رواية: (من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصـف القـرآن)

(3)

وهذا التقسيم ليس اعتباطيا، بـل هـو مبـني على المعـاني الواردة في كل سورة من هذه السور، ويدعو العقول إلى تأمل وتدبر المعاني التي جعلت فيها.

ويدل كذلك على أن الله تعالى رحمة بعباده صاغ المعـاني القرآنية بأساليب مختلفة، ليتمكن الجميـع من الاسـتفادة منهـا، ولو بالحد الأدنى.

[الحديث: 77]ـ وهـو في بيـان دور القـرآن الكـريم في تحصين صاحبه وحفظـه، وارتبـاط ذلـك بمعانيـه وبآيـات وسـور مخصوصة، ونص الحديث هو قولـه ﷺ: (من قـرأ الـدخان كلهـا، و﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الـذَّنْبِ وَقَابِـلِ التَّوْبِ شَـدِيدِ الْعِقَـابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ إِلَيْـهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: 1 ـ 3] وآية الكرسي حين يمسي؛ حفظ بهـا حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح؛ حفظ بها حتى يمسي)(4)

[الحـديث: 78]ـ وهـو في الإشـارة إلى مـا يطلـق عليـه [التصوير الفني في القرآن الكريم]، وهو من الأساليب القرآنيـة الـتي تجسـد الحقـائق، لتنقلهـا من علم اليقين إلى عين اليقين، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامـة كأنه رأى عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكـوير: 1]، ﴿إِذَا

1() مسلم (814)، النسائي 8/253-254.
2() الترمذي (2895)
3() الترمذي (2893)
4() الترمذي (2879)

السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [الانفطار: 1] إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: 1])(1)

[الحديث: 79]ـ وهو في الإشارة إلى تصنيف القرآن الكريم بحسب عدد آياته، ويبين سر التكرار الوارد في معانيه، واحتوائها على ما ورد في جميع الكتب المقدسة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل)(2).. وفي رواية: (أعطاني ربي السبع الطوال مكان التوراة، والمئين مكان الإنجيل، وفضلت بالمفصل)(3)

والمراد بالسبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة؛ لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة.. وأما المِئُون، فهي السور التي يقترب عدد آياتها من المائة أو تزيد.. وأما المثاني(4)، فهي السور التي آيُها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى؛ أي؛ تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون.. وأما المفصل، فهو لفظ يطلق على السور بَدْءًا من سورة ق إلى آخر المصحف.

[الحديث: 80]ـ وهو في الترغيب في نشر القرآن الكريم، ودعوة الأهل إليه، وبيان النعيم المتجسد المرتبط بذلك، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من علم ابنه القرآن نظرا، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه آيا ظاهرا بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه: اقرأ. فكلما قرأ آية رفع الله الأب بها درجة، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن)(5)

[الحديث: 81]ـ وهو في فضل الاستماع لتلاوة لقرآن الكريم والتفاعل معها، ونص الحديث هو قوله ﷺ لبعض أصحابه: (اقرأ علي القرآن)، فقال: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟، قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، فقرأ سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ

---

(1) الترمذي (3333)

(2) أحمد (4/107)، والطبراني 22/76.

(3) الطبراني 8/258(8003)

(4) وقد تسمَّى سور القرآن كلها مثاني؛ ومنه قوله تعالى: كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ (الزمر: 23)، وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي (الحجر: 87)، وإنما سمي كذلك؛ لأن الأنباء والقصص تثنى فيه، ويقال إن المثاني في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي (الحجر: 87)، هي آيات سورة الحمد، سماها مثاني؛ لأنها تثنى في كل ركعة.

(5) رواه الطبراني في (الأوسط) 2/264(1935)

أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 41] رفع الصحابي رأسه إلى رسول الله ﷺ فرأى دموعه تسيل[1].

[الحديث: 82]ـ وهو في بيان منزلة صاحب القرآن الكريم، وأنه أحق الناس بأن يحسد على نعمته، لأنها نعمة حقيقية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)[2]

وفي رواية: (لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها)[3]

ولا تعارض بين الروايتين لأن القرآن الكريم هو مصدر الحكمة، فمن قرأة بصدق وتدبر آتاه الله الحكمة.

والمراد بالحسد هنا ليس تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، فهو مذموم، وإنما المراد ما يطلق عليه [الغبطة]، وهي: أن تتمنى أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك من غير أن تزول عنه.. وتطلق كذلك على الحرص والمنافسة، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: 26]

ويدل لهذا ما ورد في رواية أخرى يقول فيها ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ فعملت مثل ما يعمل، ورجلٌ آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق. فقال رجلٌ: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ، فعملت مثل ما يعمل)[4]

وفي رواية أخرى: (لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجلٌ أعطاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ويتبع ما فيه، فيقول رجلٌ: لو أن الله تعالى أعطاني مثل ما أعطى فلانا، فأقوم به كما يقوم به، ورجلٌ أعطاه الله مالا، فهو ينفق ويتصدق، فيقول رجلٌ: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا، فأتصدق به)[5]

1() البخاري (5050)، ومسلم (800)
2() البخاري ح (5025)، ومسلم ح (815)
3() البخاري ح (73)، ومسلم ح (816)
4() البخاري ح (5026)
5() أحمد ح (17007)

[الحديث: 83]ـ وهو في فضل تحسين الصـوت بـالقرآن الكريم، لدوره الكبير في تحصـيل الخشـوع، ونص الحـديث هـو قوله ﷺ: (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغـنى بالقرآن يجهر به)[1]

وقد قال بعضهم في تفسيره: (ومعنـاه أن اللـه تعـالى مـا استمع لشيء كاستماعه لقـراءة نـبي يجهـر بقراءتـه ويحسـنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمـال خلقهم، وتمام الخشية، وهو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسـمع أصـوات العبـاد كلهم بـرهم وفـاجرهم.. لكن اسـتماعه لقـراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هـذا الحـديث العظيم، ومنهم من فسـر الأذن ههنا بالأمر، والأول أولى لقوله: (مـا أذن اللـه لشـيء، مـا أذن لنبي حسن الصوت يتغـنى بـالقرآن)، أي يجهـر بـه، والأذن: الاستماع لدلالة السـياق عليـه، وكمـا قـال تعـالى: ﴿إِذَا السَّـمَاءُ انْشَـقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَـا وَحُقَّتْ﴾ [الانشـقاق: 1ـ 2]، أي استمعت لربها، وحقت: أي وحق لها أن تسـتمع أمـره وتطيعـه، فالأذن ههنا هو الاستماع)[2]

ويدل لهذا ما ورد في حديث آخر: (لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر بـه من صـاحب القينـة إلى قينته)[3]

[الحديث: 84]ـ وهـو في فضـل قـراءة القـرآن الكـريم بالأصوات الحسنة الخاشعة، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[4]، وقال: (زينوا القرآن بأصواتكم)[5]

[الحديث: 85] وهو ما ورد في السنة العملية من اهتمام رسول الله ﷺ بقراءة القرآن الكريم بـأداء حسـن خاشـع، ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما حدث به بعض أصحاب رسول اللـه ﷺ قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [الـتين: 1] في العشاء، وما سمعت أحدا أحسن صوتا منه أو قراءة)[6]

وقـال آخـر: (سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـرأ في المغرب بـالطور، فما سمعت أحـدا أحسـن صـوتا أو قـراءة منـه.. فلما

1() البخاري (5024)، ومسلم ح (792)
2() تفسير ابن كثير (7/478 -479) (فضائل القرآن)
3() ابن ماجه ح (1340)
4() البخاري ح (7527)
5() أحمد ح (18517)، وابن خزيمة ح (1556)
6() البخاري ح (769)، ح (7546)، ومسلم (464)

سمعته قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، كاد قلبي يطير)، وفي رواية: (خلت فؤادي ينصدع)[1]

وقال آخر: (قرأ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، وهو على ناقته قراءة لينة يقرأ وهو يرجع.. فما سمعت قراءة أحسن منها يرجّع)[2]

[الحديث: 86] وهو في الأمر بتعاهد القرآن الكريم واستذكاره، حفظا لألفاظه ومعانيه، لتأثير ذلك في التزكية والترقية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه)[3]

[الحديث: 87] وهو في النهي عن نسيان القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت، بل هو نسي، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها)[4]

وفي رواية: (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده، لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)[5]

وقد قال بعض العلماء في تفسيره: (هذا الحديث يوافق الآيتين: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17]، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له، ومن أعرض عنه تفلت منه)[6]

ولهذا كان من سنة النبي ﷺ وأئمة الهدى من بعده تخصيص قدر من القرآن الكريم يوميا، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)[7]

1() البخاري ح (765)، ح (4854)، ومسلم ح (463)
2() البخاري ح (5048)
3() البخاري ح (5031)، ومسلم ح (789)
4() البخاري ح (5032)، ومسلم ح (790)
5() البخاري ح (5033)، ومسلم ح (791)
6() شرح صحيح البخاري لابن بطال (10 /268)
7() مسلم ح (747)

وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ كان يأتي وفد ثقيف لما قدموا عليه فيحدثهم، وأنه أبطأ عليهم ليلة فقالوا: لقد أبطأت عنا الليلة؟ قال: (إنه طرأ علي جزئي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه)[1]

وفي حديث آخر: أمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن يقرأ القرآن في سبع ولا يزيد على ذلك، حيث قال له حين بلغه اجتهاده في العبادة: (واقرأ القرآن في كل شهر)، قال: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: (فاقرأه في كل عشرين)، قال: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال: (فاقرأه في كل عشر)، قال: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: (فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك)[2]

ب ـ الأحاديث المقبولة في المصادر الشيعية:

من الأحاديث الواردة في المصادر الشيعية، والتي يمكن اعتبارها محل اتفاق بين الأمة جميعا، وهي تشبه كثيرا نظيراتها في المصادر السنية الأحاديث التالية:

[الحديث: 88]ـ وهو قوله ﷺ في بيان خصائص القرآن الكريم، وما أودع الله تعالى فيه من أنواع الرحمة والهداية المرتبطة بالدنيا والآخرة: (القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الاحزان، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الاخرة وفيه كمال دينكم)[3]

[الحديث: 89]ـ وهو عبارة عن خطبة شاملة في فضائل القرآن الكريم ووظائفه، ونصها هو قوله ﷺ: (أيها الناس، إنكم في زمان هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبلين كل جديد ويقربن كل بعيد ويأتين بكل موعد ووعيد، فأعدوا الجهاز لبعد المفاز)، فقام بعض الصحابة، فقال: يا رسول الله فما تأمرنا نعمل؟ فقال: (إنها دار بلاء وابتلاء وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الامور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على السبيل، وهو كتاب تفصيل

1() أبو داود ح (1393)
2() البخاري ح (5054)، ومسلم ح (1159)
3() تفسير العياشي ج 1 ص 5.

وبيـان وتحصـيل، هـو الفصـل ليس بـالهزل، ولـه ظهـر وبطن، فظـاهره حكم اللـه وباطنـه علم اللـه تعـالى، فظـاهره وثيـق، وباطنه له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبـه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليـل على المعرفـة لمن عرف النصفة، فليرع رجـل بصـره، وليبلـغ النصـفة نظـره، ينجـو من عطب ويتخلص من نشـب، فـإن التفكـر حيـاة قلب البصـير، كمـا يمشـي المسـتنير والنـور يحسـن التخلص ويقـل التربص)[1]

[الحديث: 90] وهو قوله ﷺ في وصيته لأمته، وما تركـه من العواصم التي تحميهـا من كـل القواصـم: (كـأني قـد دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحـدهما أكـبر من الآخـر كتـاب الله تبارك وتعالى حبل ممدود من السـماء إلى الارض وعـترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[2]

[الحديث: 91] وهو قوله ﷺ في بيان عظم نعمة القرآن الكريم، والنهي عن جحودها: (من أعطاه الله القـرآن فـرأى أن أحدا اعطي شيئا أفضـل ممـا اعطي فقـد صـغر عظيمـا وعظم صغيرا)[3]

[الحـديث: 92] وهـو في بيـان دور القـرآن الكـريم في حماية الأمة من الفتن، أفرادا أو مجموعات، وقد قاله ﷺ عنـدما قيل له: إن أمتك ستفتتن، فسئل ما المخـرج من ذلـك؟ فقـال: (كتاب اللـه العزيـز الـذي لا يأتيـه الباطـل من بين يديـه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميـد، من ابتغى العلم في غـيره أضـله الله، ومن ولي هذا الأمر من جبار فعمل بغيره قصمه الله، وهو الذكر الحكيم والنور المبين، والصراط المستقيم، فيـه خـبر مـا قبلكم، ونبـأ مـا بعـدكم، وحكم مـا بينكم، وهـو الفصـل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فلم تناها أن قـالوا: ﴿إِنَّا سَـمِعْنَا قُرْآنًـا عَجَبًـا (1) يَهْـدِي إِلَى الرُّشْـدِ فَآمَنَّا بِـهِ وَلَنْ نُشْـرِكَ بِرَبِّنَـا أَحَدًا﴾ [الجن: 1ـ 2] لا يخلق على طول الرد ولا ينقضي عـبره، ولا تفنى عجائبه)[4]

[الحديث: 93] وهو في بيان احتواء القرآن الكريم على

1() نوادر الراوندي: 21، 22.
2() عيون الاخبار ج 2 ص 31.
3() معانى الاخبار: 279.
4() تفسير العياشي ج 1 ص 6.

كل ما ورد في الكتب المقدسة السابقة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (أعطيت الطوال مكان التوراة، واعطيت المئين مكان الانجيل، واعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل: سبع وستين سورة)[1]

[الحديث: 94] وهو في بيان منزلة قارئ القرآن الكريم، وأنه أحق بالمنافسة والغبطة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لا حسد إلاّ في اثنتين: (رجلٌ أتاه الله مالاً، فهو ينفق منه آناء اللّيل وآناء النهار.. ورجلٌ آتاه القرآن، فهو يقوم به آناء اللّيل وآناء النهار)[2]

[الحديث: 95] وهو في الترغيب في تضمين القرآن الكريم في الحديث، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن كان القرآن حديثه والمسجد بيته، بنى الله له بيتاً في الجنّة)[3]

[الحديث: 96] وهو في الوصية بالقرآن الكريم ونص الحديث هو قوله ﷺ: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله كثيراً، فإنّه ذكرٌ لك في السماء، ونورٌ لك في الأرض)[4]

[الحديث: 97] وهو في الترغيب في وعي القرآن الكريم وتدبره، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (لا يعذِّب الله قلباً وعى القرآن)[5]

[الحديث: 98] وهو في التحذير من الاكتفاء بقراءة القرآن الكريم دون تفعيله في الحياة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (تكلّم النار يوم القيامة ثلاثة: أميراً وقارئاً وذا ثروة من المال.. فتقول للأمير: يا مَن وهب الله له سلطاناً فلم يعدل.. فتزدرده كما تزدرد الطير حبَّ السمسم.. وتقول للقارئ: يا مَن تزيّن للناس وبارز الله بالمعاصي.. فتزدرده، وتقول للغنيّ: يا مَن وهب الله له دُنياً كثيرة واسعة فيضاً، وسأله الحقير اليسير قرضاً، فأبى إلا بُخلاً.. فتزدرده)[6]

[الحديث: 99] وهو في التحذير من التعامل السلبي مع القرآن الكريم، وعدم الانفعال لمعانيه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن قرأ القرآن ثمّ شرب عليه حراماً، أو آثر عليه حبّاً للدنيا

1() تفسير العياشي ج 1 ص 25.
2() بحار الأنوار: 89/198، والخصال 1/38.
3() بحار الأنوار: 89/198، وأمالي الصدوق ص300.
4() بحار الأنوار: 89/198، والخصال 2/105.
5() بحار الأنوار: 89/178، وأمالي الطوسي 1/5.
6() بحار الأنوار: 89 /179، والخصال 1/55.

وزينتها، استوجب عليه سخط الله إلاّ أن يتوب، ألا وإنّه إن ماتٍ على غير توبة حاجّه القرآن يوم القيامة، فلا يزايله إلاّ مدحوضاً)[1]

[الحـديث: 100] ـ وهـو في بيـان دور الانفعـال والتـأثر بالقرآن الكريم في وقاية المؤمن من العذاب، ونص الحديث هو أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قـال لـه: يـا رسـول اللـه.. إنّي أخاف أن أتعلّم القرآن ولا أعمل بـه، فقـال رسـول اللـه ﷺ: (لا يعذّب الله قلباً أسكنه القرآن)[2]

[الحديث: 101] وهو في الدعوة إلى تكريم أهل القرآن الكريم المنفعلين بمعانيه، ونص الحديث هـو قولـه ﷺ: (إنّ اللـه تعالى جواد يحبّ الجود، ومعالي الأمور، ويكـره سفسـافها، وإنّ من عظم جلال الله تعالى إكرام ثلاثة: ذي الشيبة في الإســلام، والإمام العادل، وحامل القرآن غير الغالي ولا الجافي عنه)[3]

[الحديث: 102] ـ وهو في التحـذير من التعامـل السـلبي مع القرآن الكريم، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (كمّ من قـارئ القرآن والقـرآن يلعنـه)[4]، وقـد صـيغ بعبـارة مختصـرة ليكـون بمثابة القانون والحكمة التي يحفظها كل الناس.

[الحديث: 103] ـ وهو في تفضيل قراءة القـرآن الكـريم على الدعاء، وبيان أنه يعوضه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (قـال اللــه تبــارك وتعــالى: مَن شــغله قــراءة القــرآن عن دعــائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين)[5]

[الحـديث: 104] ـ وهـو في الـدعوة إلى قـراءة القـرآن الكريم في البيوت، ونص الحديث هـو قولـه ﷺ: (نـوّروا بيـوتكم بتلاوة القرآن.. ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهـود والنصـارى ـ صلّوا في البيع والكنائس، وعطّلوا بيوتهم ــ فـإنّ الـبيت إذا كثُـر فيه تلاوة القرآن كثُر خيره، وأمتع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا)[6]

[الحديث: 105] وهو في الترغيب في قراءة القرآن في البيوت، وبيان العوض الإلهي لمن يفعل ذلك، ونص الحديث هــو

1() بحار الأنوار: 89/180، وأمالي الصدوق ص256.
2() بحار الأنوار: 89/184، وجامع الأخبارص56.
3() بحار الأنوار: 89/184، ونوادر الراوندي ص7.
4() بحار الأنوار: 89/185، وأسرار الصلاة.
5() بحار الأنوار: 89/200، وعدة الداعي ص211.
6() بحار الأنوار: 89/200، وعدة الداعي ص211.

قوله ﷺ: (اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن، فإنّ البيت إذا قرئ فيه يسّر على أهله، وكثُر خيره، وكان سكّانه في زيادة، وإذا لم يُقرأ فيه القرآن ضُيّق على أهله، وقلّ خيره، وكان سكّانه في نقصان)[1]

[الحديث: 106] ـ وهو في بيان احتواء القرآن الكريم على الحقائق الكبرى التي تقوم عليها الحياة المستقيمة، وأن ذلك في كل آياته، ونص الحديث هو أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ ﷺ ليعلّمه القرآن فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8]، فقال: يكفيني هذا وانصرف، فقال رسول الله ﷺ: (انصرف الرجل وهو فقيه)[2]

[الحديث: 107] ـ وهو في بيان دور القرآن الكريم في تحقيق الشفاء بمفهومه الواسع، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله)[3]

[الحديث: 108] ـ وهو في بيان دور القرآن الكريم في الشفاء من الأمراض الحسية، ونص الحديث هو أن رجلا شكا إلى النبي ﷺ وجعاً في صدره، فقال ﷺ: (استشف بالقرآن فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57])[4]

وهذا لا يعني الاقتصار عليه، وإنما يدل على أن الشفاء مرتبط بالعلاج الحسي والروحي، والقرآن الكريم هو أعظم العلاجات الروحية لما فيه من المعاني السامية التي توفر الراحة والسكينة للمريض مما ييسر علاجه، بالإضافة إلى البعد الغيبي في ذلك.

[الحديث: 109] ـ وهو في بيان دور القرآن الكريم في الشفاء من الأمراض الحسية، مقرونا بغيره من العلاجات والأدوية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (شفاء أمّتي في ثلاث: (آية من كتاب الله، أو لعقة من عسل، أو شرطة حجّام)[5]

[الحديث: 110] ـ وهو الدعاء المرتبط بحفظ القرآن الكريم، ويحوي ضمن معانيه شروط ذلك الحفظ من الطاعة والتعهد وكثرة التلاوة وغير ذلك، ونص الحديث هو قوله ﷺ:

---

[1] بحار الأنوار: 89/200، وعدة الداعي ص211.
[2] بحار الأنوار: 89/107، وأسرار الصلاة.
[3] بحار الأنوار: 89/176، ومكارم الأخلاق ص418.
[4] بحار الأنوار: 89/176، وعدة الداعي.
[5] بحار الأنوار: 89/176، وعدة الداعي.

(أُعلّمـك دعـاء لا تنسـى القـرآن، قـل: اللّهمّ.. ارحمـني بـترك معاصـيك أبـداً مـا أبقيتـني، وارحمـني من تكلّـف مـا لا يعنيـني، وارزقني حسن النظر فيما يرضـيك، والـزم قلـبي حفـظ كتابـك كما علّمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الّـذي يرضـيك عنّي.. اللّهمّ نوِّر بكتابك بصري، واشرح به صدري، وأطلق بـه لسـاني، واستعمل به بـدني، وقـوّني بـه على ذلـك، وأعنّي عليـه، إنّـه لا يعين عليه إلاّ أنت، لا إله إلاّ أنت)[1]

[الحـديث: 111]ـ وهـو في بيـان كيفيـة ترتيـل القـرآن الكريم، ليبسر تدبره، ونص الحديث هـو أنـه ﷺ سـئل عن قولـه تعـالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُـرْآنَ تَـرْتِيلاً﴾ [المزمـل: 4]، فقـال ﷺ: (بيّنـه تبيانـاً، ولا تنـثره نـثر الرمّـل، ولا تهـذّه هـذَّ الشـعر، قفـوا عنـد عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخـر السـورة)[2]

[الحديث: 112]ـ وهـو في الـدعوة إلى اسـتماع القـرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ لبعض أصـحابه: (اقـرأ عليّ)، فافتتح سورة النسـاء، فلمّـا بلـغ: ﴿فَكَيْـفَ إِذَا جِئْنَـا مِنْ كُـلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 41] ذرفت عينـاه ﷺ من الدمع، ثم قال: (حسبك الآن)[3]

[الحديث: 113]ـ وهـو في الـدعوة إلى الانفعـال والتـأثر للقرآن الكريم، وعدم الاكتفـاء بترديـده مجـردا عن ذلـك، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (اقـرؤا القـرآن مـا ائتلفت عليـه قلـوبكم، ولانت عليه جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤنه)[4]

[الحديث: 114]ـ وهـو في الـترغيب في قـراءة القـرآن الكريم بالأصوات الحسنة، ونص الحديث هو قولـه ﷺ: (إنّ لكـلِّ شيءٍ حليةً، وحلية القرآن الصوت الحسن)[5]

[الحديث: 115]ـ وهـو في بيـان كيفيـة تحسـين الصـوت بالقرآن الكريم، وعلاقته بالخشـوع، وكونـه هـو المقصـود، ونص الحـديث هـو أن النـبيّ ﷺ سـئل: (أي النـاس أحسـن صـوتاً بالقرآن؟)، فقال: (مَن إذا سمعت قراءته رأيت أنّه يخشى الله)

1() بحار الأنوار: 89/209، وعدة الداعي.
2() بحار الأنوار: 89/215، ونوادر الراوندي ص30.
3() بحار الأنوار: 89/216، وأسرار الصلاة.
4() بحار الأنوار: 89/216، وأسرار الصلاة.
5() بحار الأنوار: 89/190، وجامع الأخبار ص57.

[1]
[الحديث: 116]ـ وهو في النهي عن الاهتمام بالأداء الصوتي للقرآن الكريم دون تدبر أو اهتمام بالعمل به، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إني أخاف عليكم استخفافاً بالدين، وبيع الحكم، وقطيعة الرّحم، وأن تتّخذوا القرآن مَزامير، تقدِّمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين)[2]

[الحديث: 117]ـ وهو في الترغيب في القراءة من المصحف، والدعوة إلى اقتناء المصاحف في البيوت، وأثرها فيها، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ليس شيءٌ أشدّ على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً، والمصحف في البيت يطرد الشيطان)[3]

[الحديث: 118]ـ وهو في الترغيب في قراءة القرآن الكريم وبيان دوره في الحياة الدنيا والآخرة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحسرة والظلل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فانه كلام الرحمن وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان)[4]

[الحديث: 119]ـ وهو في بيان توزع الدرجات في الجنة على حسب آيات القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فاذا دخل صاحب القرآن الجنة قيل له: ارقأ واقرأ لكل آية درجة فلا تكون فوق حافظ القرآن درجة)[5]

[الحديث: 120]ـ وهو في بيان مظهر من مظاهر التجاوب مع القرآن الكريم، ونص الحديث هو أنه ﷺ كان يكثر قراءة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: 1]، فإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: 40] قال: (بلى وأنا على ذلك من الشاهدين)[6]

[الحديث: 121]ـ وهو في بيان فضل الآيات المعرفة بالله، ونص الحديث هو أنه ﷺ سئل: أيّ آية أنزلها الله عليك

1() بحار الأنوار: 89/195.
2() بحار الأنوار: 89/194، والعيون 2/42.
3() بحار الأنوار: 89/196، وعدة الداعي.
4() بحار الأنوار: 92 / 19 / 18.
5() بحار الأنوار: (92/ 22)
6() بحار الأنوار: 89/219، والدر المنثور 6/296.

أعظم، فقال: (آية الكرسيّ)[1]

[الحديث: 122] وهو في الحث على تجويد كتابة القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن كتب بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، فجوَّده تعظيماً لله غفر الله له)[2]

[الحديث: 123] وهو في دور القرآن الكريم في تحصين المؤمن، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن قرأ أربع آيات من أوّل البقرة وآية الكرسيّ وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم يرَ في نفسه وماله شيئاً يكرهه، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن)[3]

[الحديث: 124] وهو في بيان فضائل القرآن الكريم، وآثاره في حياة أهله، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (القرآن مأدبة الله، فتعلّموا من مأدبة الله ما استطعتم، إنه النور المبين، والشفاء النافع، تعلّموه فإنّ الله يشرّفكم بتعلّمه.. تعلّموا سورة البقرة وآل عمران.. فإنّ أخذهما بركة، وتركهما حسرة، ولا يستطيعهما البطلة، وإنهما ليجيئان يوم القيامة كأنه غمامتان أو عباءتان، أو فرقان من طير صوافّ، يحاجّان عن صاحبهما، ويحاجّهما ربّ العزّة، يقولان: يا ربّ.. إنّ عبدك هذا أقرأنا، وأظمأنا نهاره، وأسهرنا ليله، وأنصبنا بدنه.. وإنّ والدي القاري ليتوّجان بتاج الكرامة، يضيء نوره من مسيرة عشرة آلاف سنة، ويكسيان حلّة لا يقوم لأقلّ سلكٍ منها مائة ألف ضعف ما في الدنيا، بما يشتمل عليه من خيراتها، ثم يُعطى هذا القارئ الملك بيمينه في كتاب، والخلد بشماله في كتاب.. ثم يقال له: اقرأ وارق، ومنزلك عند آخر آية تقرأها، فإذا نظر والداه إلى حليتهما وتاجيهما قالا: ربنا أنى لنا هذا الشرف، ولم تبلغه أعمالنا؟.. فقال لهما: إكرام الله عزّ وجلّ هذا لكما، بتعليمكما ولدكما القرآن)[4]

وقد حذفت من الحديث بعض ما فيه من المبالغات، أو ما يرتبط بإمامة علي، والتي لها نصوصها الخاص بها.

[الحديث: 125] وهو في الترغيب في قراءة القرآن الكريم، وبيان مكانتها ومكانة المهتمين بها، وفضل سورة يس،

1() بحار الأنوار: 89/262، ومعاني الأخبار ص333، الخصال 2/104.

2() بحار الأنوار: 89/35، ومنية المريد.

3() بحار الأنوار: 89/265، وثواب الأعمال ص94.

4() بحار الأنوار: 89/268، وتفسير الإمام ص28.

ونص الحديث هو قوله ﷺ: (القرآن أفضل من كلّ شيءٍ دون الله، فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله، ومن لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحقّ الله، وحرمة القرآن كحرمة الوالد على ولده، وحملة القرآن المحفوفون برحمة الله، الملبوسون نور الله، يقول الله: يا حملة القرآن.. استحبّوا الله بتوقير كتاب الله يزد لكم حبّاً، ويحبّبكم إلى عباده، يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، وعن قارئها بلوى الآخرة، ولمستمع آية من كتاب الله خيرٌ من ثبير ذهباً، ولتالي آية من كتاب الله أفضل مما تحت العرش إلى أسفل التخوم، وإنّ في كتاب الله سورة، يُدعى صاحبها الشريف عند الله، يشفع لصاحبها يوم القيامة، مثل ربيعة ومضر.. ألا وهي سورة يس.. وفيها عشر بركات: ما قرأها جائعٌ إلا شبع، ولا ظمآنٌ إلا رُوي، ولا عارٍ إلا كُسي، ولا عزبٌ إلا تزوّج، ولا خائفٌ إلا أمن، ولا مريضٌ إلا برأ، ولا محبوسٌ إلا أُخرج، ولا مسافرٌ إلا أُعين على سفره، ولا يقرأون عند ميت إلا خفّف الله عنه، ولا قرأها رجلٌ له ضالةٌ إلا وجدها)[1]

[الحديث: 126] ـ وهو في فضل سورة يس، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (سورة يس تدعى[2] المعمّة، تعمّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتسمّى الدّافعة والقاضية، وتدفع عن صاحبها كلّ سوء، وتقضي له كلّ حاجة)[3]، وقد حذفت من الحديث بعض ما فيه من المبالغات التي قد تسيء إلى سائر القيم.

[الحديث: 127] ـ وهو في الأعمال المرتبطة بحفظ القرآن الكريم، ودعائه، وهو يحوي المعاني التي تيسر الحفظ، ونص الحديث هو قوله ﷺ لمن شكا له نسيان القرآن: (صلّ ليلة الجمعة أربع ركعات: تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبالم تنزيل السجدة، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصّل.. فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثنِ عليه وصلّ على النبيين، واستغفر للمؤمنين، ثم قل: (اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلّف ما لا

1() بحار الأنوار: 89/291، وجامع الأخبار ص47.

2() حذفت هنا كلمة (في التوراة)، لعدم ورود ما يدل على ذلك في القرآن الكريم أو في الواقع.

3() بحار الأنوار: 89/291، والدر المنثور 5/256.

يعنيني، وارزقني حُسن النظـر فيمـا يرضـيك عـني.. اللهم بـديع السـموات والأرض ذا الجلال والإكـرام، والعـزّة الـتي لا تـرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك، أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علّمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك.. وأسألك أن تنوّر بالكتاب بصري، وتنطق بـه لسـاني، وتفـرّج بـه عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقوّيـني على ذلك، وتعينني عليه، فإنه لا يعينني على الخـير غـيرك، ولا يوفّـق له إلا أنت)، فافعل ذلك ثلاث جمـع، أو خمسـاً أو سـبعاً، تحُفـظ بإذن الله، وما أخطأ مؤمناً قط)[1]

[الحديث: 128]ـ وهو في فضـل قـراءة القـرآن الكـريم في كل الأحوال، ونص الحديث هو قولـه ﷺ بعـد وفـاة سـعد بن معاذ، وصلاته عليه: (لقد وافى من الملائكة للصلاة عليه تسعون ألف ملك، وفيهم جبرائيل يصلّون عليه، فقلت: (يا جبرائيل.. بما استحقّ صلاتكم عليـه؟).. قـال: (بقراءتـه ﴿قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ [الإخلاص: 1] قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً)[2]

[الحـديث: 129]ـ وهـو في ارتبـاط التفاضـل بين آيـات القرآن الكريم وسوره بما فيها من المعارف، ونص الحديث هـو قوله ﷺ: (مَن قرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1] مرّة فكأنّما قـرأ ثلث القـرآن، ومَن قرأهـا مـرّتين فكأنّمـا قـرأ ثلـثي القرآن، ومَن قرأها ثلاث مرّات فكأنّما قرأ القرآن)[3]

[الحديث: 130]ـ وهو في أن العلاقة الكاملة مع القـرآن الكريم لا تكون إلا بحبه، ونص الحديث هو أن رجلا قال لرسـول الله ﷺ: (إنّي أحبّ هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ [الإخلاص: 1]، فقال رسول الله ﷺ: (حبّك إيّاها أدخلك الجنّة)[4]

[الحديث: 131]ـ ومثله مـا روي أن النـبيّ ﷺ بعث رجلاً في سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صـلاتهم فيختم ب ﴿قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1]، فلمّا رجعوا ذكروا ذلـك لرسـول اللـه ﷺ فقال: (سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك؟.. فسـألوه فقـال: (لأنّهـا صفة الرّحمن، فأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقـال النـبيّ ﷺ: (أخـبروه أنّ الله تعالى يحبّه)[5]

1() بحار الأنوار: 89/294، والدر المنثور 5/257.
2() بحار الأنوار: 89/347، والتوحيد ص54، أمالي الصدوق ص238.
3() بحار الأنوار: 89/350، والمحاسن ص153.
4() بحار الأنوار: 89/351، والدر المنثور 6/609ـ 616.
5() بحار الأنوار: 89/356، والدر المنثور 6/609 ـ 616.

[الحديث: 132]ـ وهو في استعمال القرآن الكريم في التحصين والبركة، وكيفية ذلك، ونص الحديث هو أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلّ ليلةٍ، جمع كفّيه ثمّ نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾، و﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾، و﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾، ثمّ يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرّات)[1]

[الحديث: 133]ـ وهو في فضل الجمع بين الذكر والتلاوة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله كثيراً، فإنه ذكرٌ لك في السماء، ونورٌ لك في الأرض)[2]

[الحديث: 134]ـ وهو في فضل تنظيف الفم قبل قراءة القرآن الكريم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (نظّفوا طريق القرآن)، قيل: يا رسول الله، وما طريق القرآن؟، قال: (أفواهكم)، قيل: بماذا؟.. قال: (بالسواك)[3]

[الحديث: 135]ـ وهو في فضل بعض الآيات والسور القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (منّ عليّ ربّي وقال لي: يا محمّد.. أرسلتك إلى كلّ أحمر وأسود، ونصرتك بالرّعب، وأحللت لك الغنيمة، وأعطيتك لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: (فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة)[4]

[الحديث: 136]ـ وهو في دور البسملة في تحقيق حاجات الدنيا والآخرة، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن حزنه أمر تعاطاه، فقال: ﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾، وهو مخلص لله، ويقبل بقلبه، لم ينفكّ من إحدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وإمّا يُعدّ له عند ربّه ويدّخر لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين)[5]

2 ـ الأحاديث الموقوفة على أئمة الهدى:

وهي كثيرة جدا، وأكثرها يدعو إلى تفعيل القرآن الكريم في الحياة، ومواجهة الفتن، وخاصة بعد انشغال الناس بالقصص والأساطير التي نشرتها الفئة الباغية لتبعد الأمة عن كتابها وهداتها، وسنقتصر هنا على أشهر تلك الروايات مصنفين

1() بحار الأنوار: 89/359، والدر المنثور 6/609 ـ 616.
2() بحار الأنوار: 89/154، ومعاني الأخبار ص334، الخصال 2/105.
3() بحار الأنوار: 89/213، والمحاسن ص558.
4() بحار الأنوار: 89/230، ومعاني الأخبار ص50، العلل 1/121.
5() بحار الأنوار: 89/233، والتوحيد ص163.

لها بحسب قائلها.

أ ـ أحاديث الإمام علي:

نلاحظ من خلال خطب وأحاديث الإمام علي الكثيرة دعوته إلى القرآن الكريم، وتفعيله في الحياة بجميع جوانبها، مع الدعوة إلى الرجوع إليه لمواجهة الفتن التي حلت بالأمة، ومن تلك الأحاديث.

[الحديث: 137] قوله في بعض خطبه: (.. فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليهم أنفسهم، أتم نوره، وأكرم به دينه، وقبض نبيه ﷺ، وقد فرغ إلى الخلق من احكام الهدى به، فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه، فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه، ولم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلا وجعل له علما باديا، وآية محكمة تزجر عنه، أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد)[1]

[الحديث: 138] وهو قوله في خطبة طويلة له: (ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفا مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا لا يدرك قعره، ومنهاجا لا يضل نهجه، وشعاعا لا يظلم ضوؤه، وفرقانا لا يخمد برهانه، وتبيانا لا تهد أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزا لا تهزم أنصاره، وحقا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه وأثافي الاسلام وبنيانه وأودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لايجوز عنها القاصدون، جعله الله ريا لعطش العلماء، وربيعا لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورا ليس معه ظلمة، وحبلا وثيقا عروته، ومعقلا منيعا ذروته، وعزا لمن تولاه، وسلما لمن دخله، وهدى لمن أئتم به، وعذرا لمن انتحله، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهدا لمن خاصم به، وفلجا لمن حاج به، وحاملا لمن حمله ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام، وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى، وحكما لمن قضى)[2]

[الحديث: 139] وهو قوله في خطبة له: (واعلموا أنه

1() نهج البلاغة الرقم 181 من الخطب.

2() نهج البلاغة الرقم 196 من الخطب.

ليس من شئ إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلا الحياة فانه لا يجد في الموت راحة، وإنما ذلك بمنزلة الحكمة الـتي هي حيـاة للقلب الميت، وبصر للعين العمياء، وسـمع للاذن الصـماء، وري للظمآن، وفيهـا الغنـا كلـه والسـلامة.. كتـاب اللـه تبصـرون بـه وتسمعون به وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله، قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم، ونبت المرعى على دمنكم وتصافيتم على حب الآمال، وتعاديتم في كسب الاموال، لقـد اسـتهام بكم الخـبيث، وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وأنفسكم)[1]

[الحديث: 140] وهو قوله في خطبة له: (عليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين، والنور المـبين، والشـفاء النـافع، والـري الناقع، والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع من قـال بـه صدق، ومن عمل به سبق)[2]

[الحديث: 141] وهو قوله في خطبة لـه: (أرسـله على حين فـترة من الرسـل، طـول هجعـة من الامم، وانتقـاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه، والنور المقتدى به، ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطـق ولكن أخـبركم عنـه، ألا إن فيـه علم مـا يـأتي، والحـديث عن الماضـي، ودواء دائكم، ونظـر مـا بينكم)[3]

[الحديث: 142] وهو قوله في خطبـة لـه: (واعلمـوا أن هذا القرآن هـو الناصـح الـذي لا يغش، والهـادي الـذي لا يضـل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى.. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقـة، ولا لاحـد قبـل القـرآن من غـنى، فاستشـفوه من أدوائكم واسـتعينوا بـه على لاوائكم، فـان فيـه شـفاء من أكـبر الـداء، وهـو الكفـر والنفـاق والغي والضلال، فاسـألوا اللـه بـه، وتوجهـوا إليـه بحبـه ولا تسـألوا بـه خلقه، إنه ما توجه العبـاد إلى اللـه بمثلـه.. واعلمـوا أنـه شـافع مشفع، وقائل مصدق، وإنـه من شـفع لـه القـرآن يـوم القيامـة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامـة صـدق عليـه، فانـه

1() نهج البلاغة الرقم 131 من الخطب.
2() نهج البلاغة الرقم 154 من الخطب.
3() نهج البلاغة الرقم 156 من الخطب.

ينـادي منـاد يـوم القيامـة: ألا إن كـل حـارث مبتلى في حرثـه وعاقبة عملـه، غـير حرثـة القـرآن، فكونـوا من حرثته وأتباعـه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهمـوا عليـه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم وساق الخطبـة إلى قولـه: وإن الله سـبحان لم يعـظ أحـدا بمثـل هـذا القـرآن فانـه حبـل اللـه المـتين، وسـببه الامين، وفيـه ربيـع القلب، وينـابيع العلم، ومـا للقلب جلاء غيره، مع أنه قـد ذهب المتـذكرون، وبقي الناسـون والمتناسون، إلى آخر الخطبة)[1]

[الحديث: 143]ـ وهو قوله في خطبـة لـه: (نشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بكتاب فصله، وأحكمه وأعزه، وحفظـه بعلمـه، وأحكمـه بنـوره، وأيده بسلطانه، وكلاه من لم يتنزه هوى أو يميـل بـه شـهوة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيـل من حكيم حميـد، ولا يخلقه طول الرد، ولا يفنى عجائبه، من قال بـه صـدق، ومن عمل أجر، ومن خاصم به فلج، ومن قاتل به نصر، ومن قام بـه هدي إلى صراط مستقيم. فيه نبأ من كان قبلكم، والحكم فيمـا بينكم، وخبر معادكم، أنزله بعلمه وأشهد الملائكة بتصديقه قـال الله جـل وجهـه:﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْـهَدُ بِمَـا أَنْـزَلَ إِلَيْـكَ أَنْزَلَـهُ بِعِلْمِـهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 166]، فجعلـه الله نورا يهدى للتي هو أقوم وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـاهُ فَـاتَّبِعْ قُرْآنَـهُ﴾ [القيامة: 18]، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُـوا مِنْ دُونِـهِ أَوْلِيَـاءَ قَلِيلًا مَـا تَـذَكَّرُونَ﴾ [الأعـراف: 3]، وقـال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَـوْا إِنَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ ﴾ [هـود: 112]، ففي اتبـاع مـا جـاءكم من اللـه الفـوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين، قال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِـلُّ وَلَا يَشْـقَى﴾ [طـه: 123]، فجعـل في اتباعه كل خير يرجى في الدنيا والاخـرة، فـالقرآن آمـر وزاجـر، حد فيه الحدود، وسن فيه السنن، وضرب فيـه الأمثـال، وشـرع فيه الدين، إعذرا أمر نفسـه وحجـة على خلقـه، أخـذ على ذلـك ميثاقهم، وارتهن عليه أنفسهم، ليبين لهم ما يأتون ومـا يتقـون، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله سميع عليم)[2]

---

[1] () نهج البلاغة الرقم 174 من الخطب.
[2] () تفسير العياشي ج 1 ص 7.

[الحـديث: 144]ـ وهـو قولـه في التحـذير من التعامـل السـلبي مـع القـرآن الكـريم: (إنّ في جهنّم رحى تطحن أفلا تسألوني ما طحنها؟.. فقيل له: (فما طحنها يا أمير المؤمـنين)، فقال: (العلماء الفجـرة، والقـرّاء الفسـقة، والجبـابرة الظلمـة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة)[1]

[الحـديث: 145]ـ وهـو قولـه في فضـل تعليم القـرآن الكريم: (إنّ الله عزّ وجلّ ليهمّ بعذاب أهل الأرض جميعاً حتّى لا يريـد أن يحاشـي منهم أحـداً إذا عملـوا بالمعاصـي، واجـترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشّيب نـاقلي أقـدامهم إلى الصـلوات، والولدان يتعلّمون القرآن، رحمهم وأخّر عنهم ذلك)[2]

[الحديث: 146]ـ وهو قوله في شروط الفقيه الحقيقي، وعلاقتها بـالقرآن الكـريم: (ألا أخـبركم بالفقيـه حقّـاً؟).. قـالوا: (بلى يا أمير المؤمنين !).. قال: (مَن لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يـرخّص لهم في معاصـي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غـيره، ألاَ لا خـير في علمٍ ليس فيه تفهّم، ألاَ لا خير في قراءةٍ ليس فيهـا تـدبّر، ألاَ لا خـيرً في عبادةٍ ليس فيها تفقّه)[3]

[الحـديث: 147]ـ وهـو قولـه في التحـذير من القـراءة الخالية من التدبر: (ألا أخبركم بالفقيـه حقّـاً؟).. قـالوا: (بلى يـا أمير المؤمنين !).. قال: (مَن لم يقنـط النـاس من رحمـة اللـه، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصـي اللـه، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غـيره، ألاَ لا خـير في علمٍ ليس فيه تفهّم، ألاَ لا خـير في قـراءةٍ ليس فيهـا تـدبّر، ألاَ لا خـيرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقّه)[4]

[الحديث: 148] وهو قول الإمام علي في كيفية التفاعل مع القرآن الكريم: (إذا قرأتم من المسبّحات الأخـيرة، فقولـوا: (سـبحان اللـه الأعلى)، وإذا قـرأتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَـلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا تَسْـلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56] فصلّوا عليه في الصلاة كنتم أو في غيرهـا، وإذا قـرأتم: ﴿ والـتين ﴾ فقولـوا في آخرهـا: (ونحن على ذلـك من

---

[1] بحار الأنوار: 89/180، والخصال 1/142.
[2] بحار الأنوار: 89/185، والعلل 2/209.
[3] بحار الأنوار: 89/211، ومعاني الأخبار ص226.
[4] بحار الأنوار: 89/211، ومعاني الأخبار ص226.

الشاهدين، وإذا قرأتم: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136]، فقولوا: (آمنّا بالله حتّى تبلغوا إلى قوله: ﴿ مسلمين ﴾)[1]

[الحديث: 149]ـ وهو قوله في اشتراط اليقين للاستشفاء بالقرآن الكريم: (إذا اشتكى أحدكم عينه فليقرأ آية الكرسيّ، وليضمر في نفسه أنها تبرأ، فإنّه يُعافى إن شاء الله)[2]

ب ـ أحاديث سائر الأئمة:

وهي مثل أحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث الإمام علي، المرغبة في القرآن الكريم جميعا، أو في بعض سوره وآياتها، وبيان دورها في الحياة جميعا، ومن تلك الروايات.

[الحديث: 150] وهو قول الإمام الحسن في دور القرآن الكريم في إجابة الدعاء: (مَن قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة: (إمّا مُعجّلة وإما مُؤجّلة)[3]

[الحديث: 151]ـ وهو قول الإمام الحسن في فضل الآيات المعرفة بالله: (مَن قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك، طُبع بطابع الشهداء، وإن قرأ إذا أمسى فمات في ليلته طُبع بطابع الشهداء)[4]

[الحديث: 152]ـ وهو قول الإمام السجاد في فضل ختم القرآن، لمن سأله: (أي الأعمال أفضل؟)، فقال: (الحالّ المرتحل، قيل له: (وما الحالّ المرتحل؟)، فقال: (فتح القرآن وختمه، كلّما حلّ في أوّله ارتحل في آخره)[5]

[الحديث: 153]ـ وهو قول الإمام السجاد في الدعوة للتدبر: (آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها)[6]

[الحديث: 154]ـ وهو في الدعوة لاستعمال القرآن الكريم في الدعوة إلى الله، ونص الحديث هو أنه روي أن الإمام الكاظم كان حسن الصّوت حسن القراءة، وقال يوما من الأيام: (إنَّ عليَّ بن الحسين كان يقرأ القرآن، فربّما مرَّ به

1() بحار الأنوار: 89/217، والخصال 2/165.
2() بحار الأنوار: 89/263، والخصال 2/158.
3() بحار الأنوار: 89/204، ودعوات الراوندي.
4() بحار الأنوار: 89/310.
5() بحار الأنوار: 89/204، ومعاني الأخبار ص190.
6() بحار الأنوار: 89/216، وعدة الداعي.

المارّ فصُعق من حسن صوته، وإنَّ الإمام لو أظهر في ذلك شيئاً لما احتمله الناس، قيل له: (ألم يكن رسول الله ﷺ يصّلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟.. فقال: (إنَّ رسول الله ﷺ كان يحمل من خلفه ما يطيقون)[1]

[الحديث: 155] وهو قول الإمام الباقر في أصناف قراء القرآن الكريم: (قرّاء القرآن ثلاثة: رجلٌ قرأ القرآن فاتخذه بضاعة، واستدّر به الملوك، واستطال به على الناس، ورجلٌ قرأ القرآن فحفظ حروفه، وضيّع حدوده، ورجلٌ قرأ القرآن ووضع دواء القرآن على دائه، وأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وأقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله عزّ وجلّ البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعز من الكبريت الأحمر)[2]

[الحديث: 156] وهو في التبرك بالقرآن والتحصن به، فقد سئل الإمام الباقر عن المريض هل يعلّق عليه تعويذ أو شيء من القرآن؟.. فقال: (نعم، لا بأس به، إنّ قوارع القرآن تنفع فاستعملوها)[3]

[الحديث: 157] وهو في التحذير من بعض الظواهر السلبية في التعامل مع القرآن الكريم، فقد قيل للإمام الباقر: إنّ قوماً إذا ذُكّروا بشيءٍ من القرآن، أو حُدِّثوا به صُعق أحدهم، حتّى يرى أنه لو قطّعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك، فقال: (سبحان الله.. ذاك من الشيطان، ما بهذا أُمروا، إنّما هو اللّين والرقة والدَّمعة والوجل)[4]

[الحديث: 158] وهو قول الإمام الباقر في فضل سورة الواقعة: (مَن قرأ الواقعة كلّ ليلةٍ قبل أن ينام، لقي الله عزّ وجلّ ووجهه كالقمر ليلة البدر)[5]

[الحديث: 159] وهو قول الإمام الباقر لمن سأله: (علّمني شيئاً إذا أنا قلته كنت معكم في الدُّنيا والآخرة، فكتب بخطه: (أكثر من تلاوة إنّا أنزلناه ورطّب شفتيك بالاستغفار)

1() بحار الأنوار: 89/194، والاحتجاج ص215.
2() بحار الأنوار: 89/178، وأمالي الصدوق ص122.
3() بحار الأنوار: 89/203، وطب الأئمة ص49.
4() بحار الأنوار: 89/212، وأمالي الصدوق ص154.
5() بحار الأنوار: 89/307، وثواب الأعمال ص106.

[1]

[الحديث: 160] وهو قول الإمام الباقر في فضل سورة لقمان: (مَن قرأ سورة لقمان في كلّ ليلةٍ، وكّل الله به في ليلته ملائكةً يحفظونه من إبليس وجنوده حتّى يصبح، فإذا قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتّى يُمسي)[2]

[الحديث: 161] وهو قول الإمام الباقر في الاستشفاء بالقرآن: (مَن لم يبرئه سورة الحمد و﴿ قل هو الله أحد ﴾، لم يبرئه شيءٌ، وكلّ علّةٍ تبرئها هاتين السورتين)[3]

[الحديث: 162] وهو قول الإمام الصادق في فضل التبكير بقراءة القرآن الكريم: (مَن قرأ القرآن وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، جعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيجاً عنه يوم القيامة ويقول:(يا ربّ.. إنّ كلّ عاملٍ قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلّغ به كريم عطاياك، فيكسوه الله عزّ وجلّ حلّتين من حلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثمّ يقال له: هل أرضيناك فيه؟.. فيقول القرآن: يا ربّ.. قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، فيعطي الامن بيمينه، والخلد بيساره. ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرء آية واصعد درجة، ثم يقال له: بلغنا به وأرضيناك فيه؟ فيقول: اللهم نعم.. ومن قرأ كثيرا وتعاهد من شدة حفظه أعطاه الله أجر هذا مرتين)[4]

[الحديث: 163] وهو في بيان خلود القرآن الكريم، وشمول معانيه كل الأزمنة، ونص الحديث هو أن الإمام الصادق سئل: (ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضةً؟.. فقال: (لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قومٍ غضّ إلى يوم القيامة)[5]

[الحديث: 164] وهو في الترغيب في قراءة القرآن الكريم جميعا، وبيان ارتباط منزلة العبد بها، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق: (عليكم بمكارم الأخلاق.. فإنّ الله عزّ وجلّ يحبّها.. وإيّاكم ومذامّ الأفعال.. فإنّ الله عزّ وجلّ يبغضها..

1() بحار الأنوار: 89/328، وثواب الأعمال ص150.
2() بحار الأنوار: 89/287، وثواب الأعمال ص100.
3() بحار الأنوار: 89/234، وطب الأئمة ص39.
4() بحار الأنوار: 89/188، وثواب الأعمال ص91.
5() بحار الأنوار: 17/213، والعيون ص239.

وعليكم بتلاوة القــرآن.. فــإنّ درجــات الجنّــة على عــدد آيــات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: (اقــرأ وارقَ.. فكلّما قرأ آيــة رقــا درجــة.. وعليكم بحســن الخلــق.. فإنّــه يبلــغ بصاحبه درجة الصائم القائم.. وعليكم بحسن الجوار.. فإنّ اللــه عزّ وجلّ أمــر بــذلك.. وعليكم بالسّــواك.. فإنها مطهّــرة وســنّة حســنة.. وعليكم بفــرائض اللــه فأدّوهــا.. وعليكم بمحــارم اللــه فاجتنبوها)[1]

[الحديث: 165]ـ وهو في الترغيب في القــراءة بخشــوع وتأثر، ونص الحديث هــو قــول الإمــام الصــادق: (إنّ اللــه تبــارك وتعــالى أوحى إلى موســى: (إذا وقفت بين يــديّ فقــف وقــف الــذليل الفقــير، وإذا قــرأت التــوراة فأســمعنيها بصــوت حــزين، وكان موسى عليه الســلام إذا قــرأ كــانت قراءتــه حزنــاً، وكأنّمــا يخاطب إنساناً)[2]

[الحــديث: 166]ـ وهــو في بيــان كيفيــة التلاوة، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق في تفسير قولــه تعــالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمــل: 4]: (هــو أن تتمكّث فيــه، وتحسّــن بــه صوتك)[3]

[الحــديث: 167]ـ وهــو في ارتبــاط الكمــال والفضــل بالقرآن الكريم، ونص الحديث هو أن الإمام الصادق قال لرجل: (أتحبّ البقــاء في الــدنيا؟)، قــال: (نعم، قــال: (ولِمَ؟)، قــال: (لقراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فسكت عنــه ثمّ قــال بعــد ســاعة: (مَن مات من أوليائنا وشيعتنا، ولم يحسن القرآن عُلّم في قبره ليرفع الله فيه درجته، فإنّ درجــات الجنّــة على قــدر عــدد آيــات القرآن، فيقال لقارئ القرآن: (اقرأ وارق)[4]

[الحديث: 168]ـ وهــو قــول الإمــام الصــادق في تجســد الصور القرآنية في صور النعيم المرتبطة بها: (مَن نسي ســورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة، ودرجة رفيعة، فإذا رآهــا قال: مَن أنت ما أحسنك؟!.. ليتك لي.. فتقــول: (أمــا تعرفــني؟ أنا سورة كذا وكذا، لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان)[5]

[الحديث: 169]ـ وهــو في التحــذير من نســيان القــرآن

1() بحار الأنوار: 89/197، وأمالي الصدوق ص216.
2() بحار الأنوار: 89/191، ودعوات الراوندي.
3() بحار الأنوار: 89/191، ومجمع البيان 10/378.
4() بحار الأنوار: 89/188، وثواب الأعمال ص116.
5() بحار الأنوار: 89/188، وثواب الأعمال ص213.

الكـريم، ونص الحـديث هـو أن بعضـهم قـال للإمـام الصـادق: (جُعلت فداك.. إنه قد أصابني همومٌ وأشـياءٌ لم يبـقَ شـيءٌ من الخير إلا وقد تفلّت مني منه طائفة، حتى القرآن لقد تفلّت مني طائفة منه)، ففزع الإمام الصادق عند ذلك حين ذكر القرآن، ثم قال: (إن الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يـوم القيامـة حـتى تشـرف عليـه من درجـة من بعض الـدرجات، فيقـول: (السلام عليك، فيقول: (وعليك السلام، مَن أنت؟.. فيقول: (أنـا سورة كذا وكذا، ضيّعتني وتركتني، أما لو تمسّكت بي بلّغت بك هـذه الدرجـة، ثم أشـار بأصـبعه، ثم قـال: (عليكم بـالقرآن فتعلّموه!.. فإنّ من الناس مَن يتعلّم ليُقال: فلان قـارئ، ومنهم مَن يتعلّمـه، ويطلب بـه الصـوت ليقـال: فلان حسـن الصـوت، وليس في ذلـك خـير، ومنهم مَن يتعلّمـه فيقـوم بـه في ليلـه ونهاره، ولا يبالي من علم ذلك ومَن لم يعلمه)[1]

[الحـديث: 170]ـ وهـو قـول الإمـام الصـادق في دور القرآن الكريم في التعريـف باللـه: (لقـد تجلّى اللـه لخلقـه في كلامه، ولكنّهم لا يبصرون)[2]

[الحديث: 171]ـ وهو قـول الإمـام الصـادق في الـدعوة لقراءة القرآن الكريم في البيوت، وبيان فضل ذلك: (إنّ الـبيت إذا كـان فيـه المسـلم يتلـو القـرآن يـتراءاه أهـل السـماء، كمـا يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدرّي في السماء)[3]

[الحديث: 172]ـ وهو قول الإمام الصـادق في الـترغيب في تعلم القـرآن وقراءتـه: (إنّ الّـذي يعـالج القـرآن ليحفظـه بمشقّةٍ منه وقلّة حفظه له أجـران)، ثم قـال: (مـا يمنـع التـاجر منكم المشغول في سـوقه إذا رجـع إلى منزلـه أن لا ينـام حتّى يقرأ سورة من القرآن، فيُكتب له مكـان كـلّ آيـة يقرأهـا عشـر حسنات، ويُمحى عنه عشر سيّئات)[4]

[الحديث: 173]ـ وهـو قـول الإمـام الصـادق في فضـل قراءة القرآن من المصحف: (مَن قرأ في المصحف نظـراً مُتّـع ببصره وخُفّف بوالديه، وإن كانا كافرين)[5]

[الحـديث: 174]ـ وهـو في الـترغيب في رفـع الصـوت

1() بحار الأنوار: 89/189، وعدة الداعي.
2() بحار الأنوار: 89/107، وأسرار الصلاة.
3() بحار الأنوار: 89/200، وعدة الداعي ص211.
4() بحار الأنوار: 89/202، وثواب الأعمال ص93.
5() بحار الأنوار: 89/202، وثواب الأعمال ص93.

بالقرآن من باب الدعوة إلى الله، ونص الحديث هو قوله ﷺ: هو أنه قيل للإمام الصادق: (الرجل لا يرى أنّه صنع شيئاً في الدّعاء والقراءة حتّى يرفع صوته، فقال: (لا بأس، إنّ عليّ بن الحسين كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتّى يسمعه أهل الدار، وإنّ أبا جعفر كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته، فيمرّ به مارّ الطّريق من السقّائين وغيرهم، فيقومون فيستمعون إلى قراءته)[1]

[الحديث: 175] وهو في النهى عن هجر القرآن الكريم، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق: (ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: مسجدٌ خرابٌ لا يصلّي فيه أهله، وعالمٌ بين جهّال، ومصحفٌ معلّقٌ قد وقع عليه غبار لا يُقرأ فيه)[2]

[الحديث: 176] وهو في الترغيب في قراءة القرآن الكريم من المصحف، ونص الحديث هو أن الإمام الصادق سئل: جُعلت فداك.. إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلب، فأقرؤه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟.. فقال: (لا، بل اقرأه وانظر في المصحف، فهو أفضل.. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة)[3]

[الحديث: 177] وهو في الترغيب في قراءة سورة يس، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق: (إنّ لكلّ شيءٍ قلب، وقلب القرآن يس، من قرأها في نهاره قبل أن يمسي، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليلة قبل أن ينام، وكل الله به ألف ملك يحفظونه من شرّ كلّ شيطانٍ رجيم، ومن كلّ آفة، وإن مات في يومه أو في ليلته أدخله الله الجنة، وحضر غسله ثلاثون ألف ملكٍ كلهم يستغفرون له، ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، فإذا أُدخل في لحده كانوا في جوف قبره، يعبدون الله وثواب عبادتهم له، وفُسح له في قبره مدّ بصره، وأُومن من ضغطة القبر، ولم يزل له في قبره نورٌ ساطعٌ إلى أعنان السماء إلى أن يُخرجه الله من قبره، فإذا أخرجه لم يزل ملائكة الله معه، يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه، ويبشّرونه بكلّ خيرٍ حتى يجوزوا

1() بحار الأنوار: 89/195، والسرائر ص476.
2() بحار الأنوار: 89/195، والخصال 1/62.
3() بحار الأنوار: 89/196، وعدة الداعي.

به الصراط والميزان، ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند اللـه خلقاً أقرب منه، إلا ملائكة الله المقرّبون، وأنبيـاؤه المرسـلون، وهو مع النبيين واقفٌ بين يدي الله، لا يحزن مـع من يحـزن، ولا يهتم مع من يهتم، ولا يجزع مـع من يجـزع، ثم يقـول لـه الـربّ تبـارك وتعـالى: (اشـفع عبـدي.. أشـفّعك في جميـع مـا تشـفع، وسلني عبدي.. أعطك جميع ما تسأل، فيسأل فيُعطى، ويشــفع فيُشفّع، ولا يُحاسب فيمن يُحاسب، ولا يُوقف مع من يُوقف، ولا يُذلّ مع من يُذلّ، ولا يكبّت بخطيئةٍ، ولا بشيءٍ من سـوء عملـه، ويُعطى كتاباً منشوراً، فيقول الناس بأجمعهم: (سبحان الله.. ما كان لهذا العبد من خطيئة واحدة، ويكون من رفقـاء محمـد ﷺ)[1]

[الحـديث: 178]ـ وهـو في جـواز الاستشـفاء بـالقرآن الكـريم، فقـد سـئل الإمـام الصـادق عن الرقيـة من الأمـراض، فقال: (لا بأس بالرقية والعـوذة والنشـر إذا كـانت من القـرآن، ومَن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، وهل شـيءٌ أبلـغ في هـذه الأشـياء من القـرآن؟.. أليس اللـه تعـالى يقـول: ﴿وَنُنَـزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: 82]؟.. أليس الله يقول تعالى ذكره وجل ثناؤه: ﴿لَـوْ أَنْزَلْنَـا هَـذَا الْقُـرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَـدِّعًا مِنْ خَشْـيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشـر: 21]؟.. سلونا نعلمكم ونوقفكم على قو ارع القرآن لكلّ داء)[2]

[الحـديث: 179]ـ وهـو في استشـعار عظمـة القـرآن الكريم قبل تلاوته، والدعاء المرتبط بذلك، ونص الحديث هو أن الإمام الصادق كان إذا قرأ القرآن، قال قبل أن يقـرأ حين يأخـذ المصحف: (اللهم إني أشـهد أن هـذا كتابـك المـنزل من عنـدك على رسـولك محمـد بن عبداللـه، وكلامـك النـاطق على لسـان نبيك، جعلته هاديا منك الى خلقك، وحبلا متصلا فيمـا بينـك وبين عبادك.. اللهم إني نشرت عهدك وكتابك.. اللهم فاجعـل نظـري فيه عبادة، وقراءتي فيه فكـرا، وفكـري فيـه اعتبـارا، واجعلـني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه، واجتنب معاصيك، ولا تطبع عنـد قراءتي على سمعي، ولا تجعل على بصـري غشـاوة، ولا تجعـل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها، بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه، آخذا بشرايع دينك، ولا تجعل نظري فيه غفلة، ولا قراءتي هذرا، إنـك

1() بحار الأنوار: 89/289، وثواب الأعمال ص100.
2() بحار الأنوار: 89/203، وطب الأئمة ص48.

أنت الرؤوف الرحيم)[1]

[الحديث: 180]ـ وهو قول الإمام الصادق عند الفراغ من قراءة القرآن: (اللهم.. إني قد قرأت ما قضيت من كتابك الذي أنزلت فيه على نبيّك الصادق ﷺ، فلك الحمد ربنا، اللهم اجعلني ممن يحل حلاله، ويحرّم حرامه، ويؤمن بمحكمه ومتشابهه، واجعله لي أنسا في قبري، وأنسا في حشري، واجعلني ممن ترقّيه بكل آية قرأها درجة في أعلى عليين، آمين رب العالمين)[2]

[الحديث: 181]ـ وهو قول الإمام الصادق في كيفية سجود التلاوة: (إذا سمعت شيئاً من عزائم القرآن يجب عليك السجود، وتسجد بغير تكبير وتقول: (لا إله إلاّ الله حقاً حقاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلاّ الله عبوديّة ورقّاً، لا مستنكفاً ولا مستكبّراً، بل أنا عبدٌ ذليلٌ ضعيفٌ خائفٌ مستجيرٌ، ثمّ ترفع رأسك وتكبّر)[3]

[الحديث: 182]ـ وهو قول الإمام الصادق في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: 121]: (الوقوف عند ذكر الجنة والنار)[4]

[الحديث: 183]ـ وهو قول الإمام الصادق في كيفية التفاعل مع القرآن الكريم: (إذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة، فاسأل الله الجنّة.. وإذا مررت بآية فيها ذكر النار، فتعوّذ بالله من النار !.)[5]

[الحديث: 184]ـ وهو قول الإمام الصادق في وجوب الإنصات للقرآن الكريم: (يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها، وإذا قُرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع)[6]

[الحديث: 185]ـ وهوقول الإمام الصادق في الدعوة للتحصن بالقرآن الكريم: (إذا دخلت مدخلاً تخافه فاقرأ هذه الآية: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 80]، فإذا عاينت الّذي

1() بحار الأنوار: 89/207، ومصباح الأنوار.
2() بحار الأنوار: 89/207، ومصباح الأنوار.
3() بحار الأنوار: 89/207، ومكارم الأخلاق ص394.
4() بحار الأنوار: 89/214، وتفسير العياشي 1/57.
5() بحار الأنوار: 89/216، ومجمع البيان 10/378.
6() بحار الأنوار: 89/221، وتفسير العياشي 2/44.

تخافه فاقرأ آية الكرسيّ)[1]

[الحديث: 186]ـ وهـو قـول الإمـام الصـادق في وصـفة استشـفائية بـالقرآن الكـريم، ونص الحـديث هـو أن رجلا دخـل على الإمام الصادق وقـد وُعـك، فقـال لـه: (مـا لي أراك متغيّـر اللون؟).. فقال: جُعلت فداك.. وُعكت وعكاً شديداً منذ شهر ثمّ لم تنقلع الحمّى عنّي، وقد عـالجت نفسـي بكـلّ مـا وصـفه إليّ المترفّعون، فلم أنتفع بشيءٍ من ذلك، فقال له الإمام الصـادق: (حـلّ أزرار قميصـك، وأدخـل رأسـك في قميصـك، وأذّن وأقم، واقرأ سـورة الحمـد سـبع مـرّات)، قـال: (ففعلت ذلـك فكأنّمـا نُشطت من عقال)[2]

[الحـديث: 187]ـ وهـو في قـول الإمـام الصـادق في الدعوة لقراءة وتدبر بعض السور القرآنية، وآثارها في أصحابها: (علّموا أولادكم ياسين، فإنّهـا ريحانـة القـرآن)[3]، وقـال: (تُقـرأ الصّافّات للشرف والجاه في الدنيا والآخرة)[4]، وقال: (مَن كان يدمن قـراءة والنجم في كـلّ يـومٍ، أو في كـلّ ليلـةٍ عـاش محموداً بين الناس، وكان مغفوراً لـه، وكـان محبّبـاً بين النـاس)[5]، وقال: (مَن قرأ في كلّ ليلة جمعة الواقعة أحبّه اللـه وأحبّـه إلى الناس أجمعين، ولم يـرَ في الـدنيا بؤسـاً أبـداً، ولا فقـراً ولا فاقة ولا آفة من آفات الدنيا)[6]

[الحـديث: 188]ـ وهـو في قـول الإمـام الصـادق في الدعوة لتخصـيص بعض الأيـام بسـور من القـرآن الكـريم: (من الواجب على كلّ مؤمن ـ إذا كان لنا شـيعة ـ أن يقـرأ في ليلـة الجمعة بالجمعة، وسـبّح اسـم ربّـك الأعلى، وفي صـلاة الظّهـر بالجمعة والمنافقين، فإذا فعل ذلك فكأنّما يعمـل بعمـل رسـول الله ﷺ، وكان جزاؤه وثوابه على الله الجنّة)[7]

[الحـديث: 189]ـ وهـو قـول الإمـام الصـادق في دور القرآن الكريم في البعد عن الشيطان: (إنّ إبليس رنّ رنيناً لمّـا بعث الله نبيّه ﷺ على حين فـترة من الرسـل، وحين أُنـزلت أمّ

1() بحار الأنوار: 89/267، والمحاسن ص347.
2() بحار الأنوار: 89/235، وطب الأئمة ص53.
3() بحار الأنوار: 89/291، وأمالي الطوسي 2/290.
4() بحار الأنوار: 89/296، ومكارم الأخلاق ص419.
5() بحار الأنوار: 89/305، وثواب الأعمال ص105.
6() بحار الأنوار: 89/307، وثواب الأعمال ص105.
7() بحار الأنوار: 89/311، وثواب الأعمال ص107.

القرآن)[1]

[الحـديث: 190]ـ وهـو في قـول الإمـام الصـادق في الدعوة للاهتمام بالبسملة، وافتتاح كل شيء بهـا، والتحـذير من ترك ذلك: (لربما ترك في افتتاح أمرٍ بعضُ شيعتنا: (بسم اللـه الرحمن الرحيم.).. فيمتحنه االله بمكروه لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو فيه عنـه وصـمة تقصـيره عنـد تركـه قول: (بسم الله)

ثم ذكر لهم قصة ترتبط بذلك، قال فيهـا: (لقـد دخـل عبـد اللـه بن يحـيى على الإمـام علي وبين يديـه كرسـي، فـأمره بالجلوس عليه، فجلس عليه فمال به حـتى سـقط على رأسـه، فأوضح عن عظم رأسه، وسال الدم.. فأمر أمير المؤمنين بمـاء فغسـل عنـه ذلـك الـدم، ثم قـال: (ادن منّي، فوضـع يـده على موضحته وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه، ومسـح يـده عليها وتفل فيها، فما هو أن فعل ذلك حتى انـدمل، فصـار كأنـه لم يصبه شيء قط، فقال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين.. قد أفدتني وعلّمتني، فإن أردت أن تعرِّفني ذنـبي الـذي امتُحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، فقـال: (تركـك حين جلست أن تقول: بسم اللـه الـرحمن الـرحيم فعجّـل ذلـك لسـهوك عمـا نـدبت إليـه تمحيصاً بمـا أصـابك، أمـا علمت أنّ رسول الله ﷺ حدّثني عن الله جلّ وعـزّ: (كـلّ أمـرٍ ذي بـالٍ لم يُذكر فيـه بسـم اللـه فهـو أبـتر، فقلت: بلى، بـأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قـال: (إذاً تحظى بـذلك وتسـعد)، قيـل: (يـا أمـير المؤمنين.. وما تفسير بسم الله الرحمن الـرحيم؟).. قـال: (إنّ العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمـل عملاً فيقـول: (بسـم اللـه الرحمن الرحيم فإنه تبارك له فيه)[2]

[الحـديث: 191]ـ وهـو قـول الإمـام الرضـا في فضـل القرآن الكريم، ونص الحديث هـو أنـه ذُكـر للإمـام الرضـا يومـا القرآن، فقال: (هو حبل الله المتين، وعروته الـوثقى، وطريقتـه المثلى، المـؤدي إلى الجنـة، والمـنجي من النـار، لا يخلـق من الازمنة، ولا يغث على الالسنة، لانه لم يجعل لزمان دون زمـان، بل جعل دليل البرهان، وحجة على كل إنسان، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِـلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلَا مِنْ خَلْفِـهِ تَنْزِيـلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ [فصـلت:

1() بحار الأنوار: 89/230، وتفسير القمي ص26.
2() بحار الأنوار: 89/242، وتفسير الإمام ص9 ـ 24.

([42])[1]
وهو قول الإمام الرضا في الدعوة إلى الجمع بين التدبر والختم، ونص الحديث هو أن الإمام الرضا كان يختم القرآن في كلّ ثلاث ويقول: (لو أردت أن أختمه في أقلّ من ثلاث لختمته، ولكن ما مررت بآية قط إلاّ فكّرت فيها وفي أيّ شيء أنزلت، وفي أيّ وقت، فلذلك صرت أختم ثلاثة أيّام)[2]

ثانيا ــ الأحاديث المقبولة في تأويل القرآن الكريم:

كما اهتمت السنة المطهرة بتعميق التعلق بالقرآن الكريم قراءة وتدبرا واتباعا، اهتمت كذلك بالتحذير من الدس والتحريف الذي قد يعرض له بسبب الفهوم الخاطئة، والتي حصلت لسائر الأديان.

وكل الأحاديث المرتبطة بهذا، تفسر قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

فهذه الآية الكريمة تبين مواقف الأمة من الكتاب، وهي مواقف مشابهة لمواقف الأمم السابقة، وهي تتوزع بين موقفين:

الأول: أولئك الذين حرصوا على التنزيل، وتأدبوا معه، ولم يدخلوا أهواءهم فيه، ولذلك حكموا متشابهه إلى محكمه، وعادوا إلى الراسخين في العلم لمعرفة ذلك.

الثاني: أولئك الذين مالت بهم الأهواء بسبب الزيغ الذي في قلوبهم، ولذلك اتبعوا المتشابه، وراحوا يحكمونه، ويلغون بسببه المحكم، ويلغون معه أولئك الراسخين في العلم الذي اعتبرهم القرآن الكريم أولى الناس بالكتاب.

ولهذا نجد الأحاديث المرتبطة بالتأويل تذكر ورثة الكتاب الحقيقيين، وتدعو إلى التمييز بينهم وبين غيرهم من المحرفين لمعاني القرآن الكريم.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

1() عيون الاخبار ج 2 ص 130.
2() بحار الأنوار: 89/204، والعيون 2/180، أمالي الصدوق ص392.

اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]

بناء على هذا سنذكر هنا ما ورد في المصادر الحديثية السنية والشيعية مما يرتبط بهذه المعاني، مقسمين لها بحسب اعتبارها إلى قسمين:

1ـ الأحاديث المرفوعة في تأويل القرآن الكريم:

مما نعتبره من السنة المقبولة لموافقتها للقرآن الكريم وما تقتضيه العقول السليمة.

أ ـ الأحاديث المقبولة في المصادر السنية:

من الأحاديث الواردة في المصادر السنية، والتي يمكن اعتبارها محل اتفاق بين الأمة جميعا، ولهذا نجد نظيراتها في المصادر الشيعية الأحاديث التالية:

[الحديث: 192]ـ وهو في التحذير من تفسير القرآن الكريم بالرأي المستند للهوى، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قال في كتاب الله تعالى فأصاب فقد أخطأ)، وفي رواية: (ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر)[1]

[الحديث: 193]ـ وهو في تحريم تأويل القرآن الكريم من غير استناد إلى العلم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار)[2]

[الحديث: 194]ـ وهو في التحذير من المؤولة بأهوائهم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إذا رأيت الّذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الّذين سمّى الله، فاحذروهم)[3]

وذلك تفسير وتعقيبا على قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

[الحديث: 195]ـ وهو في بيان وقوع التأويل في الأمة، وفي صدر الإسلام، ودور الإمام علي في مواجهتهم، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن

1() أبو داود (3652)، والترمذي (2952)

2() الترمذي (2950)،أحمد 1/233.

3() البخاري، (4547)

كما قاتلت على تنزيله)، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: (لا، ولكنه خاصف النعل)، وكان أعطى عليا نعله يخصفها[1].

وهذا الحديث يشير إلى أمرين، كلاهما يمكن تفسير التأويل به:

أولهما: أنّ البغاة الذين خرجوا على الإمام عليّ استندوا إلى تأويل النصّ القرآني، ذلك أن ظاهر الآيات القرآنية يدل على أنّ القتال كان مع الكافرين، فتنزيل القتال كان ظاهراً في قتال المشركين والكافرين، لكنّ تأويله ودلالاته المستبطنة تفيد قتال الباغين، فالنبي ﷺ قاتل مستنداً لظاهر النصّ القرآني، أما الإمام عليّ فقاتل مستنداً لتأويل هذا النصّ في القوم الذين خرجوا عليه.

ثانيهما: أن التأويل مشتق من الأول، والمعنى إرجاع الشيء إلى الأوّل، فعندما نقول: أوّلتُ الأمر، أي أرجعته إلى بدايته وأوّله، وبهذا يكون المعنى: إنّ الرسول ﷺ قد قاتل على أصل نزول القرآن الكريم، فيما كان قتال الإمام عليّ لإعادة الدين إلى حالته الأولى، بعد الانحراف الذي حصل.

ويشير إلى كلا المعنيين قول عمار بن ياسر:

نحن ضربناكم على تنزيله ... فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

[الحديث: 196] هو في النهي عن ضرب القرآن بعضه ببعض، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه)[2]

وقصة هذا الحديث هي ما عبر عنه راويه بقوله: (جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي

1() أحمد (3/82، رقم 11790)، وأبو يعلى (2/341، رقم 1086)، وابن حبان (15/385، رقم 6937)، والحاكم (3/132، رقم 4621) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

2() أحمد (11/ 305)

وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول.. وذكر الحديث.

[الحديث: 197] وهو يشير إلى أن النبي ﷺ لم يفسر القرآن الكريم جميعا، لوضوح دلالته، وإنما اقتصر على ما تمس إليه الحاجة، ونص الحديث هو قول عائشة: أن النبي ﷺ كان لا يفسر شيئا من القرآن برأيه إلا آيا تعد، علمهن إياه جبريل[1].

وهو يتطابق مع قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192 ـ 195]، وهي واضحة في الدلالة على وضوح القرآن الكريم وعدم حاجته إلى التفسير إلا في المواضع التي تستدعي ذلك، مثل كيفية تنفيذ التعاليم الإلهية، والتي فسرتها السنة جميعا.

ويشير إلى هذا قول ابن عباس: (التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، فإذا قرئ على العرب فإنهم يفهمونه.. وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وذلك كتفسير الآيات في الأحكام والعقائد التي يحتاج الناس إلى معرفتها.. وتفسير تعلمه العلماء، وهي المعاني الخفية التي لايفقهها عامة الناس.. وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى)

[الحديث: 198] وهو يشير إلى التفسير بالمصاديق والأمثلة والنماذج، ونص الحديث هو قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]: (المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى)[2]

فرسول الله ﷺ لم يقصد في هذا الحديث كون المقصودين هم اليهود والنصارى فقط، وإنما ذكر نموذجا عنهما.. أي أن من أراد أن يعرف الغضب الإلهي، يمكنه أن يطالع صفات اليهود، ومن أراد أن يطالع الضلال، فلينظر إلى النصارى.

وقد قال بعض المفسرين في بيان سر ذلك: (هذا الفهم ينطلق من مواقف هذين الفريقين تجاه الدعوة الإسلامية،

1() البزار كما في (كشف الأستار) (2185)، وأبو يعلى 8/23(4528)
2() أحمد 5/32-33.

فالقرآن يصرّح مراراً أنّ المنحرفين من اليهود كانوا يكنون عداءاً شديداً وحقداً دفيناً للإسلام، مع أن علماء اليهود كانوا من مبشّري ظهور الإسلام، لكنهم تحوّلوا إلى أعداء ألدّاء للإسلام لدى انتشار الدعوة لأسباب عديدة، منها تعرّض مصالحهم المادية للخطر، وتعبير (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ينطبق تماماً على هؤلاء اليهود، لكن هذا لا يعني حصر مفهوم المغضوب عليهم بهذه المجموعة من اليهود، بل هو من قبيل تطبيق الكلي على الفرد.. أما منحرفو النصارى فلم يكن موقفهم تجاه الإسلام يبلغ هذا التعنت، بل كانوا ضالين في معرفة الحق، والتعبير عنهم بالضالين هو أيضاً من قبيل تطبيق الكلي على الفرد)[1]

[الحديث: 199] وهو في تعليم رسول الله ﷺ لكيفية تصنيف الآيات القرآنية بحسب معانيها، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (قال الله عز وجل: قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2)، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)، قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4)، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 6، 7)، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)[2]

[الحديث: 200] وهو في زيادة توضيح بعض المعاني التي قد يساء فهمها، ونص الحديث هو قوله ﷺ في تفسير ما ورد في قصة بقرة بني إسرائيل: (إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم)[3]

فهذا الحديث يبين أن سر ذلك التشدد الذي وقع لبني إسرائيل هو في ذلك التعنت وكثرة الأسئلة واختلافهم على أنبيائهم، كما ورد ذلك صريحا في قوله ﷺ: (ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، ما نهيتكم عنه فانتهوا، وما أمرتكم فأتوا منه ما

[1] تفسير الأمثل، (1/ 60)
[2] رواه مسلم رقم (395)
[3] البزار كما في (كشف الأستار) (2188)

استطعتم)[1]

[الحديث: 201]ـ وهو في بيان دور أسباب النزول في فهم بعض المضامين العملية للقرآن الكريم، ونص الحديث هو ما رواه بعضهم، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك له ﷺ، فنزلت ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115])[2]

فمع أن الآية الكريمة تشير إلى حقيقة عقدية إلا أن سبب النزول أشار إلى حكم عملي مرتبط بها، وهو في إجزاء الصلاة لغير القبلة في حال الضرورة.

[الحديث: 202]ـ وهو في ذكر رسول الله ﷺ بعض المعاني التفسيرية الغيبية التي لا يمكن معرفتها من خلال الألفاظ أو التدبر العقلي، وهو في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]، فقد قال ﷺ في تفسيرها: (يجيء نوحٌ وأمته، فيقول الله: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلغ)[3]

وهذا لا يعني اقتصار المعنى على ذلك؛ فالآية الكريمة تذكر الشهادة على الناس جميعا، وليس على قوم نوح عليه السلام وغيره فقط، وقد شرحنا معنى الشهادة ووظيفة الأمة المرتبطة بها في كتاب [النبي الهادي]، وغيره.

[الحديث: 203]ـ وهو في بيان دور أسباب النزول في فهم أسرار التعبيرات القرآنية، ونص الحديث مرتبط بتفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158]، والتي قد يتوهم منها أن السعي بينهما مباح، وليس واجبا، وهذا ما فهمه بعضهم، فقال: (والله ما على أحد جناحٌ أن لا يطوف بالصفا والمروة)، فرد عليه بعض الصحابة بقوله: (بئس ما قلت، إن هذه لو كانت على ما أولتها كانت لا جناح عليه أن لا

1() أحمد (12/ 325)، والشافعي 1/19، والحميدي (1125)، وابن حبان (18)
2() الترمذي (345)، وابن ماجة (1020)
3() البخاري (3339)، والترمذي (2961)

يطوف بهما، ولكنها أنـزلت من الأنصـار،كـانوا قبـل أن يسـلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلمـا أسـلموا سـألوا النـبي ﷺ عن ذلـك، فقـالوا يـا رسـول اللـه: إنـا كنـا نتحـرج أن نطـوف بين الصـفا والمـروة، فـأنزل اللـه تعـالى ﴿ إِنَّ الصَّـفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْـهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَـا﴾ [البقـرة: 158]، وقـد سـن رسـول اللـه ﷺ الطواف بينهما)(1)

وفي رواية: (أن الأنصار كانوا قبل أن يسـلموا هم وغسـان يهلون لمناة، فتحرجـوا أن يطوفـوا بين الصـفا والمـروة، وكـان ذلـك سـنة في آبـائهم، من أحـرم لمنـاة لم يطـف بين الصـفا والمروة وأنهم سألوا النبي ﷺ عن ذلك حين أسلموا فأنزل اللـه في ذلك ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَـعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158])

[الحـديث: 204]ـ وهـو في تعليم رسـول اللـه ﷺ لأمتـه كيفية استنباط الحقائق من القـرآن الكـريم، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (الـدعاء هـو العبـادة)، ثم اسـتدل على ذلـك بقراءتـه لقولـه تعـالى: ﴿وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِـرِينَ﴾ [غـافر: 60]، فقال أصـحابه: أقـريبٌ ربنـا فنناجيـه، أم بعيـدٌ فنناديـه؟ فـنزلت ﴿ وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَـرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُـدُونَ﴾ [البقـرة: 186])(2)

وربما يكون الراوي وهم في قوله [فنزلت]، بل تكون الآية مما أنزل سابقا، ولكن رسول الله ﷺ أجابهم على سـؤالهم من خلال إرشادهم إلى القرآن الكريم، وفي ذلك كله دلالـة ودعـوة لتأمل القرآن الكريم والتعرف على حقائقه.

[الحـديث: 205]ـ وهـو في إشـارة رسـول اللـه ﷺ إلى ضـرورة التعـرف على اللغـة القرآنيـة بمـا فيهـا من الاسـتعارة والمجاز وغيرها، وعدم الاكتفاء بالظواهر، ونص الحديث هو أنـه لما نزل قولـه تعـالى: ﴿وَكُلُـوا وَاشْـرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْـطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187] عمد بعض

(1) البخاري (1643)، ومسلم (1277)
(2) أبو داود (1479)، والترمذي (3247)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (3828)

أصحاب رسول الله ﷺ إلى عقال أسود وعقال أبيض فجعلهما تحت وسادته، وجعل ينظر من الليل فلا يستبين له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار)(1)

ونرى أن هذه هي الرواية الصحيحة، أما ما ورد في غيرها من العتاب الشديد، وهو أن رسول الله ﷺ قال له: (إن وسادك إذا لعريضٌ، إن كان الخيط الأبيض والخيط الأسود تحت وسادتك)(2)، أو (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين)(3)، فننزه رسول الله ﷺ عن قوله، لما ورد في سيرته من رحمته ولطفه وحسن تعليمه للمؤمنين، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، ذلك أن كلمة [عريض القفا]، يكنى بها على الغباء والغفلة(4).

[الحديث: 206] وهو في تفسير ما ورد في القرآن الكريم من المجمل، ونص الحديث هو قوله ﷺ يوم الأحزاب: (ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)(5)، وفي رواية: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر)(6)، وفي أخرى: (حبس المشركون النبي ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا، أو حشى الله أجوافهم وقبورهم نارا)(7)

وهي تفسير لقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]

لكن هذه الرواية قد تشير إلى الصلاتين الظهر والعصر، ذلك أنهما مشتركتان في الوقت، وقد يدرأ بهذا الخلاف الواقع في كليهما، فقد ذكر المفسّرون معان مختلفة للمراد من الصلواة الوسطى، حيث ذكر صاحب تفسير مجمع البيان ستّة

---

(1) البخاري (1916)، ومسلم (1090)
(2) البخاري (4509)
(3) البخاري (4510)
(4) كما قال الخطابى: وعريض القفا يفسر على وجهين: أحدهما أن يكون كناية عن العبارة أو سلامة الصدر، يقال للرجل الغبى: إنك لعريض القفا. والوجه الآخر: أن يكون أراد إنك غليظ الرقبة وافر اللحم، لأن من أكل بعد الفجر لم ينهكه الصوم ولم يبن له أثر فيه، انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (4/ 41)
(5) البخاري (2931)، ومسلم (627)
(6) مسلم (627) 205.
(7) مسلم (628)

أقوال، وذكر الفخر الرّازي في تفسيره سبعة أقـوال، وبلـغ بهـا القرطـبي في تفسـيره إلى عشـرة أقـوال، أمّـا تفسـير روح المعاني فذكر لها ثلاثة عشـر قـولاً.. فـالبعض يـرى أنّها صـلاة الظهر، وآخر صـلاة العصـر، وآخـر صـلاة المغـرب، وآخـر صـلاة العشاء، وآخر صلاة الصبح، وغيرها.. وذكروا لكلّ واحد من هـذه الأقوال أدلّة وتوجيهات مختلفة.

وقد عقب مكارم الشيرازي على هذه الأقوال موضحا سـر تخصيص القرآن الكريم للصلاة الوسـطى بالـذكر، فقـال: (لكنّ القرائن المختلفة المتوفّرة تثبت أنّها صـلاة الظهـر، لأنّهـا فضلاً عن كونها تقع في وسط النّهار، فإنّ سبب نزول هذه الآيـة يـدلّ على أنّ المقصود بالصّلاة الوسطى هو صلاة الظهـر الـتي كـان الناس يتخلّفون عنها لحرارة الجو، كما أنّ هنـاك روايـات كثـيرة تصرّح بأنّ الصلاة الوسطى هي صلاة الظّهر، والتأكيد على هذه الصّلاة كان بسبب حرارة الجو في الصّـيف، أو بسـبب انشـغال الناس في أمـور الـدنيا والكسـب، فلـذلك كـانوا لا يعـيرون لهـا أهميّة، فنزلت الآية آنفة الذكر تبيّن أهميّة صلاة الوسطى ولزوم المحافظة عليها)[1]

ويدل لما ذكره الشيرازي في المصادر السنية ما روي عن زيد بن ثابت قـال: كـان النـبي ﷺ يصـلي الظهـر بالهـاجرة، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه منها فـنزلت ﴿حَـافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وقال: (قبلها صلاتين وبعدها صلاتين)[2]

[الحديث: 207]ـ وهو في إضافة بعض الحقائق العقديـة المرتبطة بالآيات القرآنية مما لا يمكن معرفته بالتـدبر المجـرد، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملـك لمة، فأما لمة الشيطان: فإيعـادٌ بالشـك وتكـذيبٌ بـالحق، وأمـا لمة الملك: فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى، فيحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعـوذ باللـه من الشـيطان: ثم قـرأ ﴿الشَّـيْطَانُ يَعِـدُكُمُ الْفَقْـرَ وَيَـأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِـرَةً مِنْـهُ وَفَضْـلًا وَاللَّهُ وَاسِـعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 268])[3]

1() تفسير الأمثل، (2/ 194)
2() أبو داود (411)، والترمذي (حديث (182)، ومالك 1/133.
3() الترمذي (2988) وقال: حديث حسن غريب.

[الحديث: 208]ـ وهـو في التحـذير من اتبـاع المتشـابه، ومن أهله الذين يتولون ذلك، واستدلاله ﷺ بـالقرآن على ذلـك، ونص الحديث هو أن رسول الله ﷺ تلا قولـه تعـالى: ﴿هُـوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ مِنْـهُ آيَـاتٌ مُحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَـابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِـهِ كُـلٌّ مِنْ عِنْـدِ رَبِّنَـا وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلَّا أُولُـو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7]، ثم قـال: (إذا رأيتم الـذين يتبعـون مـا تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)(1)

[الحديث: 209]ـ وهو في تفسير المراد بالراسـخين في العلم، ونص الحديث هو أن النبي ﷺ سـئل: من الراسـخون في العلم؟ فقال: (هو من قرت عينه، وصـدق لسـانه، وعـف فرجـه وبطنه، فذاك الراسخ في العلم)(2).. وهو يدل على عـدم كفايـة العلم وحده لتحقق الرسوخ في العلم، بـل لابـد أن تكـون معـه التزكية والصلاح.

[الحديث: 210] وهو في تطبيق رسول الله ﷺ المعاني القرآنية على الواقع، ونص الحديث هو قولـه ﷺ: (إن لكـل نـبي ولاة من النبـيين، وإن ولـيي أبي وخليـل ربي إبـراهيم، ثم قـرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68])(3)

[الحديث: 211] وهو في زيادة توضيح المعاني القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (أنتم تتمون سبعين أمـة أنتم خيرهـا وأكرمها على الله)(4)، وذلك تفسـيرا لقولـه تعـالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110]

[الحديث: 212] وهو في توضيحه لما يشكل من القرآن الكريم في أذهان العامة، وباللغة التي يفهمونهـا، ونص الحـديث هو أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ قال: أرأيت قولـه ﴿وَسَـارِعُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُـهَا السَّـمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمـران: 133]، فـأين النـار؟، فقـال ﷺ: (أرأيت

1() البخاري (4547)، مسلم (2665)
2() الطبراني في (الكبير)8/152(7658)
3() الترمذي (2995)
4() الترمذي (3001) وقال: حديث حسن،وابن ماجة (4287)،والدارمي (2760)

الليل فالتبس كل شيء فأين النهار؟)، قال: حيث شاء الله، قال: (فكذلك حيث شاء الله)(1)

[الحديث: 213] وهو في بيانه ﷺ لمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40]، فقد قال: (إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنةٌ يجزى بها)(2)

[الحديث: 214] وهو في بيانه لبعض المعاني المرتبطة بالأحكام، ونص الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: 101] واستمرار حكمها بعد أن أمن الناس، فقال: (صدقةٌ تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته)(3)

[الحديث: 215] وهو في بيانه لبعض المعاني القرآنية المرتبطة بالخوف والرجاء، ونص الحديث هو أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123] بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله ﷺ: (قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارةٌ حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها)(4)

وفي رواية: (أما المؤمنون فيجزون بذلك في الدنيا حتى يلقوا الله وليس لهم ذنوبٌ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة)(5)

وفي رواية: (هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها، حتى إن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير)(6)

وهذا الرجاء الذي ذكره رسول الله ﷺ يشمل اللمم، أما

---

(1) البزار كما في (كشف الأستار) (2196)
(2) مسلم (2808)
(3) مسلم (686)
(4) مسلم (2574)
(5) الترمذي (3039)
(6) الترمذي (2991)

الكبائر والصغائر التي يصر عليها صاحبها أو الذنوب المتعدية؛ فهي جميعا تحتاج إلى التوبة.

[الحديث: 216]ـ وهو في بيان مصاديق بعض الآيات القرآنية، ونص الحديث هو ما رواه عمار بن ياسر قال: وقف علي على سائل وهو راكعٌ في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى النبي ﷺ فأعلمه، فنزلت: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] فقرأها ﷺ ثم قال: (من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)(1)

[الحديث: 217]ـ وهو في تأكيد المعاني القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد في الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراجٌ)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44])(2)

[الحديث: 218]ـ وهو في الإشارة إلى أن بعض الآيات القرآنية لا يمكن فهمها فهما كاملا إلا بعد حصولها في المستقبل، ونص الحديث هو أنه ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65]، فقال النبي ﷺ: (أما إنها كائنةٌ ولم يأت تأويلها بعد)(3)

وفي حديث آخر أنه لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65]، قال ﷺ: (أعوذ بوجهك)، ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾قال: (أعوذ بوجهك)، فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65] قال: (هاتان أهون وأيسر)(4)

[الحديث: 219]ـ وهو في بيان بعض مصاديق قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]، فقد قال ﷺ: (ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع

1() الطبراني في (الأوسط) (6232)
2() أحمد 4/145، والطبراني17/330 (913)
3() الترمذي (3066)
4() البخاري (7313)

نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والـدجال، ودابـة الأرض)(1)، وفي روايـة: (طلـوع الشـمس من مغربها)(2)

[الحديث: 220] وهو في بيان مصاديق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُـوا دِينَهُمْ وَكَـانُوا شِـيَعًا لَسْـتَ مِنْهُمْ فِي شَـيْءٍ إِنَّمَـا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ ﴾ [الأنعـام: 159]، فقد قال: (هم أصحاب البدع والأهواء، ليس لهم توبةٌ، أنـا منهم بريءٌ وهم مني براء)(3)

[الحديث: 221]ـ وهو في بيان الجانب الغيـبي في قولـه تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْـرُ أَمْثَالِهَـا ﴾ [الأنعـام: 160]، فقـد قـال ﷺ: (يقـول اللـه: إذا أراد عبـدي أن يعمـل سـيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوهـا لـه حسـنة، وإذا أراد أن يعمـل حسـنة فلم يعملها، اكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها لـه بعشـر أمثالهـا إلى سـبعمائة ضـعف، إلى أضـعاف كثـيرة)، ثم قـرأ الآيـة الكريمة(4).

[الحديث: 222]ـ وهو في الاسـتدلال بالقصـص القـرآني على الواقع، ونص الحديث هو أن النبي ﷺ لما خـرج إلى غـزوة حنين، مـر بشـجرة للمشـركين كـانوا يعلقـون عليهـا أسـلحتهم، يقال لهـا: ذات أنـواط، فقـالوا: يـا رسـول اللـه اجعـل لنـا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال: (سبحان الله، هـذا كمـا قـال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَـةٌ ﴾ [الأعـراف: 138]، والـذي نفسـي بيـده لـتركبن سـنن من كـان قبلكم حـذو النعـل بالنعل والقـذة بالقـذة، حـتى إن كـان فيهم من أتى أمـه يكـون فيكم، فلا أدري أتعبدون العجل أم لا)(5)

[الحديث: 223] وهو في تفسير القرآن ببعض مصاديقه، فقد فسر ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُـوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] بقوله: (ألا إن القوة الرمي، ثلاثا)(6)

[الحديث: 224] وهو في تفسير القرآن ببعض مصاديقه،

1() مسلم (158)، والترمذي (3072)
2() الترمذي (3071)
3() الطبراني في (الصغير) 1/338.
4() البخاري (7501)، ومسلم (130)
5() الترمذي (2180)
6() مسلم (1917)

ونص الحديث هو أن عـدي بن حـاتم، قـال: أتيت النـبي ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذهب، فقال يا عدي: اطـرح عنـك هـذا الـوثن، وسـمعته يقـول: ﴿ اتَّخَـذُوا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَابًـا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 31] فقال ﷺ: (إنهم لم يكونوا يعبـدونهم ولكنهم كـانوا إذا أحلـوا لهم شـيئا اسـتحلوه، وإذا حرمـوا عليهم شـيئا حرموه)(1)

[الحديث: 225] وهو في تفسير القرآن ببعض مصاديقه، ونص الحديث هو أنه ﷺ سئل عن قوله تعـالى: ﴿ لَهُمُ الْبُشْـرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [يـونس: 64] فقـال: (مـا سـألني عنهـا أحـدٌ غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له)(2)

[الحـديث: 226] ـ وهـو في بيـان الجـانب الغيـبي من التفسير، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَيُسْـقَى مِنْ مَـاءٍ صَـدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُـهُ وَلَا يَكَـادُ يُسِـيغُهُ ﴾ [إبراهيم: 16ـ 17]:ـ (يقرب إلى فيـه فيكرهـه، فـإذا أدنى منـه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعـاءه حـتى يخـرج من دبـره، قـال تعـالى: ﴿وَسُـقُوا مَـاءً حَمِيمًـا فَقَطَّعَ أَمْعَـاءَهُمْ﴾ [محمـد: 15] وقـال: ﴿وَإِنْ يَسْـتَغِيثُوا يُغَـاثُوا بِمَـاءٍ كَالْمُهْـلِ يَشْـوِي الْوُجُـوهَ بِئْسَ الشَّـرَابُ وَسَـاءَتْ مُرْتَفَقًـا ﴾ [الكهف: 29])(3)

[الحديث: 227] ـ وهو في تقريبه للمثال القـرآني، ونص الحديث هو أن النـبي ﷺ أتي بقنـاع فيـه رطبٌ، فقـال ﴿أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْـلُهَا ثَـابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا ﴾ [إبـراهيم: 24ـ 25] قال: (هي النخلة)، ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَـا مِنْ قَـرَارٍ﴾ [إبـراهيم: 26] قـال: (هي الحنظلة)(4)

[الحـديث: 228] ـ وهـو في بيـان الجـانب الغيـبي من التفسير، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا بِـالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]:ـ (نزلت في عذاب القـبر، يقـال لـه من

---

(1) الترمذي (3095)
(2) الترمذي (2273)
(3) الترمذي (2583)، وأحمد 5/265.
(4) الترمذي (3119)

ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمدٌ ﷺ)[1]

[الحديث: 229]ـ وهو في إجابته ﷺ على الإشكالات المرتبطة بالقرآن الكريم، ونص الحديث هو أنه ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48]، وأين يكون الناس يومئذ، فقال: (على الصراط[2]

[الحديث: 230]ـ وهو قوله ﷺ في بعض مصاديق قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: 2] [الحجر:2]، فقد قال:(نزلت في الخوارج حين رأوا تجاوز الله عن المسلمين وعن الأئمة والجماعة، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين)[3]

وليس المراد بالخوارج هنا تلك الفرقة المعروفة فقط، وإنما تشمل غيرهم أيضا، ممن خرجوا عن منهج الدين الأصيل، وراحوا يكفرون المسلمين.

[الحديث: 231]ـ وهو قوله ﷺ في بعض مصاديق قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: 75]، فقد قال ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأها[4].

[الحديث: 232]ـ وهو قوله ﷺ في بعض مصاديق قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93]:(عن قول لا إله إلا الله)[5]

[الحديث: 233]ـ وهو قوله ﷺفي بيان بعض المصاديق الغيبية لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: 71]: (يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاجٌ من لؤلؤ يتلالأ، فينطلق إلى أصحابه الذين كانوا يجتمعون إليه، فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا فيأتيهم، فيقول: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا المتبوع على الهدى، وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله، ويسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا،

1() البخاري (1369)، ومسلم (2871)
2() مسلم (2791)
3() الطبراني 8/272 (8048)
4() الترمذي (3127)
5() الترمذي (3126)

ويلبس تاجا من نار، إذا رآه أصحابه يقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا به، فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه، فيقول لهم: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا)(1)

[الحديث: 234]ـ وهو قوله ﷺ في المصاديق الغيبية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78]: (تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار)(2)

[الحديث: 235]ـ وهو قوله ﷺ في بعض المصاديق الغيبية لقوله تعالى: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: 79]: (هو الشفاعة)(3)

[الحديث: 236]ـ وهو قوله ﷺ في بعض المصاديق الغيبية لقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105]: (إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)، وقال: (اقرأوا)، وذكر الآية(4).

[الحديث: 237]ـ وهو في المعنى الغيبي لقوله تعالى: ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: 24]، فقد قال ﷺ: (إن السرى الذي قال الله تعالى لمريم: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24] نهرٌ أخرجه الله لتشرب منه)(5)

[الحديث: 238]ـ وهو في الجواب عن إشكال يرتبط بقوله تعالى: ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28]، قال ﷺ عندما سئل عن ذلك، وأن موسى قبل عيسى بكذا وكذا: (إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)(6)

[الحديث: 239]ـ وهو في بيان عموم المعاني القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87] فإنه لن يدعو بها مسلمٌ ربه في شيء قط إلا

---

(1) الترمذي (3136)
(2) الترمذي (3135)، وأصله في صحيح البخاري (649)
(3) الترمذي (3137)
(4) البخاري (4729)، ومسلم (2785)
(5) الطبراني 12/346 (13303)
(6) مسلم (2135)، والترمذي (3155)

استجاب له)[1]

[الحديث: 240] وهو قوله ﷺ في بيان المعنى الغيبي لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25]: (لو أن رجلا هم فيه بإلحاد وهو بعدن، لأذاقه الله تعالى عذابا أليما)[2]

[الحديث: 241] وهو في بيانه ﷺ لمصاديق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60] بعد أن سئل: (أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟)، فقال: (لا.. ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم ﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: 90])[3]

[الحديث: 242] وهو قوله ﷺ في بيان المعنى الغيبي لقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104]: (تشويه النار، فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترحي شفته السفلى حتى تضرب سرته)[4]

[الحديث: 243] وهو في أمر رسول الله ﷺ بالعودة إلى القرآن الكريم للتحقق مما يقول، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]، فأيما مؤمنٌ ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، فمن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه)[5]

[الحديث: 244] وهو في البيان الغيبي لأقسام الأمة يوم القيامة والوارد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 32]، فقد قال ﷺ: (فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين ظلموا أنفسهم في طول المحشر، ثم هم الذين يتلافاهم الله برحمته، منهم الذين

1() أحمد 1/170.

2() أحمد (1/428)، والبزار كما في (كشف الأستار) (2236)، وأبو يعلى 9/262-263 (5384)

3() الترمذي (3175)، وابن ماجة (4198)

4() الترمذي (2587)

5() البخاري (4781)، ومسلم (1619)

يقولـون: ﴿الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَـزَنَ إِنَّ رَبَّنَـا لَغَفُـورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَـا دَارَ الْمُقَامَـةِ مِنْ فَضْـلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَـا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 34، 35])(1)

[الحديث: 245] وهو في البيان الغيبي للقـرآن الكـريم، ونص الحديث هو قولـه ﷺ: (مـا من مـؤمن إلا ولـه بابـان، بـابٌ يصعد منه عمله، وبابٌ ينزل منـه رزقـه، فـإذا مـات بكيـا عليـه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَـا كَـانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: 29])(2)

[الحديث: 246] وهـو في البيـان الغيـبي لقولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَـاثُوا بِمَـاءٍ كَالْمُهْـلِ يَشْـوِي الْوُجُـوهَ﴾ [الكهـف: 29]، فقد قال ﷺ: (﴿كالمهل﴾ كعكر الزيت، إذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه)(3)

[الحديث: 247] وهو قوله ﷺ في البيـان الغيـبي لقولـه تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَـأْنٍ﴾ [الـرحمن: 29]: (من شـأنه أن يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب دعاءا ويرفع قوما ويضع آخــرين)(4)

[الحـديث: 248] وهـو في اسـتعمال رسـول اللـه ﷺ القرآن الكريم للموعظة، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (يـا أيهـا النـاس اتخـذوا تقـوى اللـه تجـارة، يـأتكم الـرزق بلا بضـاعة ولا تجارة)، ثم قـرأ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًـا (2) وَيَرْزُقْـهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3])(5)

[الحديث: 249] وهو في البيان الغيبي للحقائق القرآنية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (إن العبد إذا أخطـأ خطيئـة نكت في قلبه نكتة، فإذا نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه، وهو الـران الـذي ذكـره اللـه ﴿كَلَّا بَـلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14])(6)

[الحـديث: 250] وهـو قولـه ﷺ في بيـان معـنى قولـه تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: 2، 3]: (اليـوم الموعـود يـوم القيامـة، واليـوم المشـهود يـوم عرفـة،

---

(1) أحمد 5/198.
(2) الترمذي (3255)
(3) الترمذي (2584)
(4) البزار كما في (كشف الأستار) (2237)
(5) الطبراني 20/97.
(6) الترمذي (3334)، وابن ماجة (4244)

والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غـربت على يـوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعوا اللـه بخـير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه)(1)

[الحديث: 251]ـ وهو قوله ﷺ في البيـان الغيـبي لقولـه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلـة: 4]: (فـإن أخبارهـا أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرهـا، تقـول: عمـل يوم كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها)(2)

[الحـديث: 252]ـ وهـو في إخبـاره ﷺ أن بعض الآيـات القرآنية لم يأت تفسيرها الواقعي بعد، ونص الحديث هو أنه لما نزل قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكـاثر: 8] قـال النـاس: يـا رسـول اللـه، عن أي نعيم نسـأل؟ إنمـا همـا الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: (إن ذلـك سيكون)(3)

وفي حديث آخر، ربمـا يكـون أقـرب لتفسـير الآيـة، لكونـه يشمل جميع العصور، وهو قوله ﷺ: (أول مـا يسـأل عنـه العبـد يـوم القيامـة من النعيم أن يقـال لـه: ألم نصـح لـك جسـدك، ونرويك من الماء البارد؟)(4)

[الحديث: 253]ـ وهو في البيان الغيـبي للكـوثر، الـوارد في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَـاكَ الْكَـوْثَرَ ﴾ [الكـوثر: 1] ونص الحديث هو قوله ﷺ: (الكوثر نهر وعدنيه ربي تعالى، عليـه خـير كثير،هو حوض ترد عليـه أمـتي يـوم القيامـة، آنيتـه عـدد نجـوم السماء، فيختلج العبد منه، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)

وفي روايـة: (لمـا عـرج بي إلى السـماء أتيت على نهـر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)(5)

وفي روايـة: (الكـوثر نهـر في الجنـة، حافتـاه من ذهب، مجراه على الـدر، واليـاقوت، تربتـه أطيب من المسـك، ومـاؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج) (6)

1() الترمذي (3339)
2() الترمذي (3353)
3() الترمذي (3357)
4() الترمذي (3358)
5() البخاري (4964)، ومسلم (400)
6() الترمذي (3361)، وابن ماجة (4334)

ب ـ الأحاديث المقبولة في المصادر الشيعية:

من الأحاديث الواردة في المصادر الشيعية، والتي يمكن اعتبارها محل اتفاق بين الأمة جميعا، وهي تشبه كثيرا نظيراتها في المصادر السنية الأحاديث التالية:

[الحديث: 254] ـ وهو قوله ﷺ في التحذير من تفسير القرآن بالرأي: (قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي مَن فسّر برأيه كلامي، وما عرفني مَن شبّهني بخلقي، وما على ديني مَن استعمل القياس في ديني)[1]

[الحديث: 255] ـ وهو قوله ﷺ في التحذير من الجدال في القرآن بغير علم: (أشد ما يتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم، أو جدال منافق بالقرآن، أو دنيا تقطع رقابكم، فاتهموها على أنفسكم)[2]

[الحديث: 256] ـ وهو قوله ﷺ في التحذير من التأويل المستند للهوى: (إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خلال: أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، ويتبعوا زلة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا، وسأنبئكم المخرج من ذلك، أما القرآن فاعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وأما العالم فانتظروا فيأته، ولا تتبعوا زلته، وأما المال فإن المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه)[3]

[الحديث: 257] وهو قوله ﷺ في التحذير من المحرفين للدين بعده: (ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعزه الله، ويعز من أذله الله، والمستأثر بفئ المسلمين المستحل له)[4]

وفي رواية: (إني لعنت سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب قبلي، فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ فقال: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمخالف لسنتي والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمتسلط بالجبرية ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستأثر على المسلمين بفيئهم مستحلا له، والمحرم ما أحل الله عزوجل)[5]

1() بحار الأنوار: 89/107، والعيون 1/116، أمالي الصدوق ص5.
2() أمالي الصدوق ص 56.
3() الخصال ج 1 ص 78.
4() الخصال ج 1 ص 164.
5() الخصال ج 2 ص 6.

[الحديث: 258] وهو في دعوته ﷺ لتدبر القرآن الكريم والبحث عن حقائقه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[1]

[الحديث: 259] وهو في إخباره ﷺ أن المعاني القرآنية لا تقتصر على الظواهر فقط، ونص الحديث هو قوله ﷺ في وصف القرآن الكريم: (وهو كتاب تفصيل وبيان تحصيل، هو الفصل ليس بالهزل، وله ظهرٌ وبطن، وظاهره حكم الله وباطنه علم الله تعالى، فظاهره وثيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف النصفة.. فليرع رجلٌ بصره، وليبلغ النصفة نظره ينجو من عطب، ويتخلّص من نشب، فإنّ التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات، والنور يُحسن التخلّص ويُقلّ التربّص)[2]

وقد فسر الإمام الباقر هذا الحديث بقوله: (ظاهره تنزيله، وباطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: 7] نحن نعلمه)[3]

وقال: (ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الاية، لما بقي من القرآن شئ ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والارض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر)[4]

وكل هذه النصوص تدل على أن لتعابير القرآن الكريم دلالتين: دلالة بالتنزيل، وهو ما يستفاد من ظاهر التعبير، ودلالة أخرى بالتأويل، وهو المستفاد من باطن فحواها، وذلك بانتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على الموارد المشابهة عبر العصور، حتى لا يبقى القرآن الكريم خاصا بعصر دون عصر.

[الحديث: 260] وهو في البيان الغيبي لسورة الفاتحة، وفيه بيان كيفية التدبر، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (قال الله عزّ

1() بحار الأنوار (92/ 106)

2() بحار الأنوار: 74/ 135، ونوادر الراوندي ص21.

3() بصائر الدرجات ص 196.

4() تفسير العياشي ج 1 ص 10.

وجلّ: (قسمت الحمـد بيـني وبين عبـدي: فنصـفها لي، ونصـفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبـد: (بسـم اللـه الـرّحمن الرّحيم قال الله عزّ وجـلّ: بـدأ عبـدي باسـمي، حـقّ عليّ أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله، فـإذا قـال: الحمـد للـه ربّ العالمين قال اللـه عـزّ وجـل: حمـد لي عبـدي، وعلم أنّ النعم التي له من عنـدي، والبلايـا الّـتي انـدفعت عنـه بتطـولي، أشهدكم أنّي أضعف له نعم الدنيا إلى نعيم الآخـرة، وادفـع عنـه بلايا الآخرة، كما دفعت عنـه بلايـا الـدّنيا، فـإذا قـال: الـرّحمن الرّحيم قال الله عزّ وجـل: شـهد لي بـأنّي الـرّحمن الـرّحيم، أشهدكم لأوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه، فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله عزّ وجل: أشهدكم كمـا اعـترف بـأنّي أنـا المالـك ليـوم الـدين، لأسـهلنّ يـوم الحسـاب حسـابه، ولأتقبّلنّ حسـناته، ولأتجـاوزنّ عن سـيّئاته، فـإذا قـال العبد: إيّاك نعبد قال الله عزّ وجل: (صدق عبدي إيّاي يعبـد، لأُثيبنّه عن عبادته ثواباً يغبطه كلّ مَن خالفه في عبادته لي، فإذا قال: وإياك نستعين قال اللـه عـزّ وجـل: بي اسـتعان وإليّ التجأ، أشهدكم لأُعيننّه على أمره ولأغيثنّه في شدايده، ولآخــذنّ بيــده يــوم القيامــة عنــد نوائبـه، وإذا قــال: اهـدنا الصّـراط المستقيم إلى آخرها، قال الله عزّ وجل: (هذا لعبدي ولعبـدي ما سأل، قد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وآمنته ممّـا منـه وجل)[1]

وفي نهاية الحديث قيـل للإمـام علي: يـا أمـير المؤمـنين.. أخبرنــا عن بســم اللــه الــرّحمن الــرّحيم أهي من فاتحــة الكتاب؟.. قال: (نعم، كـان رسـول اللـه ﷺ يقرؤهـا ويعـدّها آيـة منهـا، ويقـول: (فاتحـة الكتـاب هي السّـبع المثـاني، فُضّـلت ب بسم الله الرّحمن الرّحيم، وهي الآية السّابعة منها)[2]

[الحديث: 261]ـ وهـو في دعـوة رسـول اللـه ﷺ أمتـه للرجــوع للراســخين في العلم بعــده لفهم القــرآن الكــريم، خصوصـا عنـد ظهـور الفتن، تجنبـا لأهـل الزيـغ الـذين يتبعـون التأويل، ونص الحديث هو ما حدثت به أمّ سلمة قالت: (سمعت رسول اللـه ﷺ في مرضـه الّـذي قُبض فيـه يقـول وقـد امتلأت الحجـرة من أصـحابه: (أيّهـا النـاس.. يوشـك أن أقبض قبضـاً

1() بحار الأنوار: 82/60، وتفسير الإمام ص27، العيون 1/300.
2() بحار الأنوار: 82/60، وتفسير الإمام ص27، العيون 1/300.

سريعاً، فينطلق بي وقـد قـدّمت إليكم القـول معـذرة إليكم، ألا إنّي مخلفٌ فيكم كتاب ربّي عـزّ وجـلّ، وعـترتي أهـل بيـتي، ثمّ أخذ بيد الإمام علي فرفعها فقال: (هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، خليفتان بصيران لا يفترقـان حتّى يـردا عليّ الحـوض، فأسألهما ماذا خلّفت فيهما)[1]

[الحديث: 262]ـ ولهذا كـان الإمـام علي يقـول مخاطبـا أولئك الذين يرغبون عنه إلى غيره من اليهود أو تلاميـذ اليهـود: (ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم من السّـماء إلى الأرض، وجميـع ما فُضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين عنـدي وعنـد عـترة خـاتم النبيّين، فأيّن يُتاه بكم بل أين تذهبون؟)[2]

[الحـديث: 263]ـ وقـال: (واللـه مـا نـزلت آيـة إلاّ وقـد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، أبليل نزلت أم بنهـار نـزلت، في سهل أو جبل، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً)[3]

[الحديث: 264]ـ وقال: (لو شئت لأوقرت سبعين بعـيراً في تفسير فاتحة الكتاب)[4]

[الحديث: 265] وقال: (ما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القـرآن إلا أقرأنيهـا وأملأهـا عليّ فكتبتهـا بخطي، وعلّمـني تأويلها وتفسيرها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا اللـه عـزّ وجـلّ أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله عزّ وجــلّ، ولا علماً أملاه عليّ فكتبته، وما ترك شيئاً علّمـه اللـه عـزّ وجـلّ من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي، وما كان أو يكون من طاعةٍ أو معصيةٍ، إلا علّمنيه وحفظته، فلم أنسَ منـه حرفـاً واحـداً، ثمّ وضع يده على صدري، ودعا الله تبـارك وتعـالى بـأن يملأ قلـبي علماً وفهماً وحكمةً ونوراً، ولم أنسَ من ذلـك شـيئاً، ولم يفتـني من ذلك شيءٌ لم أكتبه)[5]

[الحديث: 266]ـ وقد شهد له بهذا جميع الأمة، قـال ابن عباس: (الإمام علي علم علماً علّمـه رسـول اللـه ﷺ، ورسـول الله ﷺ علّمـه اللـه، فعلم النـبي ﷺ من علم اللـه، وعلم الإمـام علي من علم النــبي ﷺ، وعلمي من علم الإمــام علي.. ومــا علمي وعلم أصـحاب محمـد ﷺ في علم علي، إلا كقطـرة في

1() بحار الأنوار: 89/80، وأمالي الطوسي 2/92.
2() بحار الأنوار: 89/80، وتفسير القمي ص5.
3() بحار الأنوار: 89/93، والمناقب 2/43.
4() بحار الأنوار: 89/93، والمناقب 2/43.
5() بحار الأنوار: 89/100، وإكمال الدين 1/401.

سبعة أبحر)[1]

وقال الشعبيّ: (ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله ﷺ من عليّ بن أبي طالب)[2]

2 ـ الأحاديث الموقوفة على أئمة الهدى:

وهي كثيرة جدا، وأكثرها يدعو إلى تفعيل القرآن الكريم في الحياة، ومواجهة الفتن، وخاصة بعد انشغال الناس بالقصص والأساطير التي نشرتها الفئة الباغية لتبعد الأمة عن كتابها وهداتها، ومن الأمثلة على ذلك:

[الحديث: 267] ـ وهو في التحذير من تفسير القرآن بالرأي، ونص الحديث هو أن الإمام الصادق سئل عن الحكومة فقال: (مَن حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، ومَن فسّر آية من كتاب الله فقد كفر)[3]

[الحديث: 268] وقال الإمام الباقر: (إيّاكم والخصومة.. فإنها تحبط العمل، وتمحق الدين، وإنّ أحدكم لينزع بالآية يقع فيها أبعد من السماء)[4]

أما ما ورد عنهم من التأويل والتفسير؛ فيمكن تقسيمه إلى قسمين:

أولهما ــ تفسير ظاهر القرآن الكريم، وذلك بتوضيح معانيه والدلالة عليها، أو بتمييز محكمه عن متشابهه، والرد على التحريفات المختلفة.

ثانيهما ـ تفسير باطن القرآن الكريم، أو تبيين المصاديق التي يمكن أن تنطبق عليها الآيات الكريمة، من غير أن يحصروها في تلك المعاني.

أ ـ توضيح المعاني القرآنية:

وما ورد عنهم في هذا القسم كثير جدا، ذلك أن كل كلماتهم وأفعالهم يمكن اعتبارها من هذا الباب؛ فهي جميعا تستند لما وصل إليهم من رسول الله ﷺ من الهدي، وتبلغه للأمة بكل أمانة، وجميعه بيان للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 44]، وسنذكر هنا بعض الأمثلة على ذلك.

1() بحار الأنوار: 89/105، وشفاء الصدور.

2() بحار الأنوار: 89/93، والمناقب 2/43.

3() بحار الأنوار: 89/111، وتفسير العياشي 1/18.

4() بحار الأنوار: 89/111، وتفسير العياشي 1/18.

[الحديث: 269]ـ وهو في نفي التشبيه والتجسيم، فقد سئل الإمام علي عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5]، فقال: (يعني استوى تدبيره وعلا أمره)[1]

فهذه المقولة مع قصرها ترد على تلك الحملة التجسيمية التشبيهية التي قادها كعب الأحبار وغيره في تفسير معنى الاستواء، ونشر كل العقائد الوثنية من خلاله، مثل قول بعضهم: (الجهمية كفار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق، وأنهن لا يحللن لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم)، ثم تلا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وقال: (وهل يكون الاستواء إلا بجلوس)[2]

[الحديث: 270]ـ وهو في بيان حقيقة الوحدانية، فقد قال الإمام علي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 3، 4]: (لم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يولد فيكون في العزّ مشاركاً)، وقال في تفسير (أحد): (أي لا بتأويل عدد)[3]، وفيها رد على ظاهرة التجسيم، والتي تنفي التوحيد المطلق لله تعالى، وذلك بإقرارها بجواز التركيب عليه.

[الحديث: 271]ـ وهو في الرد على التفسير الوثني للكلام الإلهي، وقد قاله الإمام علي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، فقد قال: (كلّم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة، ولا لهوات سبحانه وتعالى عن الصفات)[4]

[الحديث: 272]ـ وهو في استنباط الأحكام من القرآن الكريم، ونص الحديث هو ما روي أنّ عمر أُتى بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ بإقامة الحد عليها، فقال له الإمام علي: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، فإذا تمّت المرأة الرّضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثون شهراً كان الحمل منهما ستّة أشهر)، فخلّى عمر

---

[1] الطبرسي، الاحتجاج: 1/373.
[2] رواه عبدالله بن أحمد في السنة (رقم 10)، والخلال في السنة (رقم 1704)
[3] الكليني، الكافي: 1/141.
[4] محمد بن علي بن بابويه، التوحيد: 79.

سبيل المرأة(1).

[الحديث: 273]ـ وهو في استنباط المعارف من القرآن الكريم، ونص الحديث هو ما روي أن ابن الكواء أتى الإمام علي، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال على: قد كلّم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب، فثقل ذلك على ابن الكوا ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرء كتاب الله إذ يقول لنبيّه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: 172]، فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب(2).

[الحديث: 274]ـ وهو في البيان الغيبي لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21]، فقد قال الإمام علي فيها: (السائق يسوقها إلى محشرها، والشاهد يشهد عليها بعملها)(3)

[الحديث: 275]ـ وهو في حمل المُجمل في القرآن الكريم على المُفسّر، ونص الحديث هو ما رواه عبيد الله العبسي، قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض فنزل قديداً فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وسقر فاستعار منه فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهن في حظيرة، فلما مر به عثمان طبخهن ثم قدمهن إليه، فقال عثمان: كلوا، فقال بعضهم: حتى يجئ علي بن أبي طالب.. فلما جاء فرأى ما بين أيديهم قال علي: إنا لا نأكل منه.. فقال عثمان مالك لا تأكل؟ فقال: هو صيد لا يحل أكله وأنا محرم.. فقال عثمان: بيّن لنا.. فقال علي: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: 95]، فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟.. فقرأ عليه علي: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: 96] (4)

[الحديث: 276]ـ وهو في تفسير المبهم القرآني، وذلك

---

(1) الإرشاد: 1/206.
(2) تفسير العياشي: 2/41.
(3) نهج البلاغة: 116.
(4) تفسير الطبري، 7/94.

من خلال السياق الذي ورد فيه، فقد سئل عن (الأب) الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: 31]، فقال: (يا سبحان الله أما علِم أنّ الأب هو الكلأ والمرعى، وأنّ قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: 31] اعتداد من الله بإنعامه على خلقه بما غذّاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم ممّا تحيى به أنفسهم وتقوّم به أجسادهم؟)[1]

[الحديث: 277]ـ وهو في الرجوع للقرآن الكريم لاستنباط القيم الأخلاقية، فقد سئل الإمام علي عن الزهد، فقال: (الزهد كلّه في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: 23]، فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد)[2]

[الحديث: 278]ـ وهو قول الإمام علي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33]: (كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ، وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33])[3]

[الحديث: 279]ـ وهو ما روي أن رجلا سأل الإمام علي عن تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، فقال: (﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هو أن عرّف عباده بعض نعمه جُملاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تُحصى أو تُعرف، فقال لهم: قولوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ما أنعم به علينا.. ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهم الجماعات من كلّ مخلوق، من الجمادات والحيوانات، فأمّا الحيوانات: فهو يقلبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحفظها بكنفه، ويدبّر كلاً منها بمصلحته.. وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، يمسك المتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده لرؤفٌ رحيم.. و﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ

1() المفيد، الإرشاد: 1/201.
2() بحار الأنوار: 75/70.
3() نهج البلاغة: 4/20.

مــــالكهم وخــــالقهم، وســــائق أرزاقهم إليهم من حيث هم يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، والرزق مقسـوم، وهـو يـأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الـدنيا، ليس تقـوى متّـق بزائـده، ولا فجور فاجر بناقصه، وبيننا وبينـه سـترٌ، وهـو طالبـه، ولـو أنّ أحدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت، فقال جـلّ جلاله: قولوا: الحمد لله على ما أنعم بـه علينـا، وذكّرنـا بـه من خير في كتب الأولين قبل أن نكون)[1]

[الحديث: 280]ـ وهـو قـول الإمـام السـجاد في تفسـير البسملة: (فقولوا عند افتتاح كلّ أمرٍ صـغيرٍ أو عظيم: (بسـم الله الرحمن الرحيم ، أي أستعين على هذا الأمر بالله الـذي لا تحـقّ العبـادة لغـيره، المغيث إذا اسـتُغيث، والمجيب إذا دُعي، الرحمن الـذي يـرحم ببسـط الـرزق علينـا، الـرحيم بنـا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خفّف علينا الدِّين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتميّزنا عن أعدائه)[2]

ب ـ بيان المصاديق القرآنية:

وهو ما أشارت إليه أحاديث رسول الله ﷺ السابق ذكرهـا، وهو منبن على كون القـرآن الكـريم شـاملا لكـل شـيء يرتبـط بالأمة في تاريخها الطويل.

ومن هذا الباب يذكرون أنه يمكن تطبيق كـل مـا ورد في القرآن الكريم على ما وقع للأمة في تاريخهـا الطويـل، وخاصـة في مواقفها من هداتها، واتباعها للمحرفين، وهم لا يعنون بذلك ظاهر التفسير، وإنما المصاديق التي يمكن أن ينطبق عليها.

فمـا ورد في مواجهـة الأقـوام للأنبيـاء عليهم السـلام، أو تعنت بني إسـرائيل، أو الظلم الـذي نـزل بالمستضـعفين يمكن تطبيقـه جميعـا على مـا حصـل للأئمـة من طـرف المسـتبدين الظالمين الذين تولوا حكمها.

وتفسير الآيات الكريمة بـذلك، لا يعـني عـدم وجـود أولئـك الأنبيـاء أو أقـوامهم، أو أن القـرآن الكـريم لم يقصـدهم، وإنمـا يريدون من ذلك أن تلك المعـاني يمكن انطباقهـا على غـيرهم، لأن القرآن الكريم لم يقصد بها التأريخ للأنبياء، وإنما أخـذ العـبر منهم.

ويمكن تقسيم رواياتهم في هذا إلى قسمين:

1() بحار الأنوار: 89/226، والعيون 1/282، العلل 2/101.
2() بحار الأنوار: 89/245، وتفسير الإمام ص9 ـ 24.

1. روايات معتبرة، لتوافقها مع القرآن الكريم، وصحة أسانيدها.
2. روايات مدسوسة من الغلاة، ولا يصح اعتبارها لتعارضها مع القرآن الكريم.

ولهذا نرى الأحاديث المتعلقة بهذا الباب، تنص على هذه المعاني؛ فهي من جهة تدعو إلى تطبيق التعاليم القرآنية على الوقائع المختلفة، وعدم قصرها على ما وردت فيه، ومن جهة أخرى تحذر من الغلو الذي استغل هذا المعنى، ليحرف الحقائق القرآنية، وسنورد هنا بعض ما يدل على ذلك من أحاديثهم.

[الحديث: 281] وهو قول الإمام الباقر في الدلالة على إمكانية تطبيق القرآن الكريم لكل الأزمنة: (إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه، وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شيءٍ حدّاً، وجعل عليه دليلا يدلّ عليه)[1]

[الحديث: 282] وهو قول الإمام الصادق لمن سأله عن سر ذلك، فذكر قول رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]: (أنا المنذر وعليّ الهادي)، ثم قال: (يا أبا محمَّد هل من هاد اليوم؟ قال: بلى جُعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتّى دُفعت إليك، فقال: (رحمك الله يا أبا محمّد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل فمات ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنّه حيّ يجري في من بقي كما جرى في من مضى)[2]

[الحديث: 283] وهو قول الإمام الصادق في دور التاريخ والواقع في تفسير القرآن الكريم: (للقرآن تأويل يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، فإذا جاء تأويل شيء منه وقع، فمنه ما قد جاء، ومنه ما يجيء)[3]

[الحديث: 284] وهو قول الإمام الباقر في محال تطبيق المصاديق على الأئمة: (يا محمّد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فنحن هم.. وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا)[4]

[الحديث: 285] ومثله قول الإمام الصادق: (يا أبا

1() بحار الأنوار: 89/84، وبصائر الدرجات ص6.
2() الكافي، 1/192.
3() بحار الأنوار، 23/79.
4() تفسير العيّاشي، 1/13.

محمّد، ما من آية نزلت تقود إلى الجنّة ولا تـذكر أهلهـا بخـير إلّا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آيـة نـزلت تـذكر أهلهـا بشـرّ ولا تسوق إلى النار إلّا وهي في عدوّنا ومن خالفنا)[1]

ولا حرج في قبول هذه الرواية وغيرها لانطباقها مع القرآن الكريم، فالله تعالى يقول عن أئمة أهل البيت: ﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]، ولذلك فإن جميع أوصاف الصالحين تنطبق عليهم، وجميـع أوصاف المنحرفين تنطبق على عدوهم.

[الحديث: 286]ـ ما روي عن الإمام الصادق في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا فَـإِنْ بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَى الْأُخْـرَى فَقَـاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، فقد قال: (إنّما جـاء تأويـل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية وهم الذين بغـوا على أمير المؤمنين)[2]، فالآية بإطلاقها تشـمل جميـع حـالات الـنزاع والحرب التي يكـون طرفاهـا من المسـلمين وإن كـان أحـدهما على ظاهر الإسلام.

[الحديث: 287]ـ ما روي عن الإمام الصادق في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَـانَ مَسْـئُولًا ﴾ [الإسـراء: 34]، فقد قال: (العهد ما أخذ النـبيّ ﷺ على النـاس في مودّتنـا وطاعة أمير المؤمـنين)[3]، فالآيـة الكريمـة دالّـة بإطلاقهـا على لزوم الوفاء بكلّ عهد، ومودّة أهل البيت من تلك العهود.

[الحديث: 288]ـ ما روي عن الإمام الصادق في تفسـير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّـالِّينَ﴾ [الفاتحـة/7]، فقد فسّر (المغضوب عليهم) بالنواصـب، و(الضـالّين) بالشّـكّاك الذين لا يعرفون الإمام[4].

[الحديث: 289]ـ وهو قول الإمام الصادق في الـرد على الغلاة: (لا تقولوا في كلّ آية هذا رجل وهـذا رجـل، من القـرآن حلال ومنه حرام ومنـه نبـأ مـا قبلكم وحكم مـا بينكم وخـبر مـا بعدكم وهكذا هو)[5]

[الحـديث: 290]ـ وهـو مـا كتبـه الإمـام الصـادق لبعض

1() الكافي، 8/36.
2() الكافي، 8/180، تهذيب الأحكام، 6/137.
3() كشف اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص 88.
4() البرهان في تفسير القرآن، 1/407.
5() البرهان في تفسير القرآن، 1/23.

الغلاة[1]، وقوله له: (بلغني أنّك تزعم أنّ الخمر رجل، وأنّ الزنا رجل، وأنّ الصلاة رجل، وأنّ الصوم رجل، وليس كما تقول، نحن أصل الخير وفروعه طاعة الله، وعدوّنا أصل الشرّ وفروعه معصية الله)، ثمّ كتب: (كيف يطاع من لا يُعرَف، وكيف يُعرَف من لا يطاع؟)[2]

[الحديث: 291]ـ وهو ما روي أنّه قيل للإمام الصادق: (روي عنكم أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال، فقال: (ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعلمون)[3]

[الحديث: 292]ـ وهو ما روي عن الإمام الصادق أنّه قال: (احذروا على شبابكم من الغلاة لا يفسدوهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله.. والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)[4]

[الحديث: 293]ـ وهو ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (إنّ أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال ويستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله)[5]

[الحديث: 294]ـ وهو ما روي عن الإمام الرضا أنه قال في التحذير من الغلاة: (فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا.. ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا)[6]

[الحديث: 295]ـ سئل الإمام الباقر عن الغالي، فأجاب: (قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا)[7]

[الحديث: 296]ـ روي عن الإمام الصادق أنّه قال في حقّ الغُلاة: (إنّ فيهم من يكذب حتّى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه)[8]

1() هو محمّد بن مقلاص الأسدي الكوفي (أبو زينب) غال، ملعون. (رجال الطوسي، ص 345).
2() البرهان في تفسير القرآن، 1/23.
3() وسائل الشيعة، 12/121.
4() بحار الأنوار، 25/246.
5() بحار الأنوار، 5/8.
6() عيون الأخبار، ص 81 و82.
7() الكافي، 4/175.
8() بحار الأنوار، 25/296.

المبحث الثاني

الأحاديث المردودة في فضل القرآن الكريم وتلاوته وتدبره

من الوسائل التي استعملها أصحاب الفئة الباغية بشقها السياسي والديني لإبعاد المؤمنين عن حقيقة التعامل مع القرآن الكريم الكثير من الروايات التي تحوّل منه إلى مجرد تعويذة للشؤون الدنيوية، دون اهتمام بمعانيه وعلاقتها بالحياة، أو تجعل من تلاوته وسيلة لضرب سائر القيم التي جاء لتقريرها، أو ربط فضائله ببعض الأساطير والخرافات.. وغيرها من الأساليب التي كان ظاهرها نوعا من الدعوة للقرآن الكريم، وباطنها نوعا من التنفير عنه أو عن القيم التي دعا إليها.

وسنذكر هنا مجاميع لأمثال تلك الروايات والأحاديث التي نرى ضرورة ردها لمخالفتها للقرآن الكريم، ولسائر قيم الدين.

أولا ـ الأحاديث المنافية للواقع:

ومن أمثلتها ما يروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو أن القرآن جعل في إهاب، ثم ألقي في النار ما احترق)[1]

وظاهر هذا الحديث مناف للواقع، ذلك أن النار تحرق أي جلد سواء كان فيه القرآن الكريم أو لم يكن، ولذلك أوله بعضهم بأن المراد منه حافظ القرآن، وهو أيضا تأويل بعيد للأحاديث التي تدل على عذاب من يقرأ القرآن أو يحفظه إذا لم يعمل بما فيه.

وقد حاول الشراح الدفاع عن معناه، ومن أمثلة ذلك قول أبي المحاسن الحنفي: (يحتمل أن يراد بالإهاب قارئه الذي وعاه، ويحتمل الورق الذي يكتب فيه لو ألقى في النار لانتزع الله تعالى منه القرآن تنزيها له حتى يحترق الإهاب خاليا من القرآن)[2]

وقال ابن الأثير: (قيل كان هذا معجزة للقرآن في زمن النبي ﷺ كما تكون الآيات في عصور الأنبياء، وقيل المعنى من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة فجعل جسم حافظ

1() أحمد 4/151، وأبو يعلى 3/284-285 (1745)، والطبراني 17/308.

2() معتصر المختصر ج2/ص275.

القرآن كالإهاب له)[1]

ومن أمثلتها ما ورد في فضل آية الكرسي، والذي لا يختلف عن سائر ما ورد في فضلها، لكن مشكلة رواية أبي هريرة لها، هو أنه أخبر أن فضلها ذكره الشيطان قبل أن يذكره رسول الله ﷺ، وهو يتنافى مع النصوص المقدسة الكثيرة التي تحذر من الشيطان، وتبين عداوته للإنسان.

ونص الرواية واضح في الدلالة على غرابتها، وهو قوله: وكلني النبي ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إنى محتاجٌ وعلى عيالٌ وبي حاجةٌ شديدةٌ، فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟)، قلت: يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فعرفت أنه سيعود لقوله ﷺ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى النبي ﷺ، فقال: دعني فإني محتاجٌ وعلى عيالٌ لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟)، قلت: يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى النبي ﷺ، وهذا آخر الثلاث مرات، إنك تزعم أن لا تعود ثم تعود، فقال: دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هن؟ قال: إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي، إنه لن يزال عليك من الله حافظٌ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟)، قلت يا رسول زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: (ما هي؟)، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ ولن يقربك شيطانٌ حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوبٌ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟)، قلت: لا، قال: (ذاك شيطانٌ)[2]

ثانيا ـ الأحاديث المشجعة على الإرجاء:

---

[1]() النهاية في غريب الأثر ج1/ص83.

[2]() البخاري تعليقًا بعد حديث (2311)

ومن أمثلتها ما ورد في فضل سورة الإخلاص، وعظم الثواب المرتبط بها، والذي يشجع على الإرجاء، والتعارض مع سائر القيم، ونص الحديث هو (من قرأ قل هو الله أحدٌ كل يوم مائتي مرة، محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دينٌ، ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه، ثم قرأ قل هو الله أحدٌ مائة مرة قال له الرب يوم القيامة: ادخل، على يمينك الجنة)[1]

ومثله ما ورد في فضل آية الكرسي من المبالغات، ونص الرواية: (مَن قرأ آية الكرسيّ مائة مرّة، كان كمن عبد الله طول حياته)[2]

ومثله ما ورد في فضل القراءة من المبالغات التي تتعارض مع سائر القيم، ونص الرواية هو (يا سلمان عليك بقراءة القرآن فان قراءته كفارة للذنوب، وستر في النار، وأمان من العذاب، ويكتب لمن يقرأه بكل آية ثواب مائة شهيد، ويعطى بكل سورة ثواب نبي، وينزل على صاحبه الرحمة ويستغفرله الملائكة، واشتاقت إليه الجنة، ورضي عنه المولى.. وإن المؤمن إذا قرأ القرآن نظر الله إليه بالرحمة، وأعطاه بكل آية ألف حور، وأعطاه بكل حرف نورا على الصراط فاذا ختم القرآن أعطاه الله ثواب ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيا بلغوا رسالات ربهم، وكأنما قرأ كل كتاب أنزل الله على أنبيائه، وحرم الله جسده على النار، ولا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولابويه، وأعطاه الله بكل سورة في القرآن مدينة في الجنة الفردوس كل مدينة من درة خضراء في جوف كل مدينة ألف دار، في كل دار مائة ألف حجرة في كل حجرة مائة ألف بيت من نور، على كل بيت مائة ألف باب من الرحمة على كل باب مائة ألف بواب، بيد كل بواب هدية من لون آخر، وعلى رأس كل بواب منديل من استبرق خير من الدنيا وما فيها، وفي كل بيت مائة دكان من العنبر سعة كل دكان ما بين المشرق والمغرب، وفوق كل دكان مائة ألف سرير، وعلى كل سرير مائة ألف فراش، من الفراش إلى الفراش ألف ذراع، وفوق كل فراش حوراء، عيناء، استدارة عجيزتها ألف ذراع، وعليها مائة ألف حلة يرى مخ ساقيها من وراء تلك الحلل، وعلى

1() الترمذي (2898)

2() بحار الأنوار: 89/263، والعيون 2/65.

رأسها تاج من العنبر، مكلل بالدر والياقوت وعلى رأسها ستون ألف ذؤابة من المسك والغالية، وفي اذنيها قرطان وشقان وفي عنقها ألف قلادة من الجوهر، بين كل قلادة ألف ذراع، وبين يدي كل حوراء ألف خادم بيد كل خادم كاس من ذهب، في كل كاس مائة ألف لون من الشراب لا يشبه بعضه بعضا في كل بيت ألف مائدة وعلى كل مائدة ألف قصعة، وفي كل قصعة مائة ألف لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا، يجدولي الله من كل لون مائة لذة.. يا سلمان المؤمن إذا قرأ القرآن فتح الله عليه أبواب الرحمة، وخلق الله بكل حرف يخرج من فمه ملكا بسبح له إلى يوم القيامة، وإنه ليس شئ بعد تعلم العلم أحب إلى الله من قراءة القرآن، وإن أكرم العباد إلى الله بعد الانبياء العلماء ثم حملة القرآن يخرجون من الدنيا كما يخرج الانبياء ويحشرون من قبورهم مع الانبياء، ويمرون على الصراط مع الانبياء، ويأخذون ثواب الانبياء فطوبى لطالب العلم، وحامل القرآن، مما لهم عندالله من الكرامة والشرف)[1]

ويدخل في هذا الباب الأحاديث التي تستعمل القرآن الكريم أو تفسره بما يخدم الإرجاء ومعارضة سائر قيم الدين، ومن الأمثلة عنها ما روي عن ابن مسعود أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على المسلمين، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ: (ليس ذاك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13])[2]

وهذا الحديث يتنافى مع مفهوم الظلم في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والذي يشمل كل تعد على الآخرين مهما كان صغيرا.

ومما يدل على عدم صحة الرواية عن ابن مسعود أنه كان يذكر بالنار، فقال رجلٌ: لم تقنط الناس؟ قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس، والله يقول: ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53] ويقول: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ

1() بحار الأنوار (92/ 17)

2() البخاري (3429)، ومسلم (124)

هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ [غافر: 43]، ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله تعالى محمدا ﷺ مبشرا بالجنة لمن أطاعه، ومنذرا بالنار لمن عصاه[1]

ومثل ذلك ما روي أن أبا الدرداء سمع رسول الله ﷺ وهو يقرأ على المنبر وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [الرحمن: 46] فقال: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟ فقال الثانية: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [الرحمن: 46] فقال: وإن زنا وإن سرق؟ فقال الثالثة: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [الرحمن: 46] فقال: وإن زنا وإن سرق؟ قال: (نعم، وإن رغم أنف أبي الدرداء)[2]

ومثله ما روي عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: (إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى، قالوا فما أغني إسلامكم وقد صرتم معنا في النار، قالوا كانت لنا ذنوبٌ فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار في النار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا) ثم قرأ ﷺ: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ [الحجر: 1، 2])[3]

ومثله ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل الرجل الجنة، سأل عن أبويه وزوجته وولده، فقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم)، وقرأ ابن عباس وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الطور: 21][4]

وغيرها من الأحاديث التي سنعرض لها في مواضعها الخاصة من هذه السلسلة.

ثالثا ـ الأحاديث المؤولة للمصاديق القرآنية:

ومن أمثلتها الروايات التي وضعها غلاة الشيعة الذين تكلفوا تطبيق كل القرآن الكريم على أئمة أهل البيت، مستندين في ذلك إلى روايات موضوعة لم تصح عن الأئمة،

1() البخاري تعليقًا قبل حديث (4815)
2() أحمد 2/357.
3() قال الهيثمي 7/48: رواه الطبراني.
4() الطبراني 11/440(12248)

لعدم صحة سندها، ولمخالفتها الصريحة للقرآن الكريم.

ومن الأمثلة عنها[1] ما رووا عن الإمام الصادق أنه قال: (كلّ شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمّة)[2]

ورووا عنه قوله: (إنّ القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن، وربع أحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وفصل بينكم)[3]

ورووا عن الإمام الباقر أنه قال: (القرآن نزل أثلاثاً ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل)[4]

ورووا عنه أنه قال: (نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام)[5]

ومن الأمثلة على تلك التطبيقات المغالية المنحرفة ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 1 - 3]، فقد ذكروا أن (السماء) هو عليّ، و(الطارق) هو الروح، و(النجم الثاقب) هو النبيّ ﷺ)[6]، وفي سندها أبو محمّد الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، واقفي ضعيف، قال علي بن الحسن بن فضّال فيه: ملعون كذّاب، وقد كتب عنه تفسيره، ولا أرى جواز روايته[7].

منها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 4، 5]، فقد رووا أن (الملائكة، في هذا الموضع، المؤمنون الذين يملكون علم آل محمّد ﷺ، والروح روح القدس وهي فاطمة.. حتّى مطلع الفجر حتّى يقوم القائم)[8] وفي سندها محمّد بن جمهور، وهو من الغُلاة.

1() استفدنا أكثر الأمثلة الواردة هنا من مقال مهم بعنوان: الجري والتَّطبيق القرآنيَّان: قراءة أنموذجيَّة روائية لتطبيقات القرآن على أهل البيت وأعدائهم، د. محمّد كاظم شاكر، مجلة المنهاج، العدد 32، ص240.

2() تفسير العيّاشي، 1/13، إثبات الهداة، 3/44.

3() الكافي، 2/628.

4() تفسير العيّاشي، 1/10.

5() الكافي، 2/628.

6() تفسير القمّي، ذيل الآية المذكورة.

7() انظر: جامع الرواة

8() البرهان في تفسير القرآن: ذيل الآية المذكورة.

ومنها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: 1 - 3]، فقد فسروا (النبأ) بالإمام عليّ وولايته[1].. وفي إسناد الروايات المفسّرة لهذه الآية محمّد بن فضيل الأزدي، روى عن الإمامين الكاظم والرضا، وقد عدّوه من الضعفاء والغُلاة.. وفيها أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، ضعيف في الحديث، متّهم في دينه بالغلوّ، لا يعتمد على شيء من حديثه..

ومنها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 15 ـ 19]، فقد رووا أن (الخنّس هو قائم آل محمّد ﷺ الغائب عن الأنظار)[2]

وهي رواية لا تصح سندا ومتنا، ففي سند هذه الروايات جعفر بن محمّد بن مالك، وقد ذكروا أنه ضعيف، غال، وضّاع، وقد جمع إليه جميع عيوب الرواة الضعاف.. كما أنّ الكثير من رواة هذه الأخبار مجاهيل[3].

أما عدم صحتها متنا، فواضح، ذلك أن القسم الوارد، في هذه السورة، هو لتأكيد صدق نبوة رسول الله ﷺ وهو موجه لخطاب المنكرين لها.

ومنها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: 31]، حيث ذكروا أن (الثقلان كتاب الله وأهل البيت)[4]، وفي سند هذه الروايات محمّد بن عيسى اليقطيني وهو غال، وأبان بن عثمان، كان ناووسياً، وهو فاسد المذهب.

ومنها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: 16ـ 17]، وأن المراد بـ (هذا الذي) الإمام عليّ، وأنه من باب التنزيل لا التأويل[5]، وفي سند الرواية محمّد بن الفضيل وهو غال.

ومنها ما رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

1() انظر: الكافي، 3/207 و418.
2() البرهان في تفسير القرآن، 4/433.
3() انظر: جامع الرواة.
4() البرهان في تفسير القرآن، 4/267.
5() البرهان في تفسير القرآن، 4/17.

الزَّكَـاةَ وَذَلِـكَ دِينُ الْقَيِّمَـةِ [البينـة: 5]وأن المـراد من (دين القيّمـة) فاطمـة الزهـراء[1]، وفي سـند الروايـة أبـو عبـد اللـه، عمرو بن الشمر بن يزيد الجعفي، وقد عُدّ في الضعاف ووضّـاع الحديث.

ومما يـدل على أن المقصـد ليس الرفـع من مقـام الأئمـة فقط، وإنما الإساءة البالغة إليهم، تلك الروايات الـتي تحـط من مقام النبوة والإمامة، والتي رواهـا الغلاة زاعمين أنهم يرفعـون بها مقامهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما فسروا به قولـه تعـالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا [البقرة: 26]، فقـد رووا أن المـراد بــ (البعوضـة) في الآيـة هـو الإمـام علي، والمراد بــ (مـا فوقهـا) رسـول اللـه ﷺ)[2]، وفي سـند الروايـة المعلّى بن خنيس، وهو ضعيف جدّاً.

ومنهـا مـا ورد في تفسـير قولـه تعـالى: فَأَنْـذَرْتُكُمْ نَـارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَـوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى [الليل: 14 ـ 17]، فقد رووا أن المراد بقوله (ناراً تلظّى) في الآية قائم آل محمّـد ﷺ، عنـدما يخـرج وينتفض غاضباً، فيقتل من كلّ ألف (999)، والمراد بـ (الأشقى) عدوّ آل محمّد ﷺ و(الأتقى) هو الإمام علي)[3] وفي سند الروايـة عمـرو بن شمر، وهو ضعيف غال.

وقد علق د. محمّد كاظم شـاكر على هـذه الروايـة بقولـه: (هل يصـحّ أن تكـون حركـة الإمـام المهـدي، والـتي هي كبـاقي بعثات الأنبياء رحمةً وهداية، بهذا الوصف الذي ذكـر وأنّـه يقتـل من كـلّ ألـف (999) شخصـاً.. فلـو فرضـنا أنّ عـدد سـكّان المجتمـع الإنسـاني وقتئـذ عنـد ظهـور الإمـام عشـرة مليـارات إنسان، فإنّه سيبقى منهم عشرة ملايين شـخص فقـط والبـاقي سيقتلون على يديـه، فهـل ثمّـة نيـل هـو أكـثر من هـذا بحقّـه.. والطّريف، في الحديث، أنّه استثنى من غضـبه وانتقامـه الإمـام أمير المؤمنين وأصحابه، فهل في هـذا الاسـتثناء مسّ أكـثر من ذلك بمقام الأمام أمير المؤمنين)[4]

1() البرهان في تفسير القرآن، 4/489.
2() تفسير القمّي، ذيل الآية 26 من سورة البقرة.
3() البرهان في تفسير القرآن، 4/471.
4() مجلة المنهاج، عدد 32، ص260.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَـةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَـا الْعَقَبَـةُ (12) فَـكُّ رَقَبَـةٍ (13) أَوْ إِطْعَـامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ [البلد: 11 - 14]، فقد ذكروا أن المراد بقوله (فكِّ رقبة) في الآية، هو رقبة ولايـة الإمـام علي)[1]، وفي سـند الرواية محمّد بن جمهور العمّي، وهو من الغُلاة.

وقد رد د. محمّد كاظم شاكر على متن الرواية بقوله: (إنّه قد ورد في الآية أمران على نحو التخيير بعنوان: (العقبة)، وهما (فكّ رقبة) و(الإطعام)، فهل ولاية الإمـام أمـير المؤمـنين تقـدّر بإطعام مسكين؟!.. وبناءً على هذا التأويل لا إلزام بولاية الإمـام علي، بل الناس مخيّرون بين ولايته وبين إطعام المسكين!)[2]

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: وَيَـذْكُرُوا اسْـمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُـوا مِنْهَـا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُـذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُـوا بِـالْبَيْتِ الْعَتِيـقِ [الحج: 28،ـ 29]، فقـد ذكـروا أن المراد بقولـه (وليقضـوا تفثهم) هـو لقـاء الإمـام عليّ)[3]، وفي سند الرواية سهل بن زياد الآدمي، وهو من الغلاة.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ [البلد: 8،ـ 9]، وأن (العينـان همـا رسـول الله ﷺ، واللسان هـو علي، والشـفتان همـا الحسـنان)[4]، وفي سند الرواية أبو يعقوب الأسدي، وهو مجهول.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعـالى: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُـونِ [التين: 1]، وأن المراد من الـتين والزيتـون الحسـن والحسـين، وأسانيد هذه الأحاديث كلهـا تـدور بين مغـالين وكـذابين، فمنهم محمّد بن القاسم، ضعيف كـذّاب.. وعبـد اللـه بن عبـد الـرحمن الأصمّ، ضعيف غال كـذّاب، من البصـرة.. ومحمّـد بن الفضـيل، غـال.. ومحمّـد بن عيسـى بن عُبيـد اليقطيـني، غـال.. وبـدر بن الوليد وأبو الربيع الشامي، وكلاهما مجهول[5].

ومن دلائـل ضـعف تلـك الروايـات ذلـك المسـتوى الهزيـل الذي كتبت به، فلغتها سـقيمة مملـوءة بالركاكـة، وهـو مخـالف لبلاغة أئمة الهدى.

1() البرهان في تفسير القرآن، ذيل الآية 11 ـ 16.
2() مجلة المنهاج، عدد 32، ص260.
3() الكافي، 6/549، من لا يحضره الفقيه، 2/484 و485.
4() البرهان في تفسير القرآن، 4: ذيل الآية 17.
5() مجلة المنهاج، عدد 32، ص262.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40]، و(أنّ الكفّار يقولون يوم القيامة: يا ليتنا كنّا في زمرة شيعة أبي تراب)[1]، وفي سند الرواية محمّد بن عيسى بن عُبيد وبكر بن عبد الله بن حبيب، والأوّل من الغُلاة، والثاني لا يتحاشى نقل الأحاديث المنكرة.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1]، فقد فسروها بأن (أهل الكتاب هم الشيعة، والذين كفروا هم المكذِّبون بهم والمشركين المرجئة)[2]، وفي سند الرواية عمرو بن شمر وهو ضعيف وضّاع.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 6 ـ 8]، فقد ذكروا أن (الإنسان) هو الخليفة الأوّل، ومرجع الضمير في (إنّه لحبّ الخير لشديد) إلى الإمام عليّ)[3]، وفي سند الرواية: عبد الرحمن بن كثير وإبراهيم بن إسحاق النهاوندي وعلي بن حسّان الهاشمي وهم من الغُلاة، وعمرو بن شمر، وهو ضعيف وضّاع.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 4 ـ 6]، فقد فسروا الإنسان بأنه الخليفة الأوّل، و(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو الإمام علي)[4]، قد ورد هذا الحديث في تفسير علي بن إبراهيم القمّي مرسلاً.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: 7،ـ 8]، فقد فسروها: (إذا فرغت من النبوّة فانصب عليّاً للخلافة)[5]، وراوي الحديث هو عبد الرحمن بن كثير، وهو من الغُلاة.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ

1() البرهان في تفسير القرآن، 4/423.
2() البرهان في تفسير القرآن، 4/489،.
3() البرهان في تفسير القرآن، 4/498.
4() البرهان في تفسير القرآن، 4/478.
5() انظر: البرهان في تفسير القرآن 4، ذيل الآية المذكورة.

بِالدِّينِ [الماعون: 1]، وأن (الدّين هو ولاية الإمام عليّ)[1]، وفي سند الرواية محمّد بن جمهور، وعبد الرحمن بن كثير الهاشمي، وهما من الغُلاة.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ [التوبة: 36]، وأن (السنة هو رسول الله ﷺ، والاثنا عشر شهراً هم الأئمّة من أهل بيته، والأشهر الأربعة الحرم الأئمّة الأربعة المسمّون بعلي وهم: علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وعلي بن موسى الرضا، وعلي بن محمّد الهادي)[2] والحديث مرسل من جهة الإسناد.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [الرحمن: 17]، وأن (المشرقين هما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين، و(المغربين) الحسن والحسين)[3]، والحديث مرسل سنداً، وفيه سيف بن عميرة، وهو ضعيف.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ [الفجر: 1 - 3]، حيث رووا أن الحديث: (الفجر) هو قائم آل محمّد ﷺ و(ليال عشر) الأئمّة بدءاً بالإمام الحسن المجتبى وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري، و(الشفع) علي وفاطمة، و(الوتر) الله تعالى)[4]، وفي سند الحديث عمرو بن شمر، وهو ضعيف وضّاع.

وقد عقب د. محمّد كاظم شاكر على متن الرواية بقوله: (يبدو أنّ الوضّاعين قد عقدوا العزم على تأويل اللفظ القرآني في الأئمّة بأيّ نحو اتّفق، فإذا كان فيه إشارة إلى العدد (اثنا عشر) كما في الآية (36) من سورة التوبة قالوا: إنّ المراد به هم الأئمّة الإثنا عشر، وإذا كان فيه العدد (أربعة) قيل: هم الأئمّة الأربعة الذين سمّوا بعليّ، وإذا كان فيه العدد (اثنان) فإمّا يقال: هما النبيّ ﷺ وعليّ، أو يقال: هما علي وفاطمة، أو يقال: هما الحسن والحسين.. وهنا حيث كان العدد محدّداً بعشرة فقد قالوا: إنَّ المراد به الأئمّة من الإمام الحسن السبط إلى الإمام الحسن العسكري.. ومن الطريف أنّ بعض من جمع مثل هذه

1() تفسير القمّي: ذيل الآية المذكورة.
2() البرهان في تفسير القرآن، 4/454.
3() بحار الأنوار، 24/240.
4() انظر: جامع الرواة.

الروايات التفسيرية قد ذكر، في تفسيره، أنّ تفسير (ليال عشر) هنا بالأئمّة العشرة يطلق يدنا في عملية تطبيق مثل هذه الأعداد على الأئمّة)[1]

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: 2]، فقد فسرت بالإمام علي، وفي خبر آخر بالإمامين الحسن والحسين[2]، وفي سند أحدهما محمّد بن الفضيل، وفي الآخر محمّد بن عيسى بن عبيد، وكلاهما من الغلاة.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ [البروج: 1]، فقد فسرت (السماء) بالنبيّ ﷺ، و(البروج) أئمّة الهدى[3]، وفي سند الحديث سعد بن طريف، وهو من الضعفاء.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: 1]، فقد فسر بـ (الشمس) هو رسول الله ﷺ، و(القمر) هو الإمام عليّ، و(الليل) هم أئمّة الجور، و(النهار) هم سائر الأئمّة)، والحديث مرسل، وفيه سهل بن زياد الغالي.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: 8]، فقد فسر النور بأنه الإمام أو الأئمّة[4]، وفي سند الرواية محمّد بن الفضيل، وهو من الغلاة، وأحمد بن أبي عبد الله البرقي، وأحمد بن مهران، والمعلّى بن الخنيس، وهم من الضعاف.

وقد عقب د. محمّد كاظم شاكر على هذه الرواية بقوله: (إنّ تشبيه النبيّ ﷺ وأهل بيته الكرام بالشمس والقمر والنور وما شابه، وإن كان صحيحاً في نفسه، وكما هو وارد في القرآن الكريم في شأن النبيّ ﷺ: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45ـ 46] إلّا أنّ حمل هذه الألفاظ على النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة وأهل البيت من دون نصب قرينة على ذلك ممّا لا وجه له، فإنّ استعمال مثل هذه الألفاظ فيهم، استعمال مجازي يحتاج إلى القرينة، وحينئذ فلا بدّ من حملها على معانيها الحقيقيّة، وليس في أوّل سورة الشمس ما يدلّل على انفكاك

1() مجلة المنهاج، عدد 32، ص267.
2() البرهان في تفسير القرآن، 4/457.
3() البرهان في تفسير القرآن، 4/478.
4() البرهان في تفسير القرآن، 4/341 و342.

لفظ الشمس، والقمـر، والنهـار، والليـل عن معانيهـا الحقيقيّـة، وعليه فإنّ المقصود فيها هو معانيها الحقيقيّة لا غير. وفي الآيــة الثامنة من سورة التغابن، ثمّة قرينة على أنّ المـراد بــ (النـور) هو القرآن الكريم، وهي قولـه (أنزلنـا)، فلا يمكن حملهـا حينئـذ على الإمام أو الأئمّة.. ومن الطريف تأويل الشمس والقمر في قولــه تعــالى: الشَّــمْسُ وَالْقَمَــرُ بِحُسْــبَانٍ [الــرحمن: 5] بالخليفتين: الأوّل والثاني، بـدليل أنّ النـاس يعـدّونهما شمســي هذه الأمة، وأنّ النبي ﷺ قال: إنّ هـذين (النـورين) في (النـار)، وقوله (بحسبان) بمعنى أنّهما يعذّبان[1][2]

وقد ذكرنا في المبحث السابق ما ورد عن أئمة أهل البيت من رفض هذه الروايات وأمثالها، والتشدد على من يفعل ذلــك، ومثل ذلك رد علماء الشيعة العدول على أمثـال تلـك الروايـات، مبيـنين أن الأئمـة لا يحتـاجون إلى أمثـال ذلـك التكلـف لتعـرف الأمة قيمتهم، أو أحقيتهم بتبليغ الدين، لورود نصوص أخرى تدل على ذلك.

وقد ذكر د. محمّد كاظم شـاكر في دراسـته النقديـة لتلـك الروايات ـ بعد أن بين وجوه ضعفها سندا ومتنا ـ شبهتين جعلت البعض يتساهل معها مع ضعفها الشديد[3]:

أمــا **أولاهما**، فهي أن التــأويلات الــواردة، في الروايــات جميعها، من باب بـاطن القـرآن، ولا تنـافي بينهـا وبين المعـاني الظاهريـة للآيـات، فالمعـاني الظاهريـة باقيـة على حالهـا، وقـد أجاب على هذه الشبهة بعده وجوه، هي:

1. إنّـه لم يصـرّح في كثـير من هـذه الروايـات، بـأنَّ هـذه المعاني معان باطنية، وإنّمـا الـوارد فيهـا أنّهـا من بـاب التأويـل والبيان لمعاني الآيات.

2. إنّه قد ورد، في بعض هذه الروايـات، أنّ هـذه المعـاني من باب التنزيل، كما جاء في بعضها أنّ الآية قد نـزلت في هـذا المعـنى، وأنّ معناهـا هـو خصـوص المعـنى الـوارد في الروايـة فحسب.

3. إنّ روايات الظاهر والباطن تدلّ على أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، بل إنّ له عدّة بطون. إلّا أنّ المستفاد من هذه الروايات

1() انظر: مرآة الأنوار، ص 200.

2() مجلة المنهاج، عدد 32، ص268.

3() مجلة المنهاج، عدد 32، ص268.

أنّ جميع الآيات القرآنية، على الرغم من ظهوراتها المختلفة فإنّ لها باطناً لا أكثر، ألا وهو عليّ وأهل البيت وولايتهم.

4. إنّ الذي نراه في تفسير الظاهر والباطن هو أنّ المعاني الباطنة للقرآن تقع في طول المعاني الظاهرة، مع أنّ المعاني الواردة في أخبار التطبيق هي في عرض المعاني الظاهرة من الآيات.

وأما **الثانية**: فهي أنّ المعاني الواردة، في أخبار التطبيق، هي من باب المجاز، بمعنى أنّ استعمال اللفظ القرآني في هذه المعاني ليس على نحو الحقيقة، بل على نحو المجاز بما لا يتنافى والمعنى الحقيقي لها [1]، وقد أجاب على هذه الشبهة بأن (استعمال اللفظ في غير معنى واحد غير ممكن، وعليه فلا يمكن أن يقال: إنّ الله سبحانه يريد من اللفظ القرآني كلا المعنيين الحقيقي والمجازي معاً، بل لا بدّ من أن يريد أحدهما، إمّا الحقيقي أو المجازي، فإذا قال شخص (رأيت أسداً)، فإمّا أن يكون قد قصد المعنى الحقيقي له وهو الحيوان المفترس، وإمّا المعنى المجازي له، وهو الإنسان الشجاع. ولا يمكن أن يريد كلا المعنيين في هذا الاستعمال)[2]

ثم ذكر النتائج الخطيرة التي تنتج عن تلك الروايات وأمثالها، فقال: (لقد استغلّ بعضهم نصوص الجري والتطبيق للآيات على أهل البيت لتمرير أهدافهم المتمثّلة في إنكار أصول الشريعة وفروعها، وبالمآل هدم أصول الدِّين والقضاء على الإسلام، ويأتي من هذا الباب تأويل القيامة، والصلاة، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها في أشخاص معيّنين)[3]

ومن الأمثلة التي أوردها للدلالة على ذلك (ما ورد تأويل أكثر الآيات الوارد فيها أمثال لفظ القيامة، الحشر، النشر، البعث، وغيرها بالرجعة أو أهل البيت، ولم يصرّح بأنّ ذلك من باب الباطن)

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17]، فقد فسرت (الآخرة) بأن المقصود منها الإمام

1() انظر: مرآة الأنوار، 8 و357.
2() مجلة المنهاج، عدد 32، ص268.
3() مجلة المنهاج، عدد 32، ص268.

عليّ[1].. وفي سند الرواية المفضّل بن عمر، وهو من الغُلاة، ومحمّد بن سنان، والمعلّى بن محمّد، وكلاهما ضعيف، وأوّلهما من الغُلاة أيضاً.

ومثله ما فسروا به قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: 14]، فقد فسروا النار بالإمام المهدي[2]، وفي سند الرواية عمرو بن شمر، وهو غال وضّاع.

ومثل ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: 7]، فقد فسروا الدين بالإمام علي، وفي سند الحديث مجاهيل.

ومثل ذلك ما ورد في تفسير سورة الزلزلة، فقد ورد، في عدّة روايات، تأويل الإنسان بالإمام عليّ، وأرجعت بعض هذه الروايات موضوع الآيات إلى الزلزلة التي حدثت في زمانه، وأنه ضرب الأرض برجله مخاطباً لها: (مالكِ مالكِ)؟ حتّى هدأت[3].. وفي أسانيدها ضعاف أمثال أبي عبد الله الرازي، ومحمّد بن سنان، وإبراهيم بن إسحاق النهاوندي، والحسن بن محمّد بن جمهور، مع عدد آخر من المجهولين.

ومثل ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 148]، فقد ورد في أحاديث كثيرة أنّها في أصحاب الإمام المهدي.. وفي أسانيدها ضعاف ومجهولون، مثل محمّد بن سنان، والمفضّل بن عمر، وسهل بن زياد، وبعض مهمل ومجهول، بالإضافة إلى أن هذه الآية وردت (في سياق الآيات التي تشير إلى تعيين الكعبة قبلةً للمسلمين، وحاصل الكلام، على ضوء هذه الآية، هو (أنّ كلّ قوم لهم قبلة مشرّعة على حسب ما يقتضيه مصالحهم وليس حكماً تكوينيّاً ذاتياً لا يقبل التغيير والتحويل، فلا يهم لكم البحث والمشاجرة فيه، فاتركوا ذلك واستبقوا الخيرات وسارعوا إليها بالاستباق، فإنّ الله سيجمعكم إلى يوم لا ريب فيه)[4]

ومثل ذلك ما ورد من الروايات التي تهدف إلى (محو الصلاة والآداب والسنن والعبادات من حياة المسلمين، أو على

1() تفسير البرهان، 4/451.
2() تفسير البرهان، 4/471.
3() تفسير البرهان، 4/493 و494.
4() الميزان في تفسير القرآن، 1/327.

الأقل تهميشها، فطرحوا معاني بديلـة لهـذه المفـاهيم من خلال تأويلها ببعض الأشخاص)[1]

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الـدِّينَ حُنَفَـاءَ وَيُقِيمُـوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5]، فقـد أوردوا حـديثا مرفوعا يفسر (الصلاة) بأنهـا الإمـام عليّ، و(دين القيّمـة) بأنهـا فاطمة[2]، في سنده عمرو بن شمر، وهو ضعيف غال.

رابعـا ــ الأحـاديث المرتبطـة بـالتحريف ونسـخ التلاوة:

وهي للأسف واردة في المصادر السنية والشيعية، ويتبناها، ويـدافع عنهـا بعض علمـاء الفـريقين، متجـاهلين مـا ورد في النصوص المقدسة الكثيرة من إحكام القرآن، وتعهد الله تعـالى بحفظه، وعدم ورود الباطل إليه من بين يديه ومن خلفه.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَـافِظُونَ ﴾ [الحجـر: 9]، وهي صـريحة في تعهـد اللـه تعـالى بحفظ القرآن الكريم.

ومنها قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلَا مِنْ خَلْفِـهِ تَنْزِيـلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ﴾ [فصـلت: 41، 42]، وهي تعني ـ كما يذكر المفسرون ـ أنه لا يستطيع ذو باطل تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو بـه، وذلـك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَـابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27]، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَـدِّلَ لِكَلِمَاتِـهِ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115]، وهي دالة في تمام كلمات الله، وأنـه لا يسـتطيع أحـد تبـديلها أو تحريفهـا أو الزيـادة عليهـا أو النقصـان منها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِـهِ مِنْ كِتَـابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَـاتٌ فِي صُـدُورِ الَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ وَمَـا يَجْحَـدُ بِآيَاتِنَـا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبـوت: 48ــ 49]، وهي تشـير إلى أن القـول بـالتحريف

---

[1] () مجلة المنهاج، عدد 32، ص272.

[2] () البرهان في تفسير القرآن، 4/489.

والزيادة سيكون فتنة كبيرة، تدعو إلى الريب فيه، والبعد عنه.

وبناء على هذا، سنذكر هنا ما ورد في مصادر الفريقين من أمثال تلك الروايات المردودة، ومواقف العلماء منها.

1 ـ في المصادر السنية:

ونجدها للأسف في كتب الصحاح، مع ما تحمله من معان خطيرة تتنافى مع قدسية القرآن الكريم، وعلى الرغم من كونها رويت عن طريق الآحاد إلا أن الدفاع عنها لا يزال مستمرا إلى اليوم، ولا زال يعتبر مخالفها أو مفندها أو منكرها مبتدعا.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن حجر عنها، وعن ثبوتها: (ثبت عن جماعة من الصحابة من ذكر أشياء نزلت من القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها أو لم يبق، مثل حديث عمر (الشيخ والشيخة إذا زنيا).. وحديث أنس في قصة القراء الذين قتلوا في بئر معونة.. وحديث أبي بن كعب: (كانت الأحزاب قدر البقرة)، وحديث حذيفة: (ما يقرؤون ربعها) يعني براءة، وكلها أحاديث صحيحة.. وقد أخرج ابن الضريس من حديث ابن عمر أنه كان يكره أن يقول الرجل قرأت القرآن كله، ويقول: إن منه قرآنا قد رفع)، وليس في شيء من ذلك ما يعارض حديث الباب؛ لأن جميع ذلك مما نسخت تلاوته في حياة النبي ﷺ)[1]

وللأسف استمر القول بهذا إلى الآن، حيث نجد كل الكتب التي تتحدث عن النسخ، تذكر من أنواعه [نسخ التلاوة]، وتدافع عنه بشدة، ومن الأمثلة على ذلك قول محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) في الدفاع عنه في كتابه في علوم القرآن والمقرر في كل المدارس والجامعات الإسلامية السنية: (يقولون: إن الآية دليل على الحكم، فلو نسخت دونه لأشعر نسخها بارتفاع الحكم، وفي ذلك ما فيه من التلبيس على المكلف والتوريط له في اعتقاد فاسد.. وندفع هذه الشبهة بان تلك اللوازم الباطلة، تحصل لو لم ينصب الشارع دليلا على نسخ التلاوة وعلى إبقاء الحكم، أما وقد نصب الدليل على نسخ التلاوة وحدها، وعلى إبقاء الحكم وتقرير استمراره، كما في رجم الزناة المحصنين، فلا تلبيس من الشارع على عبده ولا توريط.. ويقولون: إن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم عبث لا يليق بالشارع الحكيم؛ لأنه من التصرفات التي لا تعقل لها فائدة؟..

---

(1) فتح الباري (9/65)

وندفع هذه الشبهة بجوابين: أحدهما: أن نسخ الآية مع بقاء الحكم ليس مجردا من الحكمة، ولا خاليا من الفائدة حتى يكون عبثا، بل فيه فائدة أي فائدة، وهي حصر القرآن في دائرة محدودة تيسر على الأمة حفظه واستظهاره، وتسهل على سواد الأمة التحقق فيه وعرفانه، وذلك سور محكم وسياج منيع يحمي القرآن من أيدي المتلاعبين فيه بالزيادة أو النقص؛ لأن الكلام إذا شاع وذاع وملأ البقاع ثم حاول أحد تحريفه سرعان ما يعرف، وشد ما يقابل بالإنكار، وبذلك يبقى الأصل سليما من التغيير والتبديل.. وثانيهما: أنه على فرض عدم علمنا بحكمة ولا فائدة في هذا النوع من النسخ، فإن عدم العلم بالشيء لا يصلح حجة على العلم بعدم ذلك الشيء، وإلا فمتى كان الجهل طريقا من طرق العلم، ثم إن الشأن في كل ما يصدر عن العليم الحكيم الرحمن الرحيم أن يصدر لحكمة أو لفائدة نؤمن بها)[1]

وللأسف؛ فإن العمدة الكبرى التي يستند إليها القائلون بالتحريف من الشيعة يستندون إلى الروايات السنية أكثر من استنادهم للروايات الشيعية، فقد ذكر المحدث الشيعي الميرزا محمد تقي النوري الطبرسي النوري (ت1320هـ) في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، والذي يُتهم بسببه الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكثير من الأدلة في المصادر السنية الصحيحة، ولذلك نراهم يقتصرون على ذكر دليلين ذكرهما النوري والتي ترجع إلى أحاديث الشيعة في الظاهر، ويسكتون عن ذكر عشرة من أدلته الأخرى التي ترجع تسعة منها إلى روايات أهل السنّة.

ومن تلك الأدلة ما ورد في المصادر السنية في جمع القرآن من مخالفات، كجمع القرآن بشاهدين، أو وجود الآيات عند بعض الأفراد فقط.. مما يكون ذريعة للقول بعدم تواتر القرآن واحتمال وقوع التحريف، وبخلاف ذلك ما نص عليه علماء الشيعة من أنّ القرآن الكريم جُمِع في عهد النبي ﷺ ولم يكن بحاجة إلى جمع جديد.

ومنها ما ورد من روايات حول الآيات والسور التي رُفِعَت تلاوتها، والتي سنرى نماذج عنها، وقد استنتج منها وجود آيات وسور قد حذفت بأيدي الخلفاء..

1() مناهل العرفان (2/156-158)

ومنهـا مـا ورد فيـه التقـديم والتـأخير في الآيـات، كبعض مصاحف السلف، ومثل ذلك قول أهل السنّة بأنّ ترتيب القـرآن إجتهاد من الصحابة، وترتيب القرآن في مصـاحف الصـحابة من أُبي وعلي، وابن مسعود.

ومنها ما يذكرونه في نقل بعض الآيات والكلمات والسـور، ويـذكر الروايـات في ذلـك عن أهـل السـنّة كالـدر المنثـور، والثعلبي، والإتقان، وغيرها، ثم يستنتج من ذلك وقـوع التحريـف في الكتاب.

ومنها ما يذكرونـه حـول أُبي بن كعب بأنـه أقْـرَأُ الأمّـة، ثم يذكر رواياتهم حول مصحفه وأنّ فيه أكثر ممّا هـو موجـود الآن، ويستنتج من ذلك أنّ المصحف الموجود ليس شـاملا لجميـع مـا في مصحفه، فيثبت التحريف عنده.

بناء على هـذا، وقبـل أن نـذكر مواقـف العلمـاء المنكـرين لهذا، نسرد بعض الأمثلة والنمـاذج عنـه، وعن الروايـات الـتي لا يصح أن نقبلها، لمسها بقدسية القرآن الكريم.

النموذج الأول: نسـخ سـور قرآنيـة كاملـة، ذكـر أن من آياتهـا: (لـو كـان لابن آدم واديـان من مـال لابتغى واديـا ثالثـا)، ويستدلون لذلك بما روي عن أبي الأسود قال: بعث أبو موسـى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصـرة وقـراؤهم، فـاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسـو قلـوبكم كمـا قسـت قلـوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطـول والشـدة ببراءة فأنسـيتها، غـير أني قـد حفظت منهـا: (لـو كـان لابن آدم واديـان من مـال لابتغى واديـا ثالثـا، ولا يملأ جـوف ابن آدم إلا الـتراب)، وكنـا نقـرأ سـورة كنـا نشـبهها بإحـدى المسـبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنـوا لم تقولـون ما لا تفعلون) فتكتب شـهادة في أعنـاقكم فتسـألون عنهـا يـوم القيامة)[1]

وقد علق عليه ابن حجـر، فقـال: (وهـذا يحتمـل أن يكـون النبي ﷺ أخبر به عن الله تعالى على أنـه من القـرآن، ويحتمـل أن يكون من الأحاديث القدسـية، واللـه أعلم، وعلى الأول فهـو مما نسخت تلاوته جزما، وإن كان حكمـه مسـتمرا.. ويؤيـد هـذا الاحتمال ما أخرج أبو عبيد في [فضائل القرآن] من حـديث أبي

[1]() رواه مسلم (1050)

موسى قال: (قرأت سورة نحو براءة فغبت وحفظت منها: ولـو أن لابن آدم واديين من مـال لتمـنى واديـا ثالثـا) الحـديث، ومن حديث جابر: (كنا نقرأ لـو أن لابن آدم ملء واد مـالا لأحب إليـه مثله)[1]

وقال القرطبي: (قوله: (كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها) وهـذا ضـرب من النسـخ، فـإن النسـخ على مانقله علماؤنا على ثلاثة أضرب: أحدها: نسخ الحكم وبقاء التلاوة. والثاني: عكسه، وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم. والثالث: نسخ الحكم والتلاوة، وهو كرفع هاتين السورتين اللتين ذكرهمـا أبو موسى، فإنهما رفع حكمهمـا وتلاوتهمـا.. وهاتـان السـورتان مما شاء الله تعالى أن ينسيه بعد أن أنزله، وهذا لأن الله تعالى فعـال لمـا يريـد، قـادر على مـا يشـاء؛ إذ كـل ذلـك ممكن.. ولا يتوهم متوهم من هذا وشـبهه أن القـرآن قـد ضـاع منـه شـيء، فإن ذلك باطل؛ بدليل قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنـا لـه لحـافظون)، وبـأن إجمـاع الصـحابة ومن بعـدهم انعقـد على أن القـرآن الـذي تعبـدنا بتلاوتـه وبأحكامـه هـو مـا ثبت بين دفـتي المصحف، من غير زيادة ولا نقصان)[2]

النموذج الثاني: نسخ مـا يطلقـون عليهـا [آيـة الـرجم]، ويستدلون لذلك بقول عمر ـ وهو يخطب الناس على المنـبر ـــ: (إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكـان ممـا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناهـا ووعيناهـا، رجم رسـول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالنـاس زمـانٌ أن يقـول قائلٌ: والله مـا نجـد آيـة الـرجم فى كتـاب اللـه، فيضـلوا بـترك فريضة أنزلها الله، والرجم فى كتاب الله حـقٌ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنسـاء، إذا قـامت البينـة أو كـان الحبـل أو الاعتراف)[3]

وقد علق عليه القرطبي بقولـه: (وقـول عمـر: (كـان ممـا أنزل الله تعـالى على نبيـه ﷺ آيـة الـرجم، فقرأناهـا، ووعيناهـا، وعقلناها)، هذا نصٌ من عمر على أن هذا كان قرآنــا يتلى، وفي آخره مـا يـدل على أنـه نسـخ كونهـا من القـرآن، وبقي حكمهـا معمولا به، وهو الرجم. وقال ذلك عمر بمحضـر الصـحابة، وفي

1() فتح الباري (11/258)
2() المفهم (3/93-94)
3() رواه البخاري (6830) ومسلم (1691).

معدن الوحي، وشاعت هذه الخطبة في المسلمين، وتناقلها الركبان، ولم يسمع في الصحابة ولا فيمن بعدهم من أنكر شيئا مما قاله عمر، ولا راجعه في حياته ولا بعد موته، فكان ذلك إجماعا منهم على صحة هذا النوع من النسخ، وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ولا يلتفت لخلاف من تأخر زمانه، وقل علمه في ذلك)[1]

النموذج الثالث: نسخ ما يطلقون عليها [آية الرغبة عن الآباء]، ويستدلون لذلك بقول عمر في تكملة الحديث السابق: (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم)[2]

وقد علق عليه ابن حجر بقوله: (قوله: (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله) أي: مما نسخت تلاوته، قوله: (لا ترغبوا عن آبائكم)، أي: لا تنتسبوا إلى غيرهم)[3]

النموذج الرابع: نسخ ما يطلقون عليها [آية البلاغ]، ويستدلون لذلك بما رواه قتادة عن أنس (أن النبى ﷺ أتاه رعلٌ وذكوان وعصية وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبى ﷺ بسبعين من الأنصار. قال أنسٌ: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم، فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبنى لحيان، قال قتادة: وحدثنا أنسٌ أنهم قرؤوا بهم قرآنا: (ألا بلغوا عنا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا)، ثم رفع ذلك بعد)[4]

النموذج الخامس: نسخ ما يطلقون عليها آية الرضاع]، وهي: (نزل في القرآن عشر رضعات معلومات، ثم نزل أيضا خمسٌ معلوماتٌ)[5]

وفي رواية: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهو فيما يقرأ من القرآن)[6]

1() المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (5/85)
2() رواه البخاري (6830) ومسلم (1691)
3() فتح الباري (12/148)
4() رواه البخاري (3064)
5() مسلم (رقم/1452) وغيره.
6() رواه مالك (حديث رقم17) مسلم (1452).

ومن تلـك الروايـات وأخطرهـا هـذه الروايـة المرويـة عن عائشة: (لقد أنزلت آية الرجم، ورضعات الكبـير عشـرٌ، فكـانت في ورقة تحت سـرير في بيـتي، فلمـا اشـتكى رسـول اللـه ﷺ تشاغلنا بـأمره، ودخلت دويبـةٌ لنـا فأكلتهـا)، وفي روايـة: (فلمـا مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجنٌ فأكلها)(1)

وغيرها من النمـاذج الـتي يـذكرها المحـدثون والمفسـرون والفقهاء، ويعتبرونها صحيحة لا جدال فيها، بـل يتهمـون منكرهـا بالبدعة.

ومن العلمـاء المتقـدمين الـذين ردوا على هـذا النـوع من النسخ شمس الأئمـة السرخسـي الحنفي (المتـوفى: 483هــ)، فقـد قـال (لا يجـوز هـذا النـوع من النسـخ في القـرآن عنـد المسلمين، وقال بعض الملحدين ممن يتستّر بإظهـار الاسـلام ـ وهو قاصد إلى فساده ـ هـذا جـائز بعـد وفاتـه ﷺ، واسـتدل في ذلك بما روي عن أبي بكر (لا ترغبـوا عن أبـائكم فإنّه كفر بكم) وما روي عن أنَس (بلّغوا عنّـا قومنـا أنّـا لقينـا ربنـا فرضـي عنـا وأرضـانا) ومـا قالـه عمـر (قرأنـا آيـة الـرجم في كتـاب اللـه ورعيناها) وما قاله أُبيّ: (إنّ سورة الأحزاب كـانت مثـل سـورة البقرة أو أطول منها)، والشافعي لا يظن به موافقـة هـؤلاء في هـذا القـول، ولكنّـه اسـتدل بمـا هـو قـريب من هـذا في عـدد الرَّضَعات فإنّـه صـحّح مـا يُـروى عن عائشـة أنّ ممـا أُنـزل في القـرآن: (عشـر رَضَـعات معلومـات يحـرّمن) فنسـخنّ بخمس رَضَعات معلومات، وكان ذلـك ممـا يُتلى في القـرآن بعـد وفـاة رسول الله ﷺ)(2)

ثم عقب على هذا بقوله: (والدليل على بطلان هـذا القـول قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَـافِظُونَ﴾ [الحجـر: 9]، ومعلوم أنّه ليس المراد الحفظ لديه تعالى، فانه يتعالى من أن يوصف بالغفلة والنسـيان، فعرفنـا أنّ المـراد الحفـظ لـدينا، وقد ثبت أنّه لا ناسخ لهذه الشريعة بوحي ينزل بعد وفاة رسول اللــه ﷺ، ولو جوزنا هـذا في بعض ما أوحي إليه لـوجب القـول بتجـويز ذلك في جميعـه، فيـؤدي ذلك إلى القـول بـأنّ لا يبقى شيء مما ثبت بالوحي بين النـاس في حـال بقـاء التكليف. وأيّ

1() رواه أحمد (43/343)، وابن ماجة (رقم/1944)
2() أصول السرخسي: ج2 ص78 - 80.

قول أقبح من هذا)[1]

ومثله قال السيد الخوئي، وهو من كبار علماء الشيعة المتأخرين: (إن القول بنسخ التلاوة عين القول بالتحريف والإسقاط، وبيان ذلك: أنّ نَسْخ التلاوة هذا إمّا أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإمّا أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده؛ فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهو أمر يحتاج إلى الإثبات، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه، وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنَّة المتواترة، وإليه قد ذهب أحمدبن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل كان جماعة ممّن قالوا بإمكان نسخ الكتاب بالسنَّة المتواترة منعوا وقوعه، وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بإخبار هؤلاء الرواة، مع أنّ نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمّنت أنّ الإسقاط قد وقع بعده.. وإن أرادوا أنّ النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف، وعلى هذا فيمكن أن يدّعى أنّ القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنّة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة سواء أنُسِخ الحكم، أم لم ينسخْ)[2]

2 ـ في المصادر الشيعية:

قبل أن نذكر نماذج التحريف في المصادر الشيعية، والتي نرى وجوب رفضها رفضا مطلقا، نحب أن نبين أن أكثر علماء الشيعة، وخاصة الأصوليون منهم، وهم الذين يمثلون مراجع الشيعة الكبار في كل العصور، يتبرؤون من تلك الروايات ويكذبونها، ويتهمون بها بعض الإخباريين الذين لا يفرقون بين الرواية والدراية، ولا يحاكمون الأحاديث إلى القرآن الكريم.

ومن أوائل من رد على هذه الشبهة من قدامى علماء الشيعة الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (305 هـ - 381 هـ) المعروف بـ (الشيخ الصدوق) صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه)، وهو من الكتب الأربعة الكبرى لدى الشيعة، والذي رد على هذه الشبهة بقوله: (اعتقادنا في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في

1() أصول السرخسي: ج2 ص78 - 80.
2() البيان في تفسير القرآن: ص224 و225.

أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّا نقول أنّه أكثر من ذلك فهو كاذب)[1]

ومنهم الشيخ أبو علي الطبرسي الملقب بأمين الإسلام (توفي 548 هـ)، والذي قال: (.. ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فمجمع على بطلانها، وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة:إن في القرآن تغييراً ونقصاناً.. والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات)[2]

وهو يشير بوقوع الخلاف إلى ما ورد في الروايات من كتب السنة والشيعة مما يسمى بالمنسوخ تلاوة، والذي لم يقبله إلا الإخباريون من المدرستين، والذين أطلق عليهم الشيخ الطبرسي لقب (الحشوية) أي الذين يهتمون بالجمع دون التحقيق.

ومنهم الشيخ الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (توفي 460 هـ)، والذي قال: (وأما الكلام في زيادة القرآن ونقصه فمما لا يليق به، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، وأما النقصان فالظاهر من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات)[3]

ولم يقتصر الرد على هذه الشبهة من الأصوليين الشيعة فقط، بل كان للإخباريين الكبار أيضا سهم في ردها، ومنهم المحدث الكبير الفيض الكاشاني صاحب كتاب (الوافي) الذي يعد من الجوامع الحديثية المتأخرة (توفي 1091 ه) الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 41، 42)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) على عدم وقوع التحريف، وعلق عليهما بقوله: (عندئذ كيف يتطرق إليه التحريف والتغيير.. مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله، مكذب له فيجب رده والحكم بفساده وتأويله)[4]

1() الاعتقادات في دين الامامية ص48.

2() مجمع البيان ج 1 ص 15.

3() مقدمة تفسير التبيان ص 3.

4() عنه مفاهيم القرآن (العدل والإمامة)، الشيخ جعفر السبحاني – ج 10 – ص 441.

ومنهم محمد باقر المجلسي (1037 هـ ـ 1111هـ)، والذي لم يمنعه كونه من المحدثين الكبار، بل من الذين أوردوا روايات التحريف نفسها أن ينص على عدم صحتها، وأن القرآن يستحيل تحريفه، وقد قال معبرا عن ذلك: (فإن قال قائل كيف يصحّ القول بأن الّذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة عليهم السلام أنّهم قرأوا (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) وكذلك (جعلناكم أئمة وسطا..) وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس؟ قيل له:قد مضى الجواب عن هذا، وهو أنّ الأخبار التي جاءت بتلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها؛ فلذلك وقفنا فيها، ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيّناه)[5]

أما المعاصرون، فقد ألفوا الكتب الكثيرة في الرد على هذه الشبهة خاصة بعدما ألف الإخباري النوري (ت1320هـ)، كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) معتمدا على مجموعة من الروايات ضعيفة السند، أو مكذوبة على الأئمة.

ومن تلك الكتب (كشف الارتياب في عدم تحريف كتاب رب الأرباب) للطهراني (ت 1313هـ)، ومنها (حفظ الكتاب الشريف على شبهة القول بالتحريف) للسيد هبة الدين الشهرستاني (ت 1315هـ)، ومنها (الحجة على فصل الخطاب في إبطال القول بتحريف الكتاب) لعبد الرحمن الهيدجي (1372هـ)، ومنها (البرهان على عدم تحريف القرآن) للميرزا البروجردي (1374هـ - 1954م)، ومنها (آلاء الرحمن في الرد على تحريف القرآن) للميرزا عبد الرحيم المدرس الخياباني (1318هـ)، ومنها (بحر الفوائد في شرح الفرائد)، للميرزا الأشتياني (ت 1319هـ)،وغيرها كثير.

وأحب أن أرد هنا على أولئك المغرضين الذين يزعمون أن الشيعة رضوا بكتاب النوري، وأنهم لم يقفوا منه أي موقف، بأن ذلك خطأ، بل خطيئة علمية، فقد ذكر الشيخ جعفر السبحاني ردة الفعل الشديدة التي قامت على الكتاب وصاحبه من الحوزات العلمية، فقال: (وقد تمّ تأليف (فصل الخطاب)

5() بحار الأنوار ج92ص75.

على يد مؤَلفه النوري سنة 1292، وطبع سنة 1298، وقد وَجَدَ المحدّث النوري منذ نشر كتابه نفسه في وحشة العزلة وفي ضوضاء من نفرة العلماء والطلبة في حوزة سامراء العلمية آن ذاك. وقد قامت ضدّه نعرات، تتبعها شتائم وسبّات من نبهاء الأُمّة في جميع أرجاء البلاد الشيعيّة، ونهض في وجهه أصحاب الأَقلام من ذوي الحميّة على الإِسلام، ولا يزال في متناوش أهل الإِيمان، يسلقونه بألسنة حداد، على ما جاء في وصف العلاّمة السيد هبة الدين الشهرستاني، عن موضع هذا الكتاب ومؤَلفه وناشره، يوم كان طالباً شابّاً في حوزة سامراء)[1]

ثم ذكر ثناء علماء الشيعة على الكتب والرسائل التي ردت على النوري، ومنها رسالة بعثها السيد هبة الدين الشهرستاني تقريظاً على رسالة (البرهان) التي كتبها الميرزا مهدي البروجردي بقم 1373 هـ يقول فيها: (كم أنت شاكر مولاك إذ أولاك بنعمة هذا التأليف المنيف، لعصمة المصحف الشريف عن وصمة التحريف، تلك العقيدة الصحيحة التي آنستُ بها منذ الصغر أيّام مكوثي في سامرّاء، مسقط رأسي، حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الامام الشيرازي الكبير، فكنت أراها تموج ثائرة على نزيلها المحدّث النوري، بشأن تأليفه كتاب (فصل الخطاب) فلا ندخل مجلساً في الحوزة العلمية إلّا ونسمع الضجّة والعجّة ضدّ الكتاب ومؤَلّفه وناشره، يسلقونه بالسنة حداد)[2]

ثم يعلق السبحاني على هذا التقريظ بقوله: (و هكذا هبّ أرباب القلم يسارعون في الردّ عليه ونقض كتابه بأقسى كلمات وأعنف تعابير لاذعة، لم يدعوا لبثّ آرائه ونشر عقائده مجالًا ولا قيد شعرةٍ، وممّن كتب في الردّ عليه من معاصريه، الفقيه المحقّق الشيخ محمود بن أبي القاسم الشهير بالمعرّب الطهراني (المتوفّى 1313) في رسالة قيّمة أسماها (كشف الارتياب في عدم تحريف الكتاب) فرغ منها في (17 ج 2 1302) تقرب من أربعة آلاف بيت في 300 صفحة، وفيها من الاستدلالات المتينة والبراهين القاطعة، ما ألجأ الشيخ النوري إلى التراجع عن رأيه بعض الشيء، وتأثّر كثيراً بهذا الكتاب)[3]

1() موسوعة طبقات الفقهاء، ج1، ص: 77.
2() المرجع السابق، ص87.
3() المرجع السابق، ص87.

وقال: (كتب في الردّ عليه معاصره العلّامـة السـيد محمـد حسـين الشهرسـتاني (المتـوفّى 1315) في رسـالة أسـماها (حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف)، وقد أحسن الكلام في الدلالة على صيانة القرآن عن التحريف وردّ شـبهات المخالف ببيان وافٍ شافٍ، والرسالة في واقعها ردّ على فصـل الخطاب، ولكن في أسلوب ظريف بعيد عن التعسّف والتحمّس المقيت)[1]

أمـا القـادة الفكـريين والسياسـيين للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية، فقد وقفوا بشدة ضد تلك الشبهات، لأنها تتنـاقض مـع مشروعهم في إعادة تطبيق القرآن الكريم في الحياة.

ومن هؤلاء الإمـام الخميـني الـذي لم يكن يـدع مناسـبة إلا ويـذكر فيهـا بسـلامة القـرآن الكـريم من التحريـف، ومن ذلـك قوله: (إن الواقف على عناية المسلمين بجمع القـرآن وحفظـه وضـبطه قـراءةً وكتابـةً يقـف على بطلان تلـك المزعومـة ـ التحريف ـ وما ورد فيها من أخبار ـ حسبما تمسكوا ـ إما ضعيف لا يصلح الاستدلال به أو مجعـول تلـوح عليه أمـارات الجعل أو غـريب يقضي بـالعجب أما الصـحيح منها فـيرمي إلى مسـألة التأويل والتفسير وإن التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته)[2]

وهو يشير بذلك إلى التحريف في معاني القرآن بتأويلها أو صرفها عن معانيها، وهو مما اتفقت عليه الأمة جميعا، بل أخـبر رسول اللـه ﷺ عن وقوعـه، فعن أبي سـعيد الخـدري قـال:كنـا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج إلينا قد انقطع شسـع نعلـه، فـرمى بـه إلى علي، فقـال:(إن منكم رجلا يقاتـل النـاس على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكـر:أنـا، قـال:لا، قال عمر:أنا، قال:لا، ولكن خاصف النعل)[3]

ومثل ذلك نص أئمة أهـل الـبيت على إمكانيـة وقـوع مثـل هذا النوع من التحريف وحذروا منه، كما قال الإمـام علي: (إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالاً، ويموتون ضـلّالاً ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سـلعة أنفـق بيعـاً

1() المرجع السابق، ص89.

2() تهذيب الأصول ج 2 ص 165 تقريرات درس الإمام الخميني.

3() رواه النسائي في الخصائص، انظر: تهذيب الخصائص ص 88.

ولا أغلى ثمناً من الكتاب، إذا حرِّف عن مواضعه)[1]

وقال الإمام الباقر: (وكـان من نبـذهم الكتـاب: أن أقـاموا حروفــه، وحرّفــوا حــدوده، فهم يروونــه ولا يرعونــه، والجهّــال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية)[2]

ولم يكتف الإمام الخميني بالرد المجمل على تلك الشبهة، بل راح يناقش تلك الروايات التي اعتمدها الإخباريون، ويفنـدها، وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام: (الروايات الضـعيفة الـتي لا يمكن الاستفادة منها والأخذ بها أبدا.. والروايات المختلقة الـتي تظهـر عليها علامات الوضع والاختلاق.. والروايات الصحيحة)

وعلـق عليهـا بقولـه: (لـو تأملنـا فيهـا بدقـة فسيتضـح أن المقصـــود منهـــا ليس هـــو التحريـــف اللفظي (أي الزيـــادة والنقصان)، بل هو تحريف تفسيرها وشرحها)

وقد رد بشدة على الميرزا النوري، معتبرا إياه مثل الكثــير من المحدثين الذين يهتمـون بجمـع الروايـات دون التحقيـق في معانيها وأسانيدها، يقول في ذلك: (إنّه لو كان الأمـر كمـا تـوّهم صاحب فصل الخطاب (الميرزا النوري)، الذي كان كتابه لا يفيد علمـاً ولا عملاً، وإنّمـا هـو إيـراد روايـات ضـعاف أعـرض عنهـا الأصــحاب، وتــنزّه عنهــا أولــو الألبــاب، من قــدماء أصــحابنا، كالمحمّـدين الثلاثـة المتقـدّمين (الصـدوق والكليـني والطوسـي (رحمهم اللـه)، هـذا حـال كتب روايتـه غالبـاً، كالمسـتدرك، ولا تسأل عن سائر كتبـه المشـحونة بالقصـص والحكايـات الغريبـة التي غالبها بالهزل أشبه منه بالجدّ، وهو شخص صالح متتبّـع، إلا أنّ اشتياقه لجمـع الضـعاف والغـرائب والعجـائب ومـا لا يقبلهـا العقــل الســليم والــرأي المســتقيم، أكــثر من الكلام النــافع. والعجب من معاصريه من أهل اليقظة كيف ذهلوا وغفلوا، حتى وقع ما وقـع ممّـا بكت عليـه السـماوات، وكـادت تتدكـدك على الأرض؟!)[3]

وقـد اعتمـد الخميـني في رد هـذه الشـبهة الخطـيرة على إجماع المسلمين على سلامة القـرآن من التحريـف، وقـد قـال معبرا عن ذلك: (فلو كان الأمـر، كمـا ذكـره هـذا وأشـباهه، من كـون الكتـاب الإلهي مشـحوناً بـذِكر أهـل الـبيت عليهم السـلام

1() الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة17، ص54.
2() الشيخ الكليني، الكافي، ج8، كتاب الروضة، ح16، ص53.
3() انظر مقالا بعنوان: الخميني والتفسير وقضية التحريف، د. حسان عبد الله.

وفضلهم، وذِكْر أمير المؤمنين عليه السلام وإثبات وصايته وإمامته، فلِمَ لَمْ يحتجّ بواحد من تلك الآيات النازلة والبراهين القاطعة من الكتاب الإلهي كلّ من: أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، في صدد إثبات خلافته عليه السلام؟! ولِمَ تشبّث عليه السلام بالأحاديث النبوية، والقرآن بين أظهرهم؟! ولو كان القرآن مشحوناً باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين وفضائلهم وإثبات خلافتهم، فبأيّ وجه خاف النبي ﷺ في حجّة الوداع آخر سنين عمره الشريف، وأخيرة نزول الوحي الإلهي، من تبليغ آية واحدة مربوطة بالتبليغ، حتى ورد أنّ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. ولِمَ احتاج النبي ﷺ إلى دواة وقلمٍ حين موته للتصريح باسم علي؟! فهل رأى أنّ لكلامه أثراً فوق أثر الوحي الإلهي؟!)[1]

هذه مجرد نماذج عن مواقف علماء الشيعة المتشددة من التحريف والشبهات المثارة حوله، والكتب المؤلفة في ذلك كثيرة جدا، لا يمكن التعريف بها هنا جميعا، ولذلك اكتفينا بما ذكره هؤلاء العلماء الكبار.

وقد ذكر صاحب كتاب [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة]، وهو الشيخ رسول جعفريان، عدد الأحاديث التي ذكرها المحدث النوري، وبين ضعفها جميعا، وهذه إحصاءاته التي أوردها، والتي وافقه عليها كبار علماء الشيعة، وفي جميع العصور[2]:

1. إن الطبرسي جمع ألف رواية وحديث، أكثر من 320 منها يرجع إلى السَيّاري (الغالي) الملعون على لسان الإمام الصادق والمخدوش من قبل جميع علماء الجرح والتعديل.

2. إنّ أكثر من 600 حديث من مجموع الألف حديث مكررة، والفرق فيها إمّا من جهة نقلها من كتاب آخر مع وحدة السند، أو نقلها عن طريق آخر.

3. أن غير ما ورد من الروايات عن السَيّاري وكذلك غير المكررات، فإنّنا نجد أنّ أكثر من 100 حديث عبارة عن قراءات مختلفة، أكثرها عن الطبرسي في مجمع البيان، وأيضاً فإن أكثرها مشترك بين السنّة والشيعة، والطبرسي يروي عن

1() انظر: الإمام الخميني، أنوار الهداية، ج1، ص244-247.
2() أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة، ص74.

رجال أهـل السـنّة مثـل: الكسـائي، وابن مسـعود، والجحـدري، وأبي عبد الرحمن السَلَمي، والضحّاك وقتادة، وابن عمرو، وابن حجاز، ومجاهد، وعكرمة، وعمـرو بن قائـد، وغـيرهم من رجـال السنّة.

ثم علق على هذه الإحصائيات بقوله: (وبعد كـل هـذا، هـل يمكن القـول بـالتحريف اسـتنادا إلى قسـم قليـل من الروايـات التي تبقى بعد ذلك حتى ولو كانت منقولة نقلها الكليني أو علي بن إبراهيم القمّي مع أن أكثر علماء الشيعة يعتقـدون بسـلامته طبقا للتواتر، إضافة إلى كل ما سبق فـإنّ بعض هـذه الروايـات التي ذكرها النوري يرجع إلى التفسير وشأن نـزول الآيـات كمـا صرّح به المجلسي في شرحه على أصول الكافي)[1]

وقد قـال في خاتمـة كتابـه بعـد المقارنـة بين مـا ورد في كتب السنة والشيعة حول الموضوع: (ويمكننا أن نقـول ــ بكـل ثقة وتحد ـ إنّ ما رواه أهل السنّة في ذلـك أكـثر ممـا روي عن الشيعة بكثير، ولو جُمع بكل طرقـه من الكتب الـتي نقلت هـذه الروايات (من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن والحـديث وغيرها)، فإذا كان الوضع والاختلاف في زمن البخاري حداه هــو لجمع صحيحه (الذي يشتمل على سبعة آلاف مع أنّ ثلاثــة آلاف منهـا مكـررة) من 600 ألـف حـديث، فلا يبعـد وجـود روايـات التحريــف في حــد أعلى وأكــثر ممــا روى الشــيعة، وكتبهم وصحاحهم خير شاهد على ذلك)[2]

ونحب أن نختم هذا المبحث بذكر نماذج عن تلك الروايـات المكذوبــة المدسوســة في المصــادر الشــيعية، مثلمــا ذكرنــا نظيراتها في المصادر السنية.

فمنهـا مـا رواه الغلاة عن الإمـام البـاقر أنـه قـال: (نـزل جبرئيل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله)[3]

ورووا عنه أنه قال: (نزل جبرئيل عليـه السـلام بهـذه الآيـة على محمد ﷺهكذا: (فبدل الذين ظلمـوا آل محمـد حقهم قـولًا غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الـذين ظلمـوا آل محمـد حقهم

______

1() أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة، ص74.
2() أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة، ص75.
3() الكافي ج2 ص381، وفصل الخطاب ص203. أصل الآية 23 ن سورة البقرة.

رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون)[1]

ورووا عنه أنه قال: (نزل جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ هكذا: (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغيًا)[2]

ورووا عنه أنه قرأ: (والذين كفروا بولاية علي بن أبي طالب أولياؤهم الطاغوت)[3]

ورووا عنه أنه قرأ: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك يا علي فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما)، ثم قال: هكذا نزلت[4].

ورووا عنه أنه قرأ: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضى محمد وآل محمد ويسلموا تسليمًا)[5]

ورووا عنه أنه قرأ: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة، ولا يزيد ظالمي آل محمد حقهم إلا خسارا)[6]

ورووا عنه أنه قال: (نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا (وقل الحق من ربكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين آل محمد نارا)[7]

ورووا عن الإمام الصادق أنه قرأ: (اهدنا الصراط المستقيم صراط من أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم وغير الضالين)[8]

ورووا عنه أنه قرأ: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين)[9]

ورووا عنه أنه قرأ: (إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين)، ثم قال: هكذا نزلت[10].

1() الكافي ج2 ص394، تفسير القمي ج1 ص48 وفصل الخطاب ص204. أصل الآية 59 من سورة البقرة.

2() فصل الخطاب ص205 والكافي ج2 ص380. أصل الآية 90 من سورة البقرة.

3() فصل الخطاب ص210. أص الآية 257 من سورة البقرة.

4() فصل الخطاب ص225. أصل الآية 64 من سورة النساء.

5() فصل الخطاب ص225. أصل الآية 65 من سورة النساء.

6() فصل الخطاب ص254. أصل الآية82 من سورة الإسراء.

7() فصل الخطاب ص255 والقمي في تفسيره ج2 ص35. أصل الآية29 من سورة الكهف.

8() تفسير القمي ج1 ص29 وفصل الخطاب ص202.

9() فصل الخطاب ص207. أصل الآية 238 من سورة البقرة.

10() فصل الخطاب ص213. أصل الآية 33 من سورة آل عمران.

ورووا عنه أنه قرأ: (يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول وظلموا آل محمد حقهم أن تسوى بهم الأرض ولا يكتمون حديثا)[1]

ورووا عنه أنه قرأ: (حتى يحكموا محمدًا وآلَ محمد ولا يجدون في أنفسهم حرجًا)[2]

ورووا عنه أنه قرأ: (ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم وسلموا للإمام تسليما واخرجوا من دياركم رضًا له ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أن أهل الخلاف فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتا)[3]

ورووا عنه أنه قرأ: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة من ذريته)، ثم قال: (والله هكذا نزل جبرئيل على محمد ﷺ)[4]

ونحن ندعو من خلال النماذج الواردة في كتب الفريقين إلى الكف عن تلك السجالات التي لا تساهم سوى في تشكيك الأمة في كتابها، وإعطاء الذريعة للمستشرقين والمستغربين والحداثيين لبث شبهاتهم وتشكيكاتهم في القرآن الكريم.

1() فصل الخطاب ص225. أصل الآية 42 من سورة النساء.
2() فصل الخطاب ص226. أصل الاية 65 من سورة النساء.
3() فصل الخطاب ص226،روضة الكافي 160. أصل الآية66 من سورة النساء.
4() فصل الخطاب ص258 والكافي ج2 ص379. أصل الآية 115 من سورة طه.

الفصل الثاني

السنة المطهرة وبيان الحقائق

لم تكتف العناية الإلهية بتلك التعاليم المقدسة التي تنزلت في القرآن الكريم، وإنما أضافت إليها تأكيدات وشروحات وبيانات مفصلة لفهمها والترغيب فيها وكيفية تنفيذها.

وقد شاء الله تعالى أن يكون ذلك كله على يد بشر يعرف طبيعتهم، ويعيش معهم وبينهم، يعاني ما يعانون، ويرغب فيما يرغبون، ليكون بلاغه واضحا تقوم به الحجة.

ولهذا رد الله تعالى على الذين طلبوا أن يكون رسولهم ملكا، وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: 8]، بأن ذلك يتنافى مع التكليف والاختبار، فقال: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 9]

ولهذا كان مجرد كون المبلغ عن الله، والشارح لهديه بشرا نوعا من الاختبار الإلهي الذي وُضع فيه البشر، كما وضع فيه قبلهم إبليس الذي تمرد على الخضوع للبشر، مثلما تمرد تلاميذه على الخضوع لأنبيائهم.

ولهذا كان الاتباع المطلق للرسول الممثل للدين علامة على التسليم المطلق لله، ذلك أن الرسول لا يمثل نفسه، وإنما يمثل الجهة التي أرسلته.

وهذا مما تتفق عليه جميع عقول البشر؛ فهم يتعاملون مع المختصين والخبراء باعتبارهم ممثلين للتخصصات التي يتحدثون عنها، أو يرسلون رسائلهم من خلالها.

فإن تحدث الطبيب المختص الموثوق به في أي مسألة، أذعن له المستمعون، وسلموا لما يقول، بل لا يمكن للمرضى الاستفادة منه ما لم يتخلوا عن جدلهم، ويقبلوا ما يذكره حتى لو كان مخالفا لرغباتهم؛ فلم نجد مريضا يسخر من طبيب لكونه حرم عليه الملح أو السكر أو أي طعام للضرورة الصحية التي استدعت ذلك.

وهكذا نجد أكثر البشر عقلا يسلمون للدراسات العلمية، وفي حال شكهم فيها، لا يردونها بالدعاوى المجردة، وإنما بأدلة

تناقض تلك الأدلة التي قامت عليها.

بـل إن من النـاس من يكتفي بـأن يُمجّـد أمامـه صـاحب الدراسة ليقتنع بما يقول، دون أن يبحث في الأدلة التي أوردها، أو يناقشها، لاعتقـاده أنـه دون ذلـك المختص، وأن أكمـل محـل يكون فيه هو فهمه لما يذكره.

وبنـاء على هـذه الحقـائق الـتي اتفقت عليهـا العقـول مـع القرآن الكريم؛ فإن السنة المطهرة بمصادرها المختلفة، أكـدت هـذه المعـاني، وبينت كيفيـة تنفيـذها في الواقـع، وبـذلك يمكن اعتبار كل حديث يدل على وجوب الطاعة المطلقة حديثا مقبولا من حيث المعنى بغض النظر عن صـدق سـنده، والـذي يختلـف فيه رجال الحديث بناء على الضوابط التي وضعوها.

بناء على هذا قسمنا هذا الفصل، مثل الفصل السـابق إلى مبحثين:

أولهما: في الأحـــاديث المقبولـــة في الحض على اتبـــاع السنة المطهرة، والحرص عليها.

ثانيهما: في الأحاديث المردودة التي تتنـاقض مـع الاتبـاع الصحيح للسنة المطهرة.

المبحث الأول

الأحاديث المقبولة حول السنة المطهرة وما يتعلق بها

من خلال مطالعتنا للمصادر السنية والشيعية الداعية إلى التزام السنة المطهرة نلاحظ توافق الجميع على ضرورة ذلك، وأن أولى الناس ببيان حقائق الدين، وشرحها، وتفصيلها، هو الرسول ﷺ، باعتباره مكلفا من الله تعالى بهذه الوظيفة الخطيرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]

لكن الفرق بينهما لا يعدو في صياغة هذه المعاني؛ فبينما نجد المصادر السنية تسمي ذلك سنة، أو تدعو مباشرة إلى ذلك الاتباع، نجد المصادر الشيعية، وخاصة الموقوفة منها على أئمة الهدى، تقرن معها الحديث عن الإمامة، باعتبارها المبلغ عن النبوة.

وهي بذلك لا تكتفي بالدعوة لحفظ السنة، وإنما تدعو كذلك إلى حفظ الوسائط والوسائل التي بلغتها حتى لا تختلط بغيرها.

وربما يكون السبب الأكبر في تلك الدعوة انتشار ظاهرة الوضع، واختلاطها مع رواية الحديث والسنن؛ حيث أصبح في مقدور كل واحد أن يعقد المجالس، ويلتف حوله التلاميذ، لينشر بعد ذلك ما شاءت له نفسه من الروايات.

وبناء على هذا، ومراعاة لهذا الاعتبار، قسمنا هذا المبحث إلى قسمين، أحدهما يختص بالمصادر السنية، والثاني بالمصادر الشيعية، وسنرى في الأخير أنهما متوافقان تماما في ضرورة اتباع سنة رسول الله ﷺ، وكونه المبلغ الوحيد عن الله، وأن ما جاء به أئمة الهدى ليس سوى ميراث ورثوه من رسول الله ﷺ، أو زيادة شرح وتفصيل وبيان لما جاء به.

أولا ـ الأحاديث المقبولة في المصادر السنية:

وهي الأحاديث التي تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من دور رسول الله ﷺ في توضيح الحقائق القرآنية، وبيانها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]

وهي بذلك تشير إلى أن كـل مـا يقولـه رسـول اللـه ﷺ أو يفعله أو يقرره داخـل في هـذا المجـال؛ فهـو معصـوم في كـل تصرفاته، كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَـوَى (2) وَمَـا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 2 - 4]

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 297]ـ وهو قولـه ﷺ في الـترغيب في تحمـل الحديث، وتبليغه: (نضر الله امـرءا سـمع منـا شـيئا، فبلغـه كمـا سـمع فـرب مبلـغ أوعى من سـامع)[1]، والحـديث يشـير إلى أصناف السامعين لرسـول اللـه ﷺ، فمنهم من يكتفي بالروايـة، ومنهم من يضم إليها الدراية والوعي والبحث.

[الحديث: 298]ـ وهو قولـه ﷺ في التحـذير الشـديد من إنكار السنة المطهرة: (ألا هل عسى رجلٌ يبلغـه الحـديث عـني وهـو متكئٌ على أريكتـه فيقـول: بيننـا وبينكم كتـاب اللـه، فمـا وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمنـاه وإن مـا حرم رسول الله كما حرم اللـه)[2]، وفي روايـة: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكته..)[3]

وفي وصف المنكر للسـنة بأنـه (متكئٌ على أريكتـه) دليـل على الكسل وعدم بذل الجهد، ولذلك يختلف من ينكر الحــديث بعد عرضه على القرآن الكريم وقيم الدين، أو بسبب شـكه في الرواة، عن ذلك الذي ينكره بناء على مزاجه وهواه المجرد.

[الحديث: 299]ـ وهـو قولـه ﷺ في الـترغيب في إحيـاء السنن، والتحذير من البدع: (من أحيا سنة من سنتي فعمل بهـا الناس، كان لـه مثـل أجـر من عمـل بهـا، لا ينقص من أجـورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة فعمل بها، كان عليه أوزار من عمل بهـا، لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا)[4]

[الحديث: 300]ـ وهـو قولـه ﷺ في الـترغيب في إحيـاء السنن المهجورة: (من أحيا سنة أميتت بعدي، فقد أحبني، ومن أحبني كان معي)[5]

[الحديث: 301]ـ وهو قوله ﷺ في الـترغيب في اتباعـه،

1() رواه الترمذي (2657)، وابن ماجة (232)

2() رواه الترمذي (2664) وقـال: هـذا الحـديث حسـن غـريب من هـذا الوجـه، وابن ماجة (12)، والدارمي (586)

3() رواه أبو داود (4604)، وأحمد 4/131.

4() ابن ماجة: 209.

5() رواه رزين، جامع الأصول (9/ 229)

وتحذيره من الإعـراض عنـه: (كـلّ أمّـتي يـدخلون الجنّـة إلّا من أبى) قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟. قال: (من أطاعني دخـل الجنّة، ومن عصاني فقد أبى)[1]

[الحديث: 302] وهو قوله ﷺ في الترغيب في التمسك بالسنة: (المتمسك بسنتى عند فساد أمـتى لـه أجـر شـهيد)[2]، وفي رواية: (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فلـه أجـر مائـة شهيد)[3]

وهذا الحديث برواياته المختلفة يدل على قلة المتمســكين بالسنة في الأمة، ويؤكد ذلك:

[الحـديث: 303] قولـه ﷺ: (إن الإسـلام بـدأ غريبـا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: من هم يـا رسـول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس)[4]

[الحديث: 304] وقوله ﷺ: (إن من ورائكم أيام الصـبر، الصـبر فيـه مثـل قبض على الجمـر، للعامـل فيهم مثـل أجـر خمسـين رجلا يعملـون مثـل عملـه، قـالوا يـا رسـول اللـه أجـر خمسين منهم؟! قال: أجر خمسين منكم)[5]

[الحديث: 305] وهو قوله ﷺ مخـبرا عمـا تفعلـه الأمـة بسنته بعده: (سيأتي عليكم زمـانٌ لايكـون فيـه شـىء أعـز من ثلاث: درهم حلال، أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها)[6]

[الحديث: 306] وهو قوله ﷺ في التحذير من البدع: (لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صـلاة ولا صـدقة ولا حجـا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كمـا تخـرج الشعرة من العجين)[7]

[الحديث: 307] وهو قوله ﷺ في التحذير من البدع: (ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامـة لازمـا لدعوتـه مـا دعا إليه وإن دعا رجلٌ رجلا)[8]

[الحديث: 308] وهو في الـدعوة إلى انتقـاء الأحـاديث، حتى لا يكون سببا في الفتنة، ونص الحديث هو قولـه ﷺ: (كفى

1() البخاري، (7280)
2() رواه الطبراني في (الأوسط) 5/315(5414)
3() ابن عدي في الكامل (2/327)
4() أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (1/25)
5() أبو داود (4341) والترمذي (3058)
6() رواه الطبراني في (الأوسط)1/35(88)
7() رواه ابن ماجة (49)
8() رواه ابن ماجة (208)

بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[1]

[الحديث: 309] وهو في اعتبار كل انحراف عن السـنة سلوكا لسبل الشيطان، ونص الحديث هو أنـه ﷺ خـط خطـا ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شـماله، ثم قال: (هذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليـه)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُـوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153])[2]

[الحديث: 310] وهو في التحذير من خلط منابع الهداية الصـافية بغيرهـا، ونص الحـديث هـو أن عمـر جـاء بجوامـع من التوارة إلى النبي ﷺ، فقال: يارسـول اللـه، جوامـع من التـوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجهه ﷺ، فقال عبد الله بن زيد: أمسخ الله عقلك؟ ألا ترى الذى بوجه رسـول اللـه ﷺ؟ فقـال عمـر: رضـينا باللـه ربـا، وبالإسـلام دينـا، وبمحمـد نبيـا، وبالقرآن إماما؛ فسري عنـه ﷺ، ثم قـال: (والـذى نفس محمـد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم تبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالا بعيدا، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين)[3]

[الحـديث: 311] وهـو قولـه ﷺ في التحـذير من تـرك السنة: (ستةٌ لعنهم الله وكل نبى مجاب: الزائد في كتاب اللـه، والمكـذب بقـدر اللـه، والمسـتحل حرمـة اللـه، والمسـتحل من عترتي ما حرم الله، والتارك السنة)[4]

وفي ربط رسول الله ﷺ بين هؤلاء الستة دليـل على تـأثير هذه الصفات بعضها في بعض.

[الحديث: 312] وهو في بيان موقـف الأمـة من السـنة المطهـرة، اتباعـا ورفضـا، ودرجـات فهمهـا والتزامهـا، ونص الحـديث هـو قولـه ﷺ: (إن مثـل مـا بعثـني اللـه بـه من الهـدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منهـا طائفـةٌ طيبـة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسـكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصـاب طائفة منهـا أخـرى إنمـا هي قيعـانٌ لا تمسـك مـاء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثـني اللـه بـه فعلم

1() رواه مسلم (6)

2() رواه الدارمي في (السنن) (202)1/285، ورواه الحاكم 2/239.

3() رواه أحمد 3/470-471.

4() رواه الطبراني في (الكبير) 3/126-127(2883)، ورواه الحاكم 1/36.

وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)(1)

وهذا الحديث وأمثله ينطبق مع ما ورد في القرآن الكريم من اختلاف مراتب الناس، ودرجات اتباعهم لأنبيائهم، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]

[الحديث: 313] وهو قوله ﷺ في بيان دوره في خلاص من يتبعه، وهلاك غيره: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق)(2)

[الحديث: 314] وهو قوله ﷺ في بيان حرصه على الخلق، ودعوته لإنقاذهم، وإعراضهم عنه: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها)(3)

[الحديث: 315] وهو في دعوته ﷺ إلى تدوين السنة، وعدم الاكتفاء بحفظها، ونص الحديث هو أن رجلا من الأنصار قال: يا رسول الله إني لأسمع منك الحديث فيعجبني، ولا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ: (استعن بيمينك)، وأومأ بيده للخط(4)

وهذا الحديث يدل على كذب ما روي في النهي عن الكتابة، مثلما يروون أنه ﷺ قال: (لا تكتبوا عني شيئا ومن كتب غير القرآن فليمحه)(5)

ويرد عليه الكثير من الأحاديث المشرعة لها، ومنها ما روي

---

(1) رواه البخاري (79)، ومسلم (2282)
(2) رواه البخاري (6482)، ومسلم (2283)
(3) رواه البخاري (3426)، ومسلم (2284)، والترمذي (2874)
(4) رواه الترمذي (2666)
(5) رواه مسلم (3004)

عن أبي هريرة قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من ابن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب[1].

وقال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال: (إني والله ما آمن يهود على كتابي) فما مر لي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم[2].

وقال ابن أبي مليكة: كتبت إلى ابن عباس وسألته أن يكتب لي كتابا، ويخفي عني، فقال: ولدٌ ناصحٌ أنا أختار له الأمور اختيارا وأخفي عنه، فدعا بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء، ويمر به الشيء، فيقول والله ما قضى بهذا عليٌّ إلا أن يكون ضل[3].

وقد كان لهجر الأحاديث الآمرة بالكتابة، وعدم تفعيلها في الواقع، دور خطير في عدم المسارعة في كتابة السنة، مما يسر للمندسين والفئة الباغية وضع الكثير من الإحاديث، أو تغيير متونها.

[الحديث: 316]ـ وهو في بيان شمول السنة المطهرة كل ما يصدر عن رسول الله ﷺ لعصمته المطلقة، مع بيان مشروعية كتابتها، ونص الحديث هو أن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ، فنهتني قريشٌ وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا)[4]

وهذا الحديث يرد على الكثير من الأحاديث التي وضعت لتشويه رسول الله ﷺ وبيان عدم عصمته المطلقة، مما سنذكره في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[الحديث: 317]ـ وهو قوله ﷺ في التحذير من الكذب عليه: (إنه يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبي، والرجل فيقول الرجل قرأت القرآن فلم أتبع، ثم يقوم به فيهم فلا يتبع، ثم يحتظر في بيته مسجدا فلا يتبع، فيقول قد قرأت

1() رواه البخاري (113)، والترمذي (2668)

2() رواه البخاري معلقا، والترمذي (2715) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (3645)

3() رواه مسلم في المقدمة تحت رقم (7)

4() رواه أبو داود (3646)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (2379): رواه الحاكم وصححه.

القرآن فلم أتبع وقمت به فلم أتبع، واختظرت في بيتي مسجدا فلم أتبع، والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسوله لعلي أتبع.. فإياكم وما جاء به فإنه ضلالةٌ)[1]

[الحديث: 318]ـ وهو قوله ﷺ في الترهيب من الكذب عليه: (لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي يلج النار)[2]

[الحديث: 319]ـ وهو قوله ﷺ في الترهيب من الكذب عليه: (إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[3]، وفي رواية: (من كذب علي متعمدا ليضل به الناس)[4]

وهو من الأحاديث المتفق عليها بين مدارس الأمة جميعا، وقد عبر بعض الصحابة عن ورعهم عن الرواية بسبب هذا الحديث، ومن ذلك قول أنس: إني ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن ﷺ قال: (من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار)[5]

وعن ابن الزبير، قلت لأبي: مالي لا أسمعك تحدث عن النبي ﷺكما يحدث فلانٌ وفلانٌ، قال: أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعته يقول: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[6]

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قلت لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: (كبرنا ونسينا، والحديث عنه ﷺ شديدٌ)[7].

وعن عمران بن حصين:(سمعت من رسول الله ﷺ أحاديث وحفظتها ما يمنعنى أن أحدث بها إلا أن أصحابي يخالفونى فيها)[8]

ومع احترامنا الشديد لهذا الورع إلا أنه كان سببا لاقتحام هذا المجال من طرف من من لم يتحل بمثل ذلك الورع، وهو ما أدخل في السنة الكثير من الموضوعات.

1() رواه الدارمي (199) موقوفا، وله حكم الرفع لدلالة أحاديث أخرى على معناه.
2() رواه البخاري (106)، ومسلم في المقدمة (1)، والترمذي (2660)
3() رواه البخاري (1291)، ومسلم في المقدمة (4)، والترمذي (2662) نحوه.
4() رواه البزار كما في (كشف الأستار) 1/114 (209)
5() رواه مسلم في المقدمة (2)
6() رواه البخاري (107)، وأبو داود (3651)
7() رواه ابن ماجة (25)
8() رواه الطبراني 18/105 (195)

[الحديث: 320]ـ وهـو في الدلالـة على أن الكـذب على رسول الله ﷺ بدأ في حياته ﷺ، ونص الحديث هـو مـا روي: إن رجلا لبس حلة مثل حلة النـبي ﷺ، وأتى أهـل بيت من المدينـة، فقال: إن النبي ﷺ قال لي: أي بيت شـئت اسـتطلعت. فقـالوا: عهدنا برسول الله ﷺ لا يأمر بالفواحش، فأعدوا له بيتا وأرسلوا رسـولا إلى رسـول اللـه ﷺ، فـأخبروه. فقـال لأبي بكـر وعمـر: (انطلقا إليـه فـإن وجـدتماه حيا فـاقتلاه ثم حرقـاه بالنـار، وإن وجـدتماه فقـد كفيتمـاه، ولا أراكمـا إلا وقـد كفيتمـاه فحرقـاه) فأتيـاه فوجـداه قـد خـرج من الليـل يبـول فلدغتـه حية فمـات فحرقاه بالنار، ثم رجعا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(1)

وقريب منه ما رواه مجاهد، قـال: جـاء بشـيرٌ العـدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث، ويقول: قال رسول الله ﷺ، وجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يـا ابن عبـاس مـالي أراك لا تسـمع لحـديثي أحـدثك عن رسـول اللـه ﷺ، ولا تسـمع فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسـول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأسماعنا، فلما ركب النـاس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف(2).

[الحديث: 321]ـ وهو قوله ﷺ في الـترهيب من الكـذب عليـه: (من كـذب على نبيـه، أو على عينيـه، أو على والديـه، لم يرح رائحة الجنة)(3)

[الحديث: 322]ـ وهو قوله ﷺ في بيان خطر الوضـاعين على صــفاء الإســلام: (هلاك أمــتي في ثلاث: في القدريــة والعصبية، والرواية من غير تثبت)(4)

[الحديث: 323]ـ وهو قوله ﷺ في الـترهيب من الكـذب عليه: (من حدث عني بحديث يرى أنه كذبٌ فهو أحـد الكـاذبين)(5)

وهو يقطع الطريق مع كل أنواع الكذب، ذلك أنه قـد ينقـل بعضهم حـديثا مكـذوبا، يعلم كذبـه، ولكن يتـوهم أنـه بـريء من الكذب بسبب كونه مجرد ناقل له.

1() رواه الطبراني في (الأوسط) 2/318 (2091)
2() رواه مسلم في المقدمة (7)
3() رواه الطبراني 1/217 (591)
4() رواه الطبراني في (الأوسط) 4/39 (3555)
5() رواه مسلم في مقدمة صحيحه ص7، والترمذي (2662)

وهو ينطبق على من يكذّب أحاديث رسول الله ﷺ أو ينكرها بناء على مخالفتها لهواه ومذهبه، ويحتج لذلك بمن كذبها من المحدثين، ولو لم يكن ذلك مطابقا لاعتقاده.

وهو قوله ﷺ في التحذير من الكذب عليه، أو رد حديثه، والدعوة إلى التوقف في حال الشك: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ بيتا فى النار، ومن رد حديثا بلغه عنى فأنا مخاصمه يوم القيامة، فإذا بلغكم عني حديثٌ فلم تعرفوه، فقولوا: الله أعلم)[1]

وهو قوله ﷺ في بيان الجرائم التي يقع فيها من يكذّب أحاديثه (من بلغه عني حديث فكذب به، فقد كذب ثلاثة: الله ورسوله، والذى حدث به)[2]

ثانيا ـ الأحاديث المقبولة في المصادر الشيعية:

بناء على ما سبق ذكره من اختلاف مناهج محدثي السنة عن محدثي الشيعة في التفريق بين المرفوع وغيره من الأحاديث، والأحكام المرتبطة بها، فإنا نتعامل مع المصادر الشيعية بناء على ما ورد من نصوص عن أئمة الهدى أنفسهم، والذين يصرحون بأن أحاديثهم المرتبطة بالهداية لم يقولوها من عند أنفسهم، وإنما هي إرث ورثوه من رسول الله ﷺ، سواء صرحوا برفعه، أو لم يصرحوا.

وحتى لا يتوهم متوهم أن ذلك يضر بنقاء الدين، نذكر أنهم يتشددون في التحذير من كل حديث ينسب لهم أو إلى رسول الله ﷺ يكون مخالفا للقرآن الكريم أو القيم التي جاء بها.

ولذلك؛ فإن الضرر المرتبط بصفاء الدين منتف من هذه الناحية.. ولهذا دأب علماء الشيعة على التصريح بكون كل أحاديثهم المروية في كتبهم لا يمكن اعتبارها صحيحة صحة مطلقة، لإمكان أن يجد المجتهد فيها من الثغرات ما ينفى عنها تلك الصحة، ولا يكون له من دليل على ذلك سوى مخالفتها للقرآن الكريم، أو للقيم الدينية.

وبناء على هذا سنذكر هنا ما ورد من أحاديثهم في هذا الجانب.

[الحديث: 324]ـ وهو قوله ﷺ في الترغيب في رواية الحديث ودرايته: (رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها

1() رواه الطبراني 6/262 (6164)

2() رواه الطبراني في (الأوسط) 7/313 (7596)

كما سمعها، فربّ حامل فقه ليس بفقيه.. وفي رواية: (فربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه)[1]

[الحديث: 325]ـ وهو قوله ﷺ في بيان باب فضل رواية الحديث وتبليغه: (اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاث مرات ـ قيل له: (يا رسول الله.. ومن خلفاؤك؟).. قال: (الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسنّتي، فيسلّمونها الناس من بعدي)[2]

[الحديث: 326]ـ وهو في فضل رواية الحديث، وتبليغه والتفريق بين الرواية والدراية، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (نضّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها مَن لم يسمعها، فكم من حامل فقه غير فقيه، وكم من حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يغلُّ عليهنّ قلب عبدٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطةٌ من ورائهم، المؤمنون إخوةٌ تتكافئ دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، يسعى بذّمتهم أدناهم)[3]

[الحديث: 327]ـ وهو إخباره ﷺ بأنه بلغ كل شيء يرتبط بالدين، ونص الحديث هو قوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: (أيها الناس اتقو الله، مامن شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به)[4]

[الحديث: 328]ـ وهو في الدعوة إلى كتابة الحديث، ونص الحديث هو أنّ رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ، فيسمع منه ﷺ الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (استعن بيمينك)، وأومأ بيده، أي خطّ[5].

[الحديث: 329]ـ وهو قول الإمام الصادق مستغربا من الذين يتوهمون أن الصحابة أو التابعين أو من بعدهم حصّلوا من الحديث ما لم يحصله أهل بيت النبوة: (عجبا للناس يقولون: أخذوا علمهم كله عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به، ونحن أهله وذريّته، في منازلنا أنزل الوحي، ومن عندنا خرج إلى الناس العلم أفتراهم

1() بحار الأنوار: 2/161، والغوالي.
2() بحار الأنوار: 2/144، والعيون.
3() بحار الأنوار: 2/148، ومجالس المفيد.
4() بحار الأنوار (2/ 171)
5() بحار الأنوار: 2/152، ومنية المريد.

علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟!.. إنّ هذا محال)[1]

[الحديث: 330]ـ وهو تصريح الإمام الصادق بأن أحاديثه المرتبطة بالهدى الإلهي مقتبسة من مشكاة النبوة: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين، وحديث أميرالمؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عزّوجلّ)[2]

وهذا يوافق ما ورد في الحديث المشهور في المصادر السنية، وهو قوله ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة)[3]؛ فقد اعتبر ﷺ سنة أئمة الهدى من سنته، وحض عليها مثلما حض على سنته.

[الحديث: 331]ـ وهو شهادة الإمام الباقر على أن مصادر أئمة الهدى هي السنة النبوية: (يا جابر.. لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[4]

[الحديث: 332]ـ وهو شهادة الإمام الصادق بأن كل ما ذكره أئمة الهدى ليس نابعا من الرأي والاجتهاد وإنما هو من النصوص المقدسة القرآنية والنبوية: (والله لولا أنّ الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا)[5]

[الحديث: 333]ـ وهو شهادة الإمام الباقر على أنه لولا الإرث الذي ورثوه من الهدى الإلهي لكانوا كسائر الناس: (إنّا على بيّنة من ربنا، بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيه لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)[6]

1() بحار الأنوار: 2/179، ومجالس المفيد.
2() بحار الأنوار (2/ 179)
3() رواه أبو داود (2/ 611) حديث (4607)، والترمذي (5/ 44) حديث (2676)
4() بحار الأنوار: 2/172، وبصائر الدرجات.
5() بحار الأنوار: 2/173، وبصائر الدرجات.
6() بحار الأنوار: 2/173، والاختصاص، بصائر الدرجات.

[الحـديث: 334]ـ وهـو في اقتصـار أئمـة الهـدى في فتاواهم على الكتاب والسنة دون القياس والاستحسان وغيرها، ونص الحـديث هـو أن الإمـام الصـادق سـئل: بـأي شـيء يفـتي الإمام؟.. قال: (بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتـاب؟.. قـال: بالسنّة، قيـل: فمـا لم يكن في الكتـاب والسـنّة؟.. قـال: (ليس شـيءٌ إلا في الكتـاب والسـنّة، قـال السـائل: فكـرّرت مـرة أو اثنتين قال: (يسدّد ويوفّق، فأما ما تظنّ فلا)[1]

وهو يشير بهذا إلى أن إمام الهدى هو الذي يُسدد بالتوفيق الإلهي بحيث يكتشف جواب أي نازلة تنزل، أو حادثة تحدث من خلال القرآن والسنة، من دون حاجة لقيـاس أو غـيره، وهـو مـا سبق ذكره من اشتمال القرآن الكريم على كل الحاجات، ولكل العصور.

[الحديث: 335] وهو في رجوع الأئمة في جميع أمورهم إلى رسول الله ﷺ، ونص الحديث هو قول الإمام الصـادق: (مـا رأيت عليا قضى قضـاء إلا وجـدت لـه أصـلا في السـنة.. وكـان علي يقول: لو اختصم إلي رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا أحـوالا كثيرة ثم أتياني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاءا واحـدا، لأن القضاء لا يحول ولايزول أبدا)[2]

[الحديث: 336] وهو قول الإمام الباقر في التحذير من الكذب، واستعمال الدين مطية للدنيا: (يا أبا النعمان!..لا تكـذب علينا كذبة فتُسلب الحنيفيـة، ولا تطلبنّ أن تكـون رأسـاً فتكـون ذَنَبـاً، ولا تسـتأكل النّـاس بنـا فتفتقـر، فإنّـك موقـوف لا محالـة ومسؤول، فإن صدقت صدّقناك، وإن كذبت كذّبناك)[3]

وفي هذا التحذير دليل على ما دسه المحرفون والمبـدلون في تراث الأئمة ليشوهوا الدين من خلالهم.

[الحـديث: 337]ـ وهـو في تحـذير الإمـام السـجاد من الكذب مطلقا: (اتّقوا الكذب الصغير منـه والكبـير، في كـل جـدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجـترأ على الكبـير، أمـا علمتم أنّ رسول الله قال: (ما يـزال العبـد يصـدق حـتى يكتبـه الله صدّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً)[4]

1() بحار الأنوار: 2/175.
2() بحار الأنوار (2/ 171)
3() بحار الأنوار: 69/233، والكافي 2/338.
4() بحار الأنوار: 69/235، والكافي 2/338.

وقـد أوردنـا هـذا الحـديث هنـا ردا على من يتوهمـون أن الشيعة أو أئمتهم يستحلون الكذب، وبذلك يرفضـون أحـاديثهم، وذلك مخالف للروايات الكثيرة عن رسول الله ﷺ أو عن الأئمة والتي تصرح بتحريم الكذب، وفي كل المجالات،

ومثله قوله ﷺ: (ويل للذي يحدّث فيكذب ليُضـحك.. فويـل له ثم ويل له).. وروي أنه ﷺ كـان يمـزح ولا يقـول إلا حقـاً، ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه[1].

وقال الإمام الصادق: (كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يومـاً، إلا كذباً في ثلاثة: (رجل كائد في حربـه، فهـو موضـوع عنـه.. أو رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا، يريد بـذلك الإصلاح ما بينهما.. أو رجل وعد أهله شـيئاً، وهـو لا يريـد أن يتمّ لهم)[2]

وقال الإمام الباقر: (إن أول من يكـذِّب الكـذاَّبَ: اللـه عـزّ وجل، ثم الملكان اللذان معه، ثم هو يعلم أنه كاذب)[3]

وقـال الإمـام الصـادق: (إنّ آيـة الكـذاب بـأن يخـبرك خـبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام اللـه وحلاله لم يكن عنده شيء)[4]

وقال الإمام علي: (لا يجـد عبـد طعم الإيمـان، حـتى يـترك الكذب هزله وجدّه)[5]

وقال: (ينبغي للرجل المسـلم أن يجتنب مواخـاة الكـذّاب، فإنّه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يُصدّق)[6]

وقال: (لا يصلح من الكذب جدٌّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صـبيته ثمّ لا يفي لـه، إنّ الكـذب يهـدي إلى الفجـور، والفجـور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال كـذب وفجـر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع أبرة صدق، فيسمّى عند الله كذّاباً)[7]

[الحـديث: 338]ـ وهـو في الحـرص على الأحـاديث الصحيحة دون غيرها، ونص الحـديث هـو أن جـابر بن عبـد اللـه

1() بحار الأنوار: 69/235، والكافي 2/338.
2() بحار الأنوار: 69/242، والكافي 2/342.
3() بحار الأنوار: 69/247، والكافي 2/339.
4() بحار الأنوار: 69/248، والكافي 2/340.
5() بحار الأنوار: 69/249، والكافي 2/340.
6() بحار الأنوار: 69/250، والكافي 2/341.
7() بحار الأنوار: 69/259، وأمالي الصدوق ص252.

قال للإمام الباقر: (إذا حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدّثني أبي، عن جده، عن رسول الله ﷺ.. وكل ما أحدّثك بهذا الإسناد، وقال: (يا جابر.. لحديثٌ واحدٌ تأخذه عن صادق، خيرٌ لك من الدنيا وما فيها)(1)

[الحديث: 339] وهو في فضل كتابة العلم والحديث، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق: (اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فورّث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج، ما يأنسون فيه إلا بكتبهم)(2)

[الحديث: 340] وهو دعوة الإمام الصادق لمن ينقلون حديث الأئمة بالمعنى إلى الحرص على اللغة، وتجنب اللحن والركاكة: (أعربوا كلامنا فإنا قومٌ فصحاء)(3)

[الحديث: 341] وهو قول الإمام الباقر في فضل رواية الحديث وسماعه وتأثيره في القلوب: (إنّ حديثنا يحيي القلوب.. ومنفعته في الدين أشدّ على الشيطان من عبادة سبعين ألف عابد)(4)

[الحديث: 342] وهو دعوة الإمام الصادق إلى عدم الاكتفاء بالحفظ دون الكتابة، فقد قال: (القلب يتّكل على الكتابة)(5)

[الحديث: 343] وهو في الترغيب في الكتابة، وعدم الاكتفاء بالحفظ، ونص الحديث هو قول الإمام الصادق: (دخل عليّ أناسٌ من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث وكتبوها، فما يمنعكم من الكتاب؟.. أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا)(6)

[الحديث: 344] وهو في الترغيب في رواية الحديث وتبليغه، ونص الحديث هو قوله ﷺ: (مَن أدّى إلى أمتي حديثاً يُقام به سنّة، أو يثلم (أي يصدع) به بدعة، فله الجنة)(7)

[الحديث: 345] وهو في الترغيب في حفظ أربعين حديثا كحد أدنى، من دون تحديد مضمونها، وهو قوله ﷺ: (من حفظ عني من امتي أربعين حديثا في أمر دينه يريد به وجه الله

1() بحار الأنوار: 2/148، ومجالس المفيد.
2() بحار الأنوار: 2/150، وكشف المحجة.
3() بحار الأنوار: 2/151.
4() بحار الأنوار: 2/151، ودعوات الراوندي.
5() بحار الأنوار: 2/152، والكافي.
6() بحار الأنوار: 2/153، وشرح اللمعة.
7() بحار الأنوار: 2/152، والمحاسن.

عزوجل والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما)[1]

وقد ورد مثله في المصادر السنية، إلا أنهم يضعفونه[2]، لكنه ورد في المصادر الشيعية بطرق كثيرة وصلت إلى حد الشهرة والاستفاضة، بل ذهب البعض الى تواتر الحديث، وذلك ما يقويه، ويعطيه المقبولية والصحة.

[الحديث: 346]ـ وهو في الترغيب في حفظ أربعين حديثا مع تحديد مضمونها، وهو الحلال والحرام، وهو قول الإمام الصادق: (مَن حفظ عني أربعين حديثا من أحاديثنا في الحلال والحرام، بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما ولم يعذّبه)[3]

[الحديث: 347]ـ وهو في الترغيب في حفظ أربعين حديثا مع تحديد مضمونها بدقة، وهو قوله ﷺ في وصيته للإمام علي: (يا علي.. مَن حفظ من أمتي أربعين حديثا، يطلب بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا)، فقال الإمام علي: (يا رسول الله.. أخبرني ما هذه الأحاديث؟.. فقال: (أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولاتؤخرها فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عزوجل، وتؤدي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعا، وأن لاتعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلما، ولا تأكل الربا، ولاتشرب الخمر ولاشيئا من الأشربة المسكرة، ولاتزني، ولاتلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولاتحلف بالله كاذبا، ولاتسرق، ولاتشهد شهادة الزور لاحد قريبا كان أو بعيدا، وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان أو كبيرا، وأن لاتركن إلى ظالم وإن كان حميما قريبا، وأن لاتعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإن أيسر الرياء شرك بالله عزوجل، وأن لاتقول لقصير: ياقصير، ولالطويل: ياطويل تريد بذلك عيبه، وأن لاتسخر من أحد من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر

---

[1] بحار الأنوار (2/ 154)

[2] قال ابن الملقِّن: (حديث (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً كُتب فقيهاً): يُروى من نحو عشرين طريقاً وكلها ضعيفة، قال الدارقطني: كل طرقه ضعاف لا يثبت منها شيء، وقال البيهقي: أسانيده ضعيفة، (خلاصة البدر المنير (2/ـ 145))، وقال البيهقي: (هذا متن مشهور فيما بين الناس وليس له إسناد صحيح) (شعب الإيمان) (2/ـ 270)، وقال النووي: (واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه) (مقدمة الأربعين النووية)

[3] بحار الأنوار: 2/154، والخصال.

نعم الله التي أنعم بها عليك، وأن لاتأمن عقـاب اللـه على ذنب تصيبه، وأن لاتقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى اللـه عزوجـل من ذنوبـك فـإن التـائب من ذنوبـه كمن لا ذنب لـه، وأن لاتصـر على الـذنوب مـع الاسـتغفار فتكـون كالمسـتهزئ باللـه وآياتـه ورسله، وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لاتطلب سخط الخـالق برضـى المخلـوق، وأن لاتؤثر الدنيا على الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، وأن لاتبخــل على إخوانــك بمــا تقــدر عليــه، وأن يكــون ســريرتك كعلانيتـك، وأن لاتكـون علانيتـك حسـنة وسـريرتك قبيحـة فـإن فعلت ذلـــك كنت من المنـــافقين، وأن لا تكـــذب ولاتخالـــط الكذابين، وأن لاتغضب إذاسمعت حقا، وأن تؤدب نفسك وأهلك وولـدك وجيرانـك على حسـب الطاقـة، وأن تعمـل بمـا علمت، ولاتعاملن أحدا من خلـق اللـه عـز وجـل إلا بـالحق، وأن تكـون سهلا للقريب والبعيـد، وأن لاتكـون جبـارا عنيـدا، وأن تكـثر من التسـبيح والتهليـل والـدعاء وذكـر المـوت ومابعـده من القيامـة والجنة والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بمـا فيـه، وأن تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى كـل ما لاترضى فعلـه لنفسـك فلاتفعلـه بأحـد من المؤمـنين، وأن لا تمل من فعـل الخـير، ولا تثقـل على أحـد إذا أنعمت عليـه، وأن تكون الدنيا عندك سجنا حتى يجعل لك جنة؛ فهذه أربعون حديثا من استقام عليها، وحفظها عني من أمـتي دخـل الجنـة برحمـة الله، وكـان من أفضـل النـاس وأحبهم إلى اللـه عـزّ وجـلّ بعـد النبـيين والصـدّيقين، وحشـره اللـه يـوم القيامـة مـع النبـيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا)[1]

وهذا الحديث يشير إلى أن الأربعين حـديثا ينبغي أن تكـون شاملة لكل شؤون الدين، مثلما أشـار حـديث إحصـاء الأسـماء، وقد أشار إلى هذا المعنى المجلسي بقولـه: (ظـاهر هـذا الخـبر أنه لا يشترط في حفظ الأربعين حديثا كونها منفصلة بعضها عن بعض في النقل، بل يكفي لذلك حفظ خـبر واحـد يشـتمل على أربعين حكما، إذ كل منها يصلح لأن يكون حديثا برأسه، ويحتمل أن يكون المراد بيان مورد هذه الأحاديث أي أربعين حديثا يتعلق بهذه الأمور)[2]

1() بحار الأنوار: 2/156، والخصال.
2() بحار الأنوار: 2/156.

[الحديث: 348]ـ وهو في الـدعوة إلى انتقـاء الأحـاديث، حتى لا يكون سـببا في الفتنـة، ونص الحـديث هـو قـول الإمـام علي ـ فيمـا كتب إلى الحـارث الهمـداني ــ: (ولا تحـدّث النـاس بكـلّ مـا سـمعت فكفى بـذلك كـذبا، ولاتـردّ على النـاس كلّمـا حدّثوك به، فكفى بذلك جهلا)[1]

[الحـديث: 349]ـ وقـد ورد مثلـه في المصـادر السـنية، ففيها قوله ﷺ: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[2]

[الحديث: 350]ـ وهـو في الـترغيب في الدرايـة، وعـدم الاكتفاء بالرواية، وخاصة ممن لا يفقه ما يروي، لأنـه قـد يكـون عرضـة للكـذابين والوضـاعين كمـا حصـل في الواقـع، ونص الحديث هـو قـول الإمـام علي: (همّـة السـفهاء الروايـة، وهمّـة العلماء الدراية)[3]

[الحديث: 351]ـ وهو قول الإمـام علي في الـدعوة إلى إسناد الحديث: (إذا حدّثتم بحديث فأسـندوه إلى الـذي حـدّثكم، فإن كان حقاً فلكم، وإن كان كذبا فعليه)[4]

[الحديث: 352]ـ وهو في إخبار الإمام الصـادق بـأن كـل أحاديثه مسندة إلى رسول الله ﷺ، فقد قيل له: (أسمع الحديث فلا أدري منـك سـماعه أو من أبيـك؟)، قـال: (مـا سـمعته مـني فاروه عن رسول الله ﷺ)[5]

[الحديث: 353]ـ وهو في جواز رواية الحـديث بـالمعنى، ونص الحديث هو أنه قيل للإمام الصـادق: أسـمع الحـديث منـك فلعلّي لا أرويه كما سمعته، فقال: (إن أصبت فيه فلا بأس، إنما هو بمنزلة: تعال، وهلمّ، واقعد، واجلس)[6]

[الحديث: 354]ـ وهو في جواز رواية الحـديث بـالمعنى، ونص الحديث هو أنه قيل للإمام الصادق: إني أسمع الكلام منك فأريد أن أرويه كما سمعته منـك فلا يجـيئ ذلـك، قـال: فتتعمّـد ذلـك؟.. قيـل: لا، قـال: تريـد المعـاني؟.. قيـل: نعم، قـال: (فلا بأس)[7]

1() بحار الأنوار: 2/160، والنهج.
2() رواه مسلم (6)
3() بحار الأنوار: 2/160، وكنز الكراجكي.
4() بحار الأنوار: 2/161، والكافي.
5() بحار الأنوار: 2/161، وكتاب الإجازات.
6() بحار الأنوار: 2/161، وكتاب مدينة العلم.
7() بحار الأنوار: 2/164.

[الحـديث: 355]ـ وهـو في تـرغيب الإمـام السـجاد في الرواية، وتحـذيره من الكـذب، ونص الحـديث هـو قولـه يوصـي بعض أصحابه: (يا هذا.. إياك أن تأتي أهل العـراق فتخـبرهم أنّـا استودعناك علماً، فإنّا والله ما فعلنا ذلك.. وإياك أن تـترأس بنـا فيضعك الله.. وإياك أن تستأكل بنا فيزيـدك اللـه فقـرا.. واعلم أنـك إن تكن ذنَبـا في الخـير خـيرٌ لـك من أن تكـون رأسـا في الشرّ.واعلم أنه من يحدّث عنا بحديثٍ سألناه يومـا، فـإن حـدّث صدقاً كتبه الله صدّيقا، وإن حدّث كذباً كتبه الله كذّابا)[1]

[الحـديث: 356]ـ وهـو في وجـوب التحـري في روايـة الحديث وعرضه على القـرآن الكـريم، ونص الحـديث هـو قـول الإمام علي: (الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثا لم تروه خيرٌ من روايتك حديثا لم تحصـه، إنّ على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صـواب نـورا، فمـا وافـق كتـاب اللـه فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه)[2]

[الحديث: 357]ـ وهو في شمول البيان النبـوي لأحكـام كل شيء، ونص الحديث هو أنه قيل للإمام الباقر: يـا محمـد بن علي.. أنت الذي تزعم أنه ليس شيءٌ إلا وله حدٌّ؟.. فقال: (نعم أنا أقول: إنه ليس شيءٌ مما خلـق اللـه صـغيراً وكبـيرا إلا وقـد جعل الله له حدّا، إذا جوز به ذلك الحدّ فقد تعدّى حدّ الله فيـه)، فقال: فما حدّ مائدتك هذه؟.. قال: (تذكر اسم الله حين تُوضع، وتحمد الله حين تُرفع، وتقمّ مـا تحتهـا).. قيـل: فمـا حـدّ كـوزك هذا؟.. قال: (لا تشرب من موضـع أذنـه، ولا من موضـع كسـره فإنه مقعد الشيطان، وإذا وضـعته على فيـك فـاذكر اسـم اللـه، وإذا رفعته عن فيك فاحمد الله، وتنفّس فيه ثلاثة أنفـاس، فـإنّ النفس الواحد يكره)[3]

[الحـديث: 358]ـ وهـو في إخبـار الإمـام الصـادق عن شمول السنة النبوية لكـل شـيء، ونص الحـديث هـو أن الإمـام الصادق سئل عن شيء من السنن فقال: (مـامن شـيء يحتـاج إليه أحد من ولد آدم إلا وقـد جـرت فيـه من اللـه ومن رسـوله سنة عرفها من عرفها، وأنكرها من أنكرهـا)، قـال الرجـل: فمـا السنة في دخول الخلاء؟ قال: (تذكر الله، وتتعوذ من الشيطان،

1() بحار الأنوار: 2/162.
2() بحار الأنوار: 2/165، وتفسير العياشي.
3() بحار الأنوار: 2/171، والمحاسن.

فإذا فرغت قلت: الحمدلله على ما أخرج عني من الأذى في يسر منه وعافية)، فقال الرجل: فالإنسان يكون على تلك الحال فلا يصبر حتى ينظر إلى ما خرج منه. فقال: (إنه ليس في الأرض آدمي إلا ومعه ملكان موكلان به، فإذا كان على تلك الحال ثنيا رقبته)، ثم قالا: ابن آدم انظر إلى ماكنت تكدح له في الدنيا إلى ماهو صائر)[1]

1() بحار الأنوار (2/ 171)

المبحث الثاني

الأحاديث المردودة حول السنة المطهرة وما يتعلق بها

بناء على ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة الموافقة له؛ فإن كل الأحاديث التي تسيء إلى النبوة، أو ما يصدر عنها، أحاديث مردودة، حتى لو كان ظاهرها تمجيدا للنبوة أو دعوة إليها.

وذلك لأن المنحرفين عن النبوة وأئمة الهدى استعملوا كل الوسائل التي تصرف عن السنة المطهرة، أو تسيء إليها مثلما استعملوا كل الوسائل في التنفير عن القرآن الكريم، حتى تتعطل كل مصادر الهداية، أو تتشوه بذلك الدخن الذي لحق بها.

ولهذا فإن رفض تلك الأحاديث وردها أهم من الحفاظ عليها حفظا لسمعة الرواة، وخشية عليهم.. فالدين أهم من الرواة.

وقد صنفنا تلك الأحاديث الواردة في مصادر السنة والشيعة بحسب معايير الرد إلى ما يلي:

أولا ـ الأحاديث المردودة في التأريخ للنبوة:

وهي الأحاديث التي تقتحم مجالا لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنن الصحيحة، مستغلة ما ورد حول كون رسول الله ﷺ نورا وسراجا منيرا، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: 45، 46]

ولذلك تفعل ما تفعل الإسرائيليات من البحث عن التفاصيل المرتبطة بذلك النور، وكيف تشكل، وإلي أين انتهى.. وغيرها من التفاصيل التي لا نراها عادة إلا عند القصاص وهواة الروايات الإسرائيلية.

وقد وردت هذه الروايات في المصادر السنية والشيعية، وسنذكر هنا نموذجين عنها من كلا المصدرين:

[**النموذج الأول**] وهو ما ورد في المصادر السنية، وخصوصا الصوفية منها، من الحديث المروي عن جابر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شئ خلقه الله تعالى؟ فقال:

(هو نور نبيك يا جابر؛ خلقه اللـه ثم خلـق فيـه كـل خـير وخلـق بعده كل شئ، وحين خلقه أقامه قدامه من مقـام القـرب اثـني عشـر ألـف سـنة، ثم جعلـه أربعـة أقسـام: فخلـق العـرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسـي من قسم.. وأقام القسـم الرابـع في مقـام الحب اثـني عشـر ألـف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، واللـوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقـام الخـوف اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكـة من جزء، والشمس من جزء، والقمـر والكـواكب من جـزء.. وأقـام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثـني عشـر ألـف سـنة، ثم جعلـه أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والعلم والحكمـة من جـزء، والعصـمة والتوفيـق من جـزء.. وأقـام الجـزء الرابـع في مقـام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثم نظر الله عز وجل إليه، فترشـح النور عرقاً، فقطر منه مائة ألـف أربعـة وعشـرون ألـف قطـرة من النور، فخلق الله من كل قطرة روح نبي أو روح رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسهم الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة، فـالعرش والكرسـي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون والملائكة من نـوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السـموات السـبع من نـوري، والشـمس والقمـر والكـواكب من نـوري، والعقـل والتوفيـــق من نـــوري، وأرواح الرســـل والأنبيـــاء من نـــوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتـاج نـوري.. ثم خلـق اللـه اثني عشر ألف حجاب فأقام الله نوري، وهـو الجـزء الرابـع في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية والسـكينة والصـبر والصدق واليقين، فغمس الله ذلـك النـور في كـل حجـاب ألـف سنة، فلما أخرج اللـه النـور من الحجب ركبـه اللـه في الأرض، فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليـل المظلم.. ثم خلـق اللـه آدم من الأرض فـركب فيـه النـور في جبينـه، ثم انتقـل منـه إلى شـيث، وكـان ينتقـل من طـاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله صلب عبد اللـه بن عبـــد المطلب، ومنـــه إلى رحم أمي آمنـــة بنت وهب، ثم أخرجـني إلى الـدنيا فجعلـني سـيد المرسـلين، وخـاتم النبـيين، ورحمة للعلمين، وقائد الغر المحجلين.. هكذاكان بدء خلق نبيـك

يا جابر)[1]

وأدلة رد الحديث كثيرة جدا، لا يمكن إحصاؤها هنا، ولعل أيسرها فهما هو ما ورد فيه من هذه العبارة: (فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء)، وهو يدل على تلك التصورات الفلكية الهزيلة التي كان يرويها كعب الأحبار وغيره، كما أشرنا إلى ذلك في كتاب [السلفية والوثنية المقدسة]

هذا من ناحية المتن، أما من ناحية السند، فقد رَدَّ السيوطي مع ميوله الصوفية عليه، فقال لمن سأله عنه: (الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه)[2]

وقال عبد الله بن الصديق الغماري ــ معلقاً على كلام السيوطي ـ: (وهو تساهل قبيح بل الحديث ظاهر الوضع، واضح النكارة.. والعجب أن السيوطي عزاه إلى عبد الرزاق مع أنه لا يوجد في مصنفه ولا تفسيره ولا جامعه وأعجب من هذا أن بعض الشناقطة صدق هذا العزو المخطيء فركب له إسناداً من عبد الرزاق إلى جابر، ويعلم الله أن هذا كله لا أصل له فجابر بريء من رواية هذا الحديث وعبد الرزاق لم يسمع به)[3]

وقال أحمد بن الصديق الغماري مستدركاً على السيوطي: (وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شك الواقف عليه في وضعه، وبقيته تقع في ورقتين من القطع الكبير؛ مشتملة على ألفاظ ركيكة، ومعاني منكرة)[4]

وقد ألف الشيخ محمد أحمد عبد القادر الشنقيطي في بيان وضعه رسالة سماها: (تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق)

[**النموذج الثاني**] وهو ما ورد في المصادر الشيعية، ونصه المرفوع إلى النبي ﷺ أنه قال: (إن الله خلقني وعليّا وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: (فأين كنتم يا رسول الله؟)، قال: (قدّام العرش، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده، قلت: (على أي

1() ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية(1/73-74)، ومحمد البرهاني في كتابه تبرئة الذمة(ص/9)، والنفحات المكية واللمحات الحقية لمحمد عثمان الميرغني(ص/28-29)، وعزاه لـ (مصنف عبد الرزاق)، ولا يوجد فيه.

2() الحاوي للفتاوي(1/223-325).

3() ملحق قصيدة البردة لعبد الله الغماري(ص/75).

4() المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير(ص7)

مثال؟)، قال: (أشباحُ نور، حتى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صُورنا صيّرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قومٌ ويشقى بنا آخرون.. فلما صيّرنا إلى صلب عبد المطلب، أخرج ذلك النور فشقّه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثم أخرج الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة علياّ، ثم أعاد عزّ وجل العمود إليّ، فخرجت مني فاطمة، ثم أعاد عزّ وجلّ العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعا ـ فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة)[1]

وقريب منه ما ورد في هذه الرواية التي تشير إلى أن رسول الله ﷺ خلق قبل آدم عليه السلام، وهو بذلك ليس من أبنائه، ونصها هو ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله.. أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، فمن هم يا رسول الله، الذين هم أعلى من الملائكة؟!.. فقال رسول الله ﷺ: (أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبّح الله، وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلما خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش)[2]

وهذا لا يعني أن كل ما في هذه الأحاديث مرفوض مطلقا، ولكن ورودها بهذه الصيغة مردود، ولذلك فإن ما ورد في الحديث من قوله ﷺ عن بدء نبوته: (إني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت

1() بحار الأنوار: 15/8، والعلل ص80.

2() بحار الأنوار: 15/22، وفضائل الشيعة.

وكذلك أمهات النبيين ترين)[1] يغني عنها جميعا.

ثانيا ـ الأحاديث المردودة في خصائص النبوة:

بما أن النبوة تقتضي توفر الكثير من الكمالات والطاقات التي لا يمكن أداؤها من دونها، فقد ورد في القرآن الكريم والأحاديث التي توافقه ما يدل على أن رسول الله ﷺ مع كونه بشرا إلا أنه أوتي طاقات خاصة، تتناسب مع وظيفته التي كلف بها.

وذلك مما لا حرج فيه عقلا ولا شرعا، بل هو يتناسب مع سنن الله تعالى في كون الهبات والطاقات متناسبة مع الوظائف، ولهذا أخبر الله تعالى عن سر اختيار طالوت ملكا على بني إسرائيل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]

ومما ورد في القرآن الكريم مما يدل على ذلك رفع الله تعالى العذاب عن أمته ما دام فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]

ومنها كونه ﷺ رحمة للعالمين، وأنه أرسل للبشر جميعا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]

ومنها تحريم تزوج زوجاته من بعده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53]

ومنها النهي عن دعائه كدعاء سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63]

ومنها النهي عن رفع الصوت أمامه، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: 2، 3]

ومن الأمثلة على الأحاديث التي يمكن قبولها، والتي تدل على خصائصه ﷺ، وخصائص أمته:

1) أحمد (4/ 127)

[الحديث: 359] ـ ما روي من كونه ﷺ أشـرف بـني آدم، كقوله: (إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الـدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخـر، وبيـدي لـواء الحمد، ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي، ولا فخر)[1]

بـل إن ابن عبـاس يـذكر شـرف رسـول اللـه ﷺ على كـل الخلائق، فقد قال: (ما خلق الله، وما ذرأ، ومـا بـرأ نفسا أكـرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72])[2]

[الحديث: 360] ومثله قوله ﷺ: (إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لـواء الحمـد ولا فخر، وأنا سـيد النـاس يـوم القيامـة ولا فخـر، وأنـا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر)[3]

[الحديث: 361] ـ وقوله ﷺ: (آتي باب الجنة يوم القيامـة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمدٌ، فيقـول: بـك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك)[4]

[الحـديث: 362] ـ مـا روي من تميـيزه وتميـيز رسـالته بالمواهب الخمس الخاصة بها، والواردة في قولـه ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الأحمـر والأسـود، وكـان النـبي إنمـا يبعث إلى قومـه خاصـة، وبعثت إلى النـاس عامـة، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحـد قبلي، ونصـرت بـالرعب من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض طهـورا ومسـجدا، فأيمـا رجـل أدركته الصلاة، فليصل حيث أدركته)[5]

[الحديث: 363] وفي رواية: (أعطيت خمسا: بعثت إلى الأحمـر، والأسـود، وجعلت لي الأرض طهـورا ومسـجدا، وأحلت لي الغنائم ولم تحـل لمن كـان قبلي، ونصـرت بـالرعب شـهرا، وأعطيت الشفاعة وليس من نـبي إلا وقـد سـأل شـفاعة، وإني اختبأت شفاعتي، ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك باللـه

1() مسلم برقم 2278.
2() تفسير ابن جرير (6/4908).
3() أحمد (19/451) برقم 12469.
4() مسلم برقم 197.
5() البخاري (335) و(438) و(3122)، ومسـلم (521)، والنسـائي 1/209ـ 211 و 2/56.

شيئا)[1]

[الحـديث: 364] ـ مـا ورد من الخصـائص في قولـه ﷺ: (بعثت بجوامع الكلم[2]، ونصرت بالرعب، وبينا أنـا نـائمٌ رأيتـني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي)[3]

[الحديث: 365] ـ ما روي أنَّ النبي ﷺ تنامُ عيناه، ولا ينامُ قلبُه فقد روي أن عائشة سئلت: كيف كانت صـلاة رسـول اللـه ﷺ في رمضان؟ قالت: (ما كانَ يزيد في رمضـان ولا في غـيره على إحـدى عشـرةَ ركعـة، يصـلِّي أربـع ركعـات، فلا تسـأل عن حُسـنهنَّ وطـولهن، ثم يصـلِّي أربعًـا، فلا تسـأل عن حُسـنهن وطولهن، ثم يصلِّي ثلاثًـا، فقلت: يـا رسـول اللـه، تنـام قبـلَ أن توتر؟ قال: (تنام عيني، ولا ينام قلبي)[4]

وهذا مما لا حرج فيه، بل ممـا تقتضـيته النبـوة، وكمالاتهـا، فالنبوة تقتضي التجرد التام، وتبعيه الروح للجسد، وبذلك يصـبح النوم مجرد راحة للجسد، أما الروح فهي في محلها لا تبرحه.

[الحديث: 366] ـ ما روي من معرفة كل شـيء لرسـول اللــه ﷺ من الحيوانــات والجمــادات، وتــدل عليــه الكثــير من الأحاديث، ومنها ما رواه بعض أصحاب رسول اللـه ﷺ قـال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجتِه، فرأينا حُمَّرةً معها فرخان، فأخذنا فرخَيها، فجـاءَت الحُمَّرة فجعلت تفـرش، فجـاءَ النَّبي ﷺ فقال: (مَن فجَع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها)[5]

وحدث آخر قال: أردفني رسـول اللـه ﷺ ذات يـوم خَلفَـه، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أخبر به أحدًا، وكان رسـول اللـه ﷺ أحبَّ مـا استتر به في حاجته هدَف أو حائش نخل، فدخلَ يومًا حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جملٌ قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه ـ وفي رواية: فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذرفت عيناه ـ فمسح رسول الله ﷺ سَراته وذِفراه فسكن، فقـال: (من صـاحب الجمـل؟) فجـاء فتًى من الأنصار فقال: هُو لي يا رسول اللـه، فقـال: (أمـا تتَّقي

---

[1] () أورده الهيثمي في مجمـع الزوائـد 8/258، وقـال: رواه أحمـد متصـلا ومرسـلا، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

[2] () قال ابن حجر: (جوامع الكلم التي خص بها رسول الله ﷺ أنـه كـان يتكلم بـالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني)(فتح الباري (6/128))

[3] () البخاري برقم 2977، وصحيح مسلم برقم 523.

[4] () البخاري (3569).

[5] () أبو داود (2675)، وصححه الحاكم (7599)

الله في هذه البهيمة التي ملَّككها الله؟! إنَّه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتدئِبه)[1]

[الحديث: 367] ما روي أن النبي ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ومن الروايات الواردة في ذلك قوله ﷺ: (هل ترون قبلتي ها هنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم؛ إنِّي لأراكم من وراء ظهري)[2]

وفي حديث آخر قال: (أقيموا صفوفكم، فإنِّي أراكم من وراء ظهري)[3]

وقد علق ابن حجر عليه بقوله: (والصَّواب المختار أنَّه محمولٌ على ظاهره، وأنَّ هذا الإبصارَ إدراكٌ حقيقيّ خاصٌّ به ﷺ، انخرقت له فيه العادة)[4]

[الحديث: 368] ما روي أن النبي ﷺ كان لا يتثاءب، وقد روي في ذلك بعض الآثار، قال ابن حجر: (وَمنَ الخصائِص النَّبويةِ ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في التَّاريخ من مرسل يزيد بن الأصم قال: ما تثاءب النبي ﷺ قطّ، وأخرجَ الخطابيّ من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال: ما تثاءب نبيٌّ قط، ومسلمة أدركَ بعضَ الصحابة وهو صدوق. ويؤيِّد ذلك ما ثبَت أنَّ التثاؤبَ من الشيطان، ووقع في الشفاء لابن سبع أنَّه ﷺ كان لا يتمطّى لأنَّه من الشَّيطان، والله أعلم)[5]

ومن الأحاديث التي تدل على هذا قوله ﷺ: (التثاؤُب من الشَّيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحِكَ الشَّيطان)[6]، وفي روايةٍ: (إن الله يحبُّ العطاس، ويكرهُ التثاؤب، فإذا عطس فحمدَ الله، فحقّ على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التَّثاؤب فإنَّما هو من الشيطان، فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحكَ منهُ الشَّيطان)[7]، فإذا كان التَّثاؤب من الشيطان فإن النبي ﷺ منزَّهٌ عن أن يأتي بعملٍ هو من الشيطان.

وقد علق على هذه الأحاديث العيني بقوله: (قوله: (من

1() أحمد (1745)، وأبو داود (2549)
2() البخاري (418).
3() البخاري (725).
4() فتح الباري (1/ 514).
5() فتح الباري (10/ 613).
6() البخاري (3289)، ومسلم (2994).
7() البخاري (6226).

الشيطان) إنما نسب التثاؤب إليه لأنَّه هو الذي يزيِّن للنفس شهوتها، وهو من امتلاء البدن وكثرة المأكل، وقيل: ما تثاءب نبيّ قطّ؛ لأنه لا يضاف إليه عملٌ للشيطان فيه حظٌّ)[1]

وغيرها من الأحاديث والروايات الواردة في كتب الخصائص والشمال والسيرة وغيرها، وفي مقابلها نجد خصائص أخرى غريبة، لا تتناسب مع النبوة، بل تشوهها، بل يستحيا من ذكرها، ولولا انتشارها وتجرؤ الخطباء على ذكرها أمام عامة الناس ما تجرأنا على ذكرها، ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل أو النهار، وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟! قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين)[2]

ومنها ما رواه عن محمد بن المنتشر قال: (ذكرته لعائشة، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه، ثم يصبح محرما ينضخ طيبا)[3]

وهذه الروايات غريبة جدا، فرسول الله ﷺ المذكور في القرآن الكريم يختلف عن الرسول المذكور في هذه الروايات، وما يتوهمه هؤلاء الرواة قوة، ليس له علاقة بها؛ فالرجل الذي يصيبه هذا الشغف وهذه الهستريا بحيث يقوم بجولة سريعة على إحدى عشرة امرأة وفي ساعة واحدة ليس إنسانا طبيعيا، فكيف يكون نبيا؟

بالإضافة إلى أن هذا من الناحية النفسية لا يحمل أي معنى من معاني الرجولة والشهامة والنبل، فالرجل الذي يأتي زوجته كالبهائم من دون مقدمات ليس رجلا أصلا، بل ورد في الأحاديث النهي عن المعاجلة في ذلك، وهذا الحديث يتناقض مع ذلك الهدي النبوي الذي حذر النبي ﷺ أمته من مخالفته..

بالإضافة إلى أن تلك الروايات مخالفة للكثير من النصوص التي حذر فيها رسول الله ﷺ عن حكاية الحياة الشخصية الخاصة بين الرجل وزوجته.. فكيف يتجرأ شخص على حكاية الحياة الشخصية لنبي كريم؟ وما عهدنا ذلك إلا في حكايات الفضائح التي يقوم بها الساسة بعضهم مع بعض.

لكن مع كل ذلك نجد اهتماما كبيرا من لدن العلماء

1() عمدة القاري شرح صحيح البخاري (22/ 227).

2() رواه البخاري (1/75)

3() رواه البخاري (1/ 448)، رقم (267)، ومسلم (5/ 1867)، رقم (2797)

وغيرهم بهذه الأحاديث.. يقول ابن حجر بعـد إيـراده لبعض تلـك الأحاديث: (وفي هذا الحديث من الفوائد... مـا أعطي النـبي ﷺ من القـوة على الجمـاع، وهـو دليـل على كمـال البنيـة وصـحة الذكورية)(1)

بل قام ابن حجـر بحسـاب قـوة النـبي ﷺ بطريقـة بديعـة، فقـال تعليقـا على مـا رواه زيـد بن أرقم: (إن الرجـل من أهـل الجنـة يعطى قـوة مائـة رجـل في الأكـل والشـرب والشـهوة والجماع...)(2): (فعلى هذا يكون حساب قوة نبينـا أربعـة آلاف)(3)

وقـال الصـنعاني: (وفي الحـديث دلالـة على أنـه ﷺ كـان أكمل الرجال في الرجولية؛ حيث كان له هذه القوة)(4)

ومثلهمـا المنـاوي الـذي راح يسـتنبط المعجـزات من تلـك الأحاديث، فقال: (فإن قلت: هل للتمدح بكثرة الجماع للنـبي ﷺ من فائدة دينية أو عقلية لا يشاركه فيها غير الأنبياء من البريـة؟ قلت: نعم - بل هي معجـزة من معجزاتـه السـنية، إذ قـد تـواتر تواترا معنويا، أنه كـان قليـل الأكـل، وكـان إذا تعشـى لم يتغـد، وعكسه، وربما طوى أياما، والعقل يقضي بأن كثرة الجماع إنما تنشأ عن كثرة الأكل، إذ الرحم يجذب قوة الرجل، ولا يجبر ذلك النقص إلا كثرة الغذاء، فكثرة الجماع لا تجتمـع مـع قلـة الغـذاء عقلا ولا طبا ولا عرفا، إلا أن يقع على وجه خرق العـادة، فكـان من قبيــل الجمــع بين الضــدين، وذلــك من أعظم المعجــزات فتدبر)(5)

والأمر لم يقتصر على رسـول اللـه ﷺ، بـل امتـد التشـويه لغيره من الأنبياء، فقد رووا عن النبي ﷺ أنه قال: (قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سـبعين امـرأة، تحمـل كـل امـرأة فارسا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل، ولم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا أحد شـقيه. فقـال النـبي ﷺ: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله)(6)

ومع أن الحديث مضطرب اضـطرابا شـديدا، وقـد اختلفت

1() فتح الباري: 1/ 451.
2() رواه أحمد.
3() فتح الباري:1/ 450.
4() سبل السلام، الصنعاني، 6/ 128.
5() فيض القدير، المناوي، 1/ 130.
6() رواه البخاري ومسلم.

الروايات في عدد النسـاء، لكنهم للأسـف وجـدوا الحـل العجيب لذلك، كما قـال ابن حجـر في الجمـع بين الروايـات: (فمحصـل الروايات: ستون، وسبعون، وتسـعون، وتسـع وتسـعون، ومائـة. والجمع بينها أن الستين كن حرائر، ومـا زاد عليهن كن سـراري أو بالعكس، وأمـا السـبعون فللمبالغـة، وأمـا التسـعون والمائـة فكن دون المائـــة وفـــوق التســعين، فمن قـــال تســعون ألغى الكسر، ومن قـال مائـة جـبره- أي أكمـل الكسـر-.. وقـد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان ألف امـرأة ثلاثمائـة مهيرة، وسبعمائة سرية)[1]

وبناء على هذه الروايـات المكذوبـة المدسوسـة المشـوهة للنبوة، راح المحدثون يستنبطون معاني القوة في حيـاة الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام الذين هم خلاصة البشر وصـفوتهم، فقـد قال النووي تعليقا على هذا الحديث: (وفي هذا بيان ما خص بـه الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم من القوة على إطاقـة هذا في ليلة واحدة، وكـان نبينـا ﷺ يطـوف على إحـدى عشـرة امرأة له في الساعة الواحـدة، كمـا ثبت في الصـحيحين، وهـذا كله من زيادة القوة)[2]

ويقول ابن حجر: (وفيه ما خص به الأنبيـاء من القـوة على الجماع الدال ذلـك على صـحة البنيـة، وقـوة الفحوليـة، وكمـال الرجولية، مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم)[3]

ويقـول المنـاوي: (إن سـليمان - عليـه السـلام - تمـنى أن يكون له ملكا لا ينبغي لأحد من بعـده، فـأعطي الملـك، وأعطي القـوة في الجمـاع؛ ليتم لـه الملـك على خـرق العـادة من كـل الجهات؛ لأن الملوك يتخـذون من الحرائـر والسـراري بقـدر مـا أحل لهم ويستطيعونه، فأعطي سـليمان - عليـه السـلام - تلـك الخصوصية ليتميز بها عنهم، فكان نساؤه من جنس ملكه الــذي لا ينبغي لأحد من بعده)[4]

وهكذا استطاعت أمثال هذه النصـوص أن تنحـرف بـالنبوة عن معناها السامي الذي قصده القرآن الكريم إلى معان باهتـة محتقـرة تتفـق تمامـا مـع المنهج الـذي كـان يفكـر بـه فرعـون

1() فتح الباري لابن حجر (6/ 460)
2() شرح صحيح مسلم، النووي: 6/ 2570.
3() فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (6/ 533).
4() فيض القدير، المناوي، (4/ 659)

وهامان ومعاوية ويزيد.

وكان في إمكانهم بدل هذا أن يـذكروا مـا ورد من طاقاتـه ﷺ العجيبـة في تحمـل وحي اللـه، والقيـام بالتكـاليف الشـديدة التي يتطلبهـا، كمـا أشـار إلى ذلـك قولـه تعـالى في بيـان ثقـل الرسـالة وعظمهـا وشـدتها: ﴿إِنَّا سَـنُلْقِي عَلَيْـكَ قَـوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]

ولا يقـف الأمـر عنـد ذلـك.. فـالوحي يتطلب تنفيـذا.. كمـا يتطلب تبليغا.. كما يتطلب مواجهة.. وفي كل ذلك كـان رسـول الله ﷺ مثال القوة في التنفيذ، والقـوة في التبليـغ، والقـوة في المواجهة.

وكمثال على قوتـه في التنفيـذ ذلـك الأمـر الإلهي الشـديد الذي نزل عليه في أول نبوته، والتزمـه ﷺ إلى آخـر لحظـة من حياته.. قيام الليل.. فقد كان من أول ما نزل عليه قوله تعـالى: ﴿يَاأَيُّهَـا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْـلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْـفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْـهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)﴾ [المزمل: 1 - 4]

وقـد كـان ﷺ حريصـا على تطـبيق هـذا الأمـر الإلهي مـع شـدته، ومـع الظـروف الخطـيرة الـتي مـر بهـا، والـتي كـانت تستدعي منه أن يأخذ حظه من النوم بالليـل، ولكنـه كـان يـأبى ذلك.. ويجعل أكـثر ليلـه قيامـا للـه، بعـد نهـار ممتلئ بالمشـاق والمتـاعب.. ومن الأمثلـة الـواردة في ذلـك، والـتي كـان يمكن الاستدلال بها على قوته ﷺ:

[الحديث: 369] ـ ما رواه حذيفة من قوة رسول اللـه ﷺ في العبادة، حيث قال: صـليّت مـع النـبي ﷺ ذات ليلـة، فـافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة. قال: ثُمّ مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النسـاء فقرأهـا، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسـلاً إذا مـرّ بآيـة فيهـا تسـبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركـع فجعـل يقول: سبحان ربي العظيم، فكـان ركوعـه نحـواً من قيامـه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قـام طـويلاً قريبـاً ممـا ركـع، ثم سـجد فقـال: سـبحان ربي الأعلى، فكـان سـجوده قريبـاً من قيامه(1).

[الحديث: 370] وعن عبد الله بن مسعود، قال: صليّت مع النبي ﷺ ذات ليلة فلم يزل قائمـاً حـتى هممت بـأمر سـوءٍ.

(1) رواه مسلم (2/186)

قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه(1).

[الحديث: 371] وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً)(2)؟

وهكذا كان ﷺ في جميع الشعائر التعبدية، فقد كان ــ وفي تلك الصحراء شديدة الحر، ومع كل تلك الجهود العظيمة التي تنوء بها الجبال ـ يقضي معظم أيامه صائما، وفوق ذلك، وبعد أن يفطر الناس لا يسارع إلى الإفطار إذا حل وقته كما يسارع الناس، بل كان يواصل.. أي يصل في صومه ليله بنهاره.

[الحديث: 372]ـ ففي الحديث عن أنس عن النبي ﷺ قال: واصل رسول الله ﷺ في آخر شهر رمضان، فواصل ناس من المسلمين، فبلغه ذلك، فقال: لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم، إنكم لستم مثلي ــ أو قال: لست مثلكم ـ إني أظل يطعمني ربي ويسقيني)، وفي رواية: (لا تواصلوا)، قالوا: إنك تواصل، قال:(لست كأحد منكم، إني أطعم وأسقى، أو إني أبيت أطعم وأسقى)(3)

ثالثا ـ الأحاديث المتناقضة مع الحصانة:

وهي أحاديث لا تتعارض فقط مع ما ورد في القرآن الكريم من حماية الله تعالى لنبيه ﷺ وتحصينه من كل أذى حتى يؤدي رسالته كاملة، وإنما تتعارض أيضا مع وظيفة البلاغ التي كُلف بها، ذلك أنها تذكر إمكانية تسلط الشياطين والسحرة على رسول الله ﷺ، وأن الوحي الإلهي، أو البيان النبوي، كلاهما عرضة للسحرة والشياطين.

وكل ذلك يتنافى مع ما ورد في الآيات التي لا تكتفي بالإخبار عن حماية الله تعالى لنبيه ﷺ، وإنما تعتبر ذلك من سنن الله تعالى مع أنبيائه جميعا حتى يمكنهم أداء وظائفهم كاملة من دون أن تؤثر فيها أي جهة من الجهات.

وهذا لا يعني عدم تعرض الأنبياء للأذى؛ فهم يتعرضون لذلك كسائر الناس، ولكن فرق كبير بين الأذى الحسي المحدود، والذي يكتفي بظاهر الجسد، وبين الأذى الذي يتسلل

1() رواه البخاري (1/486)، ومسلم (2/135)
2() رواه البخاري (2/63)، ومسلم (8/141)
3() رواه البخاري (9/106)، ومسلم (3/134)

إلى النفس والعقل؛ فيؤثر فيها تأثيرا بليغا.

ولهذا ذكر الله تعالى حصانة رسول الله ﷺ من هذه النواحي، حتى لا يتهم أحد من الناس الوحي الإلهي، أو البيان النبوي، بأنه كان عرضة لأمثال تلك الاقتحامات.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في بيان عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ، وأنه لو كاده الإنس والجن، فلن يستطيعوا أن يفعلوا له شيئا، كما قال تعالى مقررا ذلك: ﴿أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67]

ومثله ما أخبر به عن أن كيد كل أعدائه ﷺ سيرتد عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: 15 - 17]

ولذلك اكتفى أعداؤه ﷺ بالسخرية والاستهزاء، وكل أسلحة الضعفاء، ومع ذلك، فقد كفاه الله شأنهم، فسرعان ما ارتدت سخريتهم واستهزاؤهم عليهم، كما نص على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)﴾[الحجر: 95، 96]

وهذه سنة الله مع عباده المخلَصين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ([الأنعام: 10،ـ 11]، وقال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام:10)

وبناء على هذا؛ فإن كل الأحاديث التي تتعارض مع تحصين الله تعالى لنبيه ﷺ أحاديث مردودة، وبالقرآن الكريم، وسنذكر هنا نموذجين خطيرين عن هذا النوع من التناقض، أحدهما يتعلق بتسلط الشياطين، والثاني بتسلط السحرة.

1 ـ الأحاديث الدالة على تسلط الشياطين على النبوة:

وهي تتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم من أنه لا سلطان للشيطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)﴾ [النحل: 98 - 100]

بل يذكر القرآن الكريم على لسان الشيطان نفسه أنه لا يستطيع أن يقترب مجرد الاقتراب من عباد الله المخلصين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [إبراهيم: 22]

فإذا كان الشيطان لا يستطيع أن يفعل شيئا مع هؤلاء، فكيف يستطيع أن يقترب من رسول الله ﷺ؟

وإذا كان الشيطان لا يستطيع أن يقترب من بسطاء الناس وعوامهم عند ذكرهم لله؛ فكيف يستطيع التسلط على رسول الله ﷺ.. وهل كان رسول الله ﷺ يغفل عن ذكر الله طرفة عين؟

وهل كان أولئك المخلصين من الصديقين والأنبياء والصالحين أعظم مكانة من رسول الله ﷺ حيث استطاعوا الانفلات منه في نفس الوقت الذي تذكر الروايات تسلط الشيطان عليه ﷺ؟

ومن الروايات الواردة في هذا ما يُعرف بحادثة شق الصدر، والتي وردت فيها الروايات الكثيرة، والتي تدل ــ كما يذكر الشراح ـ على تعددها، وأن رسول الله ﷺ كان يحتاج كل حين إلى شق صدره حتى يخرج نصيب الشيطان.

ومن تلك الروايات ما رُوي عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يلعب مع الصبيان، فأتاه آت، فأخذه فشق بطنه، فاستخرج منه علقة، فرمى بها، وقال: هذه نصيب الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب، من ماء زمزم، ثم لأمه، فأقبل الصبيان إلى ظئره: قتل محمد، قتل محمد، فاستقبلت رسول الله ﷺ وقد انتقع لونه. قال أنس: فلقد كنا نرى أثر المخيط في صدره)[1]

وهذا هو المحل الأول للشق، أما المحل الثاني، فرواه قتادة عن أنس في حديث الإسراء والمعراج وفيه: (فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم مليء حكمة

---

[1] () رواه مسلم، رقم (162)

وإيمانا... الحديث)[1]

وهناك محل ثالث رواه أبو نعيم الأصبهاني، وذكر أنه عند البعثة، وأيده ابن حجر حيث قال: (بل ثلاث مرات، فقد ثبت أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ولكل حكمة)[2]

ثم بين الحكم المرتبطة بكل حادثة، فذكر أن الأول كان في زمن الطفولة، لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم عند الاسراء ليتأهب للمناجاة.

ومن الروايات الواردة في هذا، والتي توضح حقيقة ما جرى ببعض التفصيل ما روي عن أبي هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ فقال: (إذ سألتني إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم فأخذاني فلصقاني بحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان جبريل يختلف بالماء في طست من ذهب وكان ميكائيل يغسل جوفي فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال: اشقق قلبه فشق قلبي فقال: أخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذه ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة في قلبه فأدخل شيئا كهيئة الفضة، ثم أخرج ذرورا كان معه، فذر عليه، ثم نقر إبهامي، ثم قال: اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي على الصغير ورقتي على الكبير)[3]

وهذا الحديث عجيب، ومتناقض تماما مع سنة الله تعالى في اختبار عباده؛ فإذا كان الغل والحسد والقسوة والغلظة مرتبطين بخلايا أو أنسجة موجودة في الجسم، فلم لا يريح الله عباده منها بإتاحة مثل هذه العمليات لهم؟

فإن قيل: إن التكليف والابتلاء يستلزمان وجود كل ذلك؛ فكيف خُص رسول الله ﷺ بذلك دون سائر الناس؟ وكيف اعتبره القرآن الكريم رسول الله ﷺ صاحب خلق عظيم مع أن

1() رواه البخاري 6 / 217 - 219، ومسلم، رقم (164)

2() فتح الباري لابن حجر (7/ 204)

3() دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 220)

الخلق العظيم الذي حصل له لم يبـذل فيـه أي جهـد، ولم يعـان في سبيل تحصيله أي عناء، بل الفضل للملائكة الذين طهــروره من تلـك الأدواء، ووضـعوا بـدلها الرأفـة والرحمـة كمـا ورد في الرواية.

وإذا كـان الأمـر كمـا قـالوا، فلم ورد في القـرآن الكـريم التهديدات الشـديدة لرسـول اللـه ﷺ إن لم يلـتزم بـأوامر اللـه مثله مثل سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَـوْ تَقَـوَّلَ عَلَيْنَـا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْـوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)﴾ [الحاقة: 44 - 47]

وإذا كان الأمر كمـا قـالوا، فلم كـان رسـول اللـه ﷺ أشـد الناس خشية لله، ففي الحديث قال ﷺ: (ما بال أقوام يتـنزهون عن الشئ أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله تعالى، وأشدهم لـه خشية)[1].. أم أن تلك الخشية أيضا قـد غرسـت في صـدره ﷺ مع ما غرس من الرأفة والرحمة؟

نطـرح هـذه الأسـئلة وغيرهـا، ونحن نتـألم ألمـا شـديدا أن يتعرض رسول الله ﷺ لمثل هذه الإهانات، وهذا التحقـير، بحيث يصـبح مغلوبـا على أمـره، لـولا أن ينقـذه اللـه بـإخراج حـظ الشيطان منه..

ولم يكتـف الـرواة بـذلك التـدليس الخطـير، وإنمـا راحـوا يذكرون أنه ـ مع تلك العمليات التي تعـرض لهـا لإخـراج نصـيب الشيطان منه ـ إلا أن الشيطان كان يتسلط عليه؛ فقـد رووا أن النـبي ﷺ قـال: (إن جبريـل أتـاني، فقـال: إن عفريتـا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي)[2]

ورووا أن رسول الله ﷺ قال: (لقد أتاني شيطان فنازعني، ثم نازعني، فأخذت بحلقـه، فوالـذي بعثـني بـالحق، مـا أرسـلته حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولـولا دعـوة سـليمان لأصـبح طريحا في المسجد)[3]

ورووا أن رسول الله ﷺ قال: (دخلتُ الـبيتَ فـإذا شـيطانٌ خلف البابِ فخنقتـه حـتى وجـدتُ بـرد لسـانه على يـدي، فلـولا دعوةُ العبدِ الصـالحِ لأصـبحَ مربوطًـا يـراه النـاسُ)، وفي روايـة:

1() رواه مسلم (2356) (128)

2() ذكره ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان عن الحسن مرسلا (ص 88 89، رقم 67، وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (1/182)

3() رواه الدارقطنى (1/365)، والطبرانى (2/251، رقم 2053)

(وأيم الله لولا ما سبق إليه أخى سليمان لارتبط إلى سارية من سوارى المسجد حتى يطيف به ولدان أهل المدينة)(1)

ولم يكتفوا بهذا، بل ذهبوا إلى أبعـد من ذلـك حين رووا أن الشيطان استطاع بقدراته الخارقـة أن يخـترق رسـول اللـه ﷺ، وهو يقرأ كلام ربه، ليجعل رسول الله ﷺ ينطق بكلام الشـيطان بدل كلام ربه.. ولست أدري كيف أطاق ذلك مع أن اللـه تعـالى يـذكر في القـرآن الكـريم أن سـلطان الشـيطان الوحيـد على الإنسان قاصر على الوسوسة.

والرواية التي تذكر هـذا هي الـتي تسـمى قصـة الغرانيـق، وهي التي تلقفها المستشرقون والمبشـرون وبنـوا عليهـا جـدرا من الأباطيل، والعيب ليس فيهم، ولكن العيب فيمن يـدعي أنـه ينتمي لرسول الله ﷺ، ثم يقبل مثـل تلـك الروايـة أو يرويهـا أو يحاول كل جهده أن ينتصر لها، كما فعـل ابن تيميـة في مواضـع كثيرة من كتبه، بطرق مختلفة.

وقبل أن نذكر كلام ابن تيمية في المسـألة، والـذي تلقفـه تلاميذه كالقرآن الموحى، نذكر الرواية، فعن أبي العاليـة، قـال: قـالت قـريش لرسـول اللـه ﷺ: إنمـا جلسـاؤك عبـد بـني فلان ومولى بني فلان، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك، فإنـه يأتيـك أشراف العرب فـإذا رأوا جلسـاءك أشـراف قومـك كـان أرغب لهم فيك، قال: فألقى الشيطان في أمنيته، فـنزلت هـذه الآيـة: (أفـرأيتم اللات والعـزى ومنـاة الثالثـة الأخـرى) قـال: فـأجرى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وشـفاعتهن تـرجى، مثلهن لا ينسـى؛ قـال: فسـجد النـبي حين قرأهـا، وسـجد معـه المسلمون والمشركون؛ فلما علم الذي أجرى على لسانه، كبر ذلك عليه، فأنزل اللـه: ﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِـكَ مِنْ رَسُـولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَـا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52](2)

وكعادة ابن تيمية في مثل هذه المسائل فإنه يبـدأها عـادة بتهوينهـا، وذكـر الخلاف فيهـا، ثم ببيـان أن السـلف الـذين هم المتحدث الرسمي باسم الدين يرون رأيـا معينـا، ثم يجتهـد في الانتصـار لهم، ثم يختم ذلـك بتبـديع وتضـليل من خـالفهم، وقـد يذكر ذلك التبديع والتضيل في المحل نفسه، وقد يؤجلـه لمحـل

(1) رواه الدارقطنى (1/365)، والطبرانى (2/251، رقم 2053)
(2) تفسير الطبري (18/ 664)

آخر..

فمن أقواله في ذلك: (النبي هو المنبئ عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين.. ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ هذا فيه قولان: والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك.. والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى)، وقالوا: إن هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت: قال هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضا، وقالوا في قوله: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52] هو حديث النفس، وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلا ثابتا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه.. فقالوا الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير، والحديث، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها، وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهرا يسمعه الناس لا باطنا في النفس والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ)(1)

وقال: (وما جرى في (سورة النجم). من قوله تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله)(2)

وقد وافقه على هذا أكثر سلفية العصر، فقد قال سليمان آل شيخ في تيسير العزيز الحميد عن قصة الغرانيق: (وهي قصة مشهورة صحيحة رويت عن ابن عباس من طرق بعضها صحيح ورويت عن جماعة من التابعين بأسانيد صحيحة منهم عروة وسعيد بن جبير وأبو العالية وأبو بكر بن عبدالرحمن وعكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن

(1) مجموع الفتاوى (10/ 292)
(2) منهاج السنة النبوية (2/ 409)

قيس والسدي وغيرهم وذكرها أيضا أهل السير وغيرهم وأصلها في الصحيحين والمقصود منها قوله تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فإن الغرانيق هي الملائكة على قول وعلى آخر هي الأصنام)(1)

هذه نماذج عن الأحاديث التي نرى ردها لمخالفتها للقرآن الكريم، وسنذكر نماذج أخرى عنها في المحال المناسبة لها.

2 ـ الأحاديث الدالة على تسلط السحرة على النبوة:

وهي تتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم من أنه لا سلطان للسحرة على الأنبياء، وأن دعوى كون الأنبياء سحرة، أو وقوعهم تحت تأثير السحر دعاوى أقوامهم المناوئين لهم.

وقد أشار تعالى إلى سنة أقوام الأنبياء في ذلك، فقال: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: 52]

وضرب المثل على ذلك بموسى عليه السلام، فقال: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101]، وقال: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109]

وأخبر عن رد موسى عليه السلام لتلك الدعاوى، فقال: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: 77]

وهكذا أخبر عن موقف قوم رسول الله ﷺ منه ومن الهدي الذي جاء به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف: 30]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف: 7]، وقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: 2]، وقال: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: 2]، وقال: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: 8]، وقال: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: 4]، وقال: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا

1() تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ص219.

يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47]

وغيرها من الآيات الكريمة، والتي كان الأصل أن تكون كافية في رد كل حديث مهما كان راويه أو مخرجه يتهم رسول الله ﷺ بهذه التهمة الخطيرة التي لا تمس شخصه وكماله وعناية الله تعالى الخاصة به فقط، وإنما تمس الوحي والبلاغ والبيان والوظائف العظيمة التي كُلف بها.

وللأسف إن الروايات التي تتهم رسول الله ﷺ بهذه التهمة توجد في أمهات كتب الحديث المعتمدة كالبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة والنسائي والبيهقي وغيرها، بالإضافة إلى وجودها في بعض المصادر الشيعية[1]، وهذا يرينا كيف استطاع مرضى القلوب أن يتسللوا إلى هذه الدواوين العظيمة، ليبثوا فيها سمومهم، ويشوهوا من خلالها جمال الدين، وجمال رسوله ﷺ.

ونص الحديث كما ـ في صحيح البخاري في كتاب الطب عن عائشة ـ قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زُريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: (يا عائشة أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟)، قلت وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: (أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجعُ الرجل، فقال: مطبوب (أي مسحور)، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط ومُشاطة [أي الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما)، وجُفَّ طلعة ذكر [أي على الغشاء الذي يكون على الطلع]، قال: أين هو؟ قال: في بئر ذي أروان، فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها، وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: (والله لكأن ماءها

---

[1] () ومنها: تفسير فرات الكوفي، ص 621، والتبيان، 1/435، وتفسير الصافي: 5/357، وهي بنفس الصيغ الواردة في الكتب السنية، وربما تكون مأخوذة منها، ولهذا نرى علماء الشيعة يتفقون على البراءة منها، وردها، واعتبارها من روايات غيرهم التي نقلت إليهم، كما عبر عن ذلك المجلسي بقوله: (لكن لما عرفت أن السحر يندفع بالعوذ والآيات والتوكل وهم عليهم السلام معادن جميع ذلك فتأثيره فيهم مستبعد والأخبار الواردة في ذلك أكثرها عامية أو ضعيفة ومعارضة بمثلها فيشكل التعويل عليها في إثبات مثل ذلك) (بحار الأنوار (63/ 41))

نُقاعةُ الجفَّاء ولكأن نخلها رؤوس الشـياطين)، قلت: يـا رسـول الله أفأخرجتـه؟ قـال: (لا، أمـا أنـا فقـد عافـاني اللـه وشـفاني، وخشيت أن أثُوَر على الناس منه شراً)، وأمر بها فدفنت البئر(1).

وفي رواية أخـرى عن زيـد بن أرقم قـال: سـحر النـبي ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشـتكى لـذلك أيامـاً فأتـاه جبريـل فقـال: إن رجلا من اليهـود سـحرك، عقـد لـك عُقـداً في بـئر كـذا وكـذا، فأرسل رسول الله ﷺ فاستخرجها فَحلَّها، فقام رسـول اللـه ﷺ كأنما أنْشِطَ من عِقَلٍ، فما ذكر ذلك لـذلك اليهـودي ولا رآه في وجهه قط)(2).

بعد إيرادنا لهاتين الروايتين الغريبتين اللتين تشـوهت بهمـا كتب السـنة، نحب أن نناقش بعض مـا فيهـا على ضـوء العقـل والنقل..

ونبدأ بالحالة نفسها، والتي صور بهـا الحـديث رسـول اللـه ﷺ.. وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله.. وهي حالـة خطيرة جدا بالنسبة لإنسان عادي، فكيـف بنـبي، فكيـف بخـاتم الأنبياء وسيدهم؟

لأن ذلك الشيء الذي يخيل إليه أنه فعله وهو لم يفعله قد يرتبط بتبليـغ الـدين، وليس في الحـديث مـا ينفي ذلـك، وبـذلك يكون جزء مهم من الدين لم يصل إلينا بسـبب أن رسـول اللـه ﷺ ـ تعالى عن ذلك علوا عظيما ـ كان قد توهم أنه بلّغه مع أنــه لم يبلغه..

وقد يجادلنا هنا مجادل، كما تعودوا، ويقول: لا.. ليس الأمر كما تظنون.. بل الأمر مرتبط بحياة رسول الله ﷺ العادية.. وهنا يأتي الجـواب القـرآني الواضـح والـدقيق والـدال على أن حيـاة رسول الله ﷺ كلها دعوة وبلاغ عن الله، قال تعـالى: ﴿مَـا ضَـلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾ [النجم: 2 - 4]

فـإن جـادلوا في الآيـة، أو أولوهـا، فليقـرؤوا مـا ورد في

---

(1)(1) رواه البخـاري رقم (5766) في الطب، بـاب السـحر، وبـاب هـل يسـتخرج السحر، وباب السحر وفي الجهاد باب هل يعفى الذمي إذا سـحر، وفي الأدب بـاب قـول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَـانِ﴾، ومسـلم رقم (2189) في السـلام، بـاب السحر، ورواه أيضاً أحمـد والنسـائي وابن سـعد والحـاكم وعبـد بن حميـد وابن مردويـه، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) وغيرهم.

(2)(2) رواه النسائي (7/113،112) في تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب.

الحـديث عن عبـد اللـه بن عمـرو قـال: كنت أكتب كـل شـيء سمعته من رسـول اللـه ﷺ، فنهتـني قـريشٌ وقـالوا: تكتب كـل شـيء ورسـول اللـه ﷺ بشـرٌ يتكلم في الغضـب والرضـا، فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلـك لرسـول اللـه ﷺ، فأومـأ بأصبعه إلى فيه، فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا)[1]

فإن جادلوا، وذكروا بأن هذا النوع من السحر انحصر أثـره في علاقة النبي الجسدية مـع أزواجـه، فكـان يخيـل إليـه أنـه يأتي نساءه من غير أن يكون ذلك حقيقة، كما رووا عن عائشـة أنها قالت: (مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي)[2]، فذلك لا يقل عجبا، لأنه يضع رسول الله ﷺ في موضع تهم خطيرة يكفي تخيلها لنفور النفس منها.. لكن هؤلاء للأسف إما أنهم لا يعرفون معنى ما يقولون، أو أن صـورة رسـول اللـه ﷺ في خيالهم لا تختلف عن صورة ذلك الذي أصيب بالهلوسـة، فصار يتخيل ما لا يكون، ويفعل ما لا يعقل.

ولم يكتف هؤلاء بهذا، بل تصوروا أن رسول اللـه ﷺ الـذي آتاه الله من القدرات الإدراكية ما ينقضي دونـه العجب لم يعلم بالسحر طول تلك المدة، حـتى جـاءه ملكـان، وأخـبراه بعـد أن تنصت ﷺ لقولهما..

ولست أدري ماذا يفعلـون بقولـه تعـالى: ﴿مَـا وَدَّعَـكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَـكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَـوْفَ يُعْطِيـكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 3 ـ 5]، وغيرهـا من الآيـات الكريمـة التي وعد الله فيها نبيه ﷺ بـألا يتخلى عنـه، وأن يعطيـه كـل مـا يرضى، وأن يبعد عنه كل ما يؤذيه.

ولست أدري كيـف غـاب عنهم تلـك الآيـات الكريمـة الـتي تـذكر مـا آتى اللـه أنبيـاءه عليهم الصـلاة والسـلام من معرفـة المغيبات، كما قال تعالى عن يوسف عليـه السـلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَـا طَعَـامٌ تُرْزَقَانِـهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَـا بِتَأْوِيلِـهِ قَبْـلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَـا ذَلِكُمَـا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37]

وقـال على لسـان المسـيح عليـه السـلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَـا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: 49]

1() رواه أبو داود (3646)، وقال العراقي في تخـريج الإحيـاء (2379): رواه الحـاكم وصححه.

2() رواه البخاري (6063)

وهكذا ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تنبئ عن قدرات الرسول ﷺ الخارقة في هذا المجال، وهي دليل على كمالاته الكثيرة، والتي هي نبع من فيض إيمانه وتقواه، والتي لأجلها حصلت له تلك العصمة والحفظ الإلهي من أن يتسلط عليه أي متسلط من الإنس أو الجن(1).

وهذا ما يوقع المدافعون عن تلك الروايات في حرج عظيم.. فكيف يخبر الله نبيه ﷺ عن كل تلك الحوادث، ويخبره مباشرة عما يكاد له، من غير حاجة إلى ملاك أو غيره.. إلا في حديث السحر.. فهل كان للسحرة من الكيد والقدرة على التخفي ما لم يستطع رسول الله ﷺ أن يطلع عليه؟

والعجيب أن هؤلاء الذين يبالغون في الدفاع عن تلك الروايات، يذكرون في كتبهم أن لهم القدرة على اكتشاف السحر من غير حاجة إلى ملائكة معصومين يخبرونهم به.. فهل يجدون لأنفسهم من الطاقات للتواصل بعالم الغيب أكثر مما كان عليه رسول الله ﷺ؟

ولهذا نجد المحققين من العلماء يردون تلك الأحاديث وأمثالها مما يشوه النبوة، ويرفع الثقة عنها، ومنهم المفسر الكبير الفخر الرازي الذي قال في تفسيره [مفاتيح الغيب] عند تفسير المعوذات في ذكر سبب نزولها وحديث سحر النبي ﷺ: (قال القاضي هذه رواية باطلة،وكيف يمكن القول بصحتها، والله تعالى يقول: ﴿ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: 67] وقال: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: 69] ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة؛ ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكلُّ ذلك باطلٌ، ولكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور. فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة، ولحصل فيه - عليه السلام - ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز)(2)

ومنهم الفقيه والمفسر الحنفي الكبير أبو بكر الجصاص الذي قال في كتابه [أحكام القرآن]: (زعموا أن النبي ﷺ سُحر، وأن السحر عمل فيه حتى أنه يتخيل أنه يفعل الشيء ولم يفعله.. وقد قال الله تعالى مكذباً للكفار فيما أدعوه من ذلك

(1) سنذكر نماذج عنها لاحقا.
(2) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ج32ص172.

للنــبي ﷺ: ﴿وَقَــالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُــونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْــحُورًا﴾ [الفرقـان: 8].. ومثـل هـذه الأخبـار من وضـع الملحـدين تلعباً بالحشـوا الطغـام واسـتجرار لهم إلى القـول بإبطـال معجـزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها)(1)

ومنهم المحـدث الكبـير جمـال الـدين القاسـمي الـذي لم يمنعه تخصصـه في علم الحـديث من إنكـار هـذا الحـديث، فقـد قال: (ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لمـا بـرهن عليـه، وإن كان مخرَّجاً في الصحاح؛ وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سـالماً من النقـد، سـنداً أو معـنى، كمـا يعرفـوه الراسـخون. على أن المناقشة في خبر الآحاد معروفة من عهد الصحابة)(2)

ومنهم الأستاذ محمد عبده الذي قال في تفسـيره لسـورة الفلق:(وقد رووا هنـا أحـاديث في أن النـبي ﷺ سـحره لبيـد بن الأعصم، وأثّر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعـل الشـيء وهو لا يفعلـه أو يـأتي شـيئًا وهـو لا يأتيـه، وأن اللـه أنبـأه بـذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي ﷺ مما كـان نـزل بـه من ذلك ونزلت هذه السورة.ولا يخفى أن تـأثير السـحر في نفسـه عليه السلام حتى يصـل بـه الأمـر إلى أن يظن أنـه يفعـل شـيئًا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبــدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العاديـة، بـل هـو ماس بالعقل، آخذ بالروح، وهو مما يصدّق قول المشركين فيه: ﴿إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحورًا﴾، وليس المسحور عنــدهم إلا من خولط في عقله، وخيّل له أن شيئًا يقع وهو لا يقع، فيخيّـل إليـه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه. وقد كان كثير من المقلّدين الـذين لا يعقلون ما هي النبوة وما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصـديق بـه من بـدع المبتـدعين، لأنـه ضـرب من إنكـار السـحر، وقـد جـاء القرآن بصحة السحر. فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح، والحق الصـريح في نظـر المقلّـد بدعـة، نعـوذ باللـه، يحتج على ثبـوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنـه ﷺ وعـدّه من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه ولا يـؤول في تلـك، مـع أن الــذي قصـده المشــركون ظــاهر لأنّهم كــانوا يقولــون: إن الشــيطان يلابســه عليــه الســلام، وملابســة الشــيطان تعــرف

(1) أحكام القرآن: (1: 49)
(2) محاسن التأويل (9/ 577)

بالسحر عندهم وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم)[1]

رابعا ـ الأحاديث المتناقضة مع العصمة:

وهي الأحاديث التي تتناقض مع النبوة باعتبارها مصدر هداية لا يتدنس بأي خطأ أو خطيئة، ولذلك أمرنا الله تعالى بأن نلتزم كل شيء من رسول الله ﷺ التزاما مطلقا، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21]

وورد في السنة النبوية المطهرة توضيح هذه الحقيقة العظيمة، إلى الدرجة التي عُرف فيها رسول الله ﷺ بأنه القرآن الكريم.. وليس هناك من فرق بينهما إلا أن أحدهما صامت والآخر ناطق.

وكما أن القرآن الكريم محفوظ من التحريف، ومحفوظ من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك رسول الله ﷺ محفوظ ومعصوم عصمة مطلقة، فلا يصدر عنه إلا الكمال المحض.

وسنتناول هنا بالنقد بعض ما دُس في السنة المطهرة سواء ما تعلق منه بالعصمة العلمية عن الخطأ، أو العصمة السلوكية عن الخطيئة.

1 ـ الأحاديث المتناقضة مع العصمة العلمية:

وهي الأحاديث التي تتجاهل كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة المقبولة من تعليم الله لنبيه ﷺ من عجائب العلوم وغرائبها مما لا يطيقه عقل الإنسان، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]

بل يشير إليه كل ما ورد التنويه به من علوم الأنبياء عليهم السلام، ذلك أن رسول الله ﷺ ـ كما صرح بذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة ـ هو سيد الأنبياء وأعلمهم.

ولذلك فإن ما ورد في شأن آدم عليه السلام، وتعليمه أسماء كل شيء، ينطبق بالدرجة الأولى على رسول الله ﷺ.. ذلك أن تلك الآيات الكريمة تشير إلى العلوم التي تقتضيها الخلافة عن الله، وهي علوم كثيرة جدا إلى الدرجة التي سماها الله تعالى [الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا]، بل إلى الدرجة التي عجزت الملائكة

---

[1] مجلة المنار (33/ 33)

عليهم السلام أن يعرفوها.. وهم من هم.. فإذا كان هـذا عظمـة العلم الـذي لقن لآدم عليـه السـلام، فكيـف بـالعلم الـذي لقن لرسول اللهﷺ؟

ويشير إلى هذا أيضا قولـه تعـالى: ﴿قَـالَ الَّذِي عِنْـدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُـكَ﴾ [النمـل: 40] فإذا كان هذا علم صـاحب من أصحاب سـليمان عليـه السـلام، وهو علم مرتبط ببعض الكتاب، فكيف بعلم رسول الله ﷺ، وهو علم بكل الكتاب؟

وهكـذا نجـد في السـنة المطهـرة المقبولـة الكثـير من الأحـاديث الدالـة على رسـوخه ﷺ في العلم، بـل كونـه سـيد الراسخين فيه، وكيـف لا يكـون كـذلك، وتلمذتـه للعلم من اللـه مباشرة؛ فلا يشاء أن يعرف شيئا إلا عرفه.

ومن تلك الأحاديث:

[الحديث: 373]ـ قوله ﷺ ـ مخبرا عن نفسـه والطاقـات الإدراكية التي وهبها الله له ليتعلم حقـائق الأشـياء ــ: (إنِّي أرى ما لا ترَون، وأسمع ما لا تسمعون، إنَّ السـماء أطت، وحـقَّ لهـا أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته سـاجدًا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثـيرًا، ومـا تلذَّذتم بالنساء على الفـرش، ولخـرجتم إلى الصـعدات تجـأرون إلى الله)[1]

وهذا الحديث يذكرنا بقولـه تعـالى في حـق إبـراهيم عليـه السـلام: ﴿ وَكَـذَلِكَ نُـرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 75]

وهـو يـدل على أن علـوم الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام علوم رؤيـة ومشـاهدة، وليسـت علـوم تلقين.. لـذلك لا يعتريهـا الخطأ، ولا يصيبها الوهم، ولا يدركها القصور.

[الحديث: 374]ـ وهو ما ذكـره أبـو ذر عن بعض العلـوم التي كان رسول اللهﷺ يحدثهم عنهـا، فقـد قـال: (ولقـد تَرَكَنـا رسول الله ﷺ وما يُقَلِّب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكرنا منه عِلمًا)[2]

[الحديث: 375]ـ وهو قول أبي زيد الأنصاري: (صلى بنـا

---

[1] رواه الترمذي بـرقم (2312) وقـال: حـديث حسـن غـريب. وابن ماجـه بـرقم (4190) . ورواه الإمام أحمد (5/ 173) والحاكم في المستدرك (2/ 510)

[2] تفسير عبد الرزاق 1/200) وتفسير الطبري (11/348)

رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى العصر، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غابت الشمس، فحدثنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا)[1]

[الحديث: 376]ـ وهو قول حذيفة: (قام فينا رسول الله ﷺ قائما، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون الشيء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه)[2]

[الحديث: 377]ـ وهو ما ورد من الروايات الكثيرة التي تدل على إعلام الله تعالى لرسول الله ﷺ بالكثير من المغيبات، ومنها ما روي أن رجلا جاء لرسول الله ﷺ، فقال: من أنت؟ قال:(أنا نبي)، قال: وما نبي؟ قال:(رسول الله)، قال: متى تقوم الساعة؟ قال:(غيب ولا يعلم الغيب الا الله)، قال: أرني سيفك، فأعطاه النبي ﷺ سيفه، فهزه الرجل، ثم رده عليه، فقال رسول الله ﷺ:(أما انك لم تكن تستطيع ذلك الذي أردت)[3].. وفي رواية: ثم قال رسول الله ﷺ:(إن هذا أقبل، فقال: آتيه، فاسأله ثم آخذ السيف، فاقتله ثم أغمد السيف)[4]

[الحديث: 378]ـ وهو إخباره ﷺ بعض أصحابه بما حدث به نفسه من قتله ﷺ، فعن شيبة بن عثمان قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن، بحنين فعسى أن اختلطوا أن أصيب غرة من محمد فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا أتبع محمدا ما أتبعه أبدا، فكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، فدنوت منه، ورفعت سيفي حتى كدت أسوره، فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه فالتفت الي رسول الله ﷺ وقال: (ادن مني)، فدنوت فمسح صدري، وقال:(اللهم اعذه من الشيطان) فوالله لهو من حينئذ أحب الي من سمعي وبصري

1() رواه مسلم (2892)
2() رواه البخاري 11 / 433 ، ومسلم رقم (2891)
3() رواه الحاكم وصححه والطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/ 49)
4() رواه الطبراني، سبل الهدى والرشاد (10/ 49)

ونفسي، وأذهب الله ما كان بي، فقال:(يا شيبة، الذي أراد الله بك خيرا مما أردت بنفسك؟) ثم حدثني بما اضمرت في نفسي! فقلت: بأبي أشهد أن لا اله الا الله، وأنك رسول الله، استغفر لي يا رسول الله، قال:(غفر الله لك)[1]

[الحديث: 379]ـ وهو ما روي في السيرة من حديث عمير بن وهب لما جاء يريد قتل رسول الله ﷺ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ سأله: ما جاء بك يا عمير؟ فقال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ فقال ﷺ: فما بال السيف في عنقك؟ قال : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : اصدقني، ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك، فقال له ﷺ: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك)؛ قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره)[2]

وفي مقابل هذه الأحاديث المقبولة، وما يدل عليها من القرآن الكريم، نرى أحاديث أخرى تتهم رسول الله ﷺ بالجهل، ونقص الحكمة، وعدم معرفة الأشياء البسيطة التي يعرفها عامة الناس، وذلك أعظم تشويه للنبوة وكمالاتها، ومن نماذج الأحاديث.

النموذج الأول: اقتصار علم النبوة على شؤون الدنيا:

وهو ما يستدل به المهونون من شأن النبوة، والذين يقصرون علم رسول الله ﷺ على الأمور الدينية، ويستندون في ذلك إلى ذلك الحديث الخطير الذي جعلوا منه معولا هدموا به كل ما ورد في النصوص المقدسة من شمولية علم رسول الله ﷺ.

1() رواه ابن سعد وابن عساكر، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (10/ 66)
2() سيرة ابن هشام: 1/ 662.

والحديث هو ما روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وهم يلقحون النخل، فقال: (ما تصنعون؟) قالوا: كنا نصنعه، قال: (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا)، فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له فقال: (إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر)[3]

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال لهم: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)

وفي رواية: (إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، فإذا كان من أمر دينكم فإلي)

بل في رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لهم: (لو لم تفعلوا لصلح)

ولكثرة الروايات الواردة في هذا الحديث ذكر بعضهم أن الحادثة متعددة، أي أن رسول الله ﷺ مر على ناس متعددين، وأخبرهم بأن التأبير لا منفعة فيه.. ثم تبين للجميع أن أخذهم بنصيحة رسول الله ﷺ أضرت بهم.. وحينذاك بين لهم رسول الله ﷺ أن غرضه من ذلك أن يذكر لهم أنهم أعلم بأمور دنياهم.. وأنهم لا ينبغي أن يأخذوا منه كل شيء.

والعجيب بعد ذلك كله أن يكون ذلك في أول مقدمه ﷺ للمدينة المنورة، وبذلك تكون أول نصيحة قدمها رسول الله ﷺ للفلاحين نصيحة أضرت بهم، وبمنتوجهم الذي يعتمدون عليه في حياتهم.

ولست أدري كيف لم تمرر هذه الرواية على عقول المحدثين الذين زجوا بها في كتبهم، وكأنها حقيقة مقررة..

ولست أدري لم لم يعرضوها على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4]؟

ثم بعد هذا: هل يمكن لأي عاقل أن يتلاعب بأرزاق الذين يثقون فيه من أجل أن يقول لهم: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) مع أنه كان يمكن أن يقولها لهم من غير أن يكلفهم شيئا؟

ولم تقف هذه الرواية عند المحدثين، بل انتقلت إلى كثير من الباحثين الذين صارت لهم جرأة بسببها على جميع أقوال رسول الله ﷺ.. حتى صار أي صعلوك يقرأ حرفا من العلم يذهب إلى كتب الحديث، ثم يقرر بكل بساطة أن رسول الله ﷺ أخطأ في وصفه لتلك الوصفة، أو في ذكره لتلك القضية.

3() رواه مسلم، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (12/ 7)

وكمثال على ذلك الموقف من الأحاديث التي وردت في بعض المسائل الطبية، وهو موقف كان يمكن قبوله لو بني على التشكيك في صحة الحديث من حيث الثبوت.. لكن المشكلة أن هؤلاء المشككين لم يتجرؤوا على ذلك مخافة أن يرميهم الناس بالبدعة.. فراحوا يشككون في صحة ما ذكره رسول الله ﷺ نفسه.. وكأن وثاقة المحدثين والرواة عندهم أعظم من وثاقة رسول الله ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك هذا النص الذي كتبه بعض المعاصرين، وتلقاه الكثير من أبناء السنة المذهبية بترحيب كبير، يقول فيه: (لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ.. وليس في ذلك حطٌّ من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به؛ لأن منصب النبوة مُنصب على العلم بالأمور الدينية: من الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومن الأمور الشرعية. أما إن اعتقد دواء معينا يشفي من مرض معين، فإذا هو لا يشفي منه، أو أن تدبيرا زراعيا أو تجاريا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هو لا يؤدي إليه، أو يؤدي إلى عكسه، أو أن تدبيرا عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، أو يدفع ضررا معينا، فإذا هو لا يفعل، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة، بل هو يعتقده من حيث هو إنسان، له تجاربه الشخصية، وتأثراته بما سبق من الحوادث، وما سمع أو رأى من غيره؛ مما أدى إلى نتائج معينة. فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن أو اعتقد)[1]

وليت الأمر اقتصر على هؤلاء المعاصرين، بل تعداه إلى بعض السابقين الذين خيل لهم أن رسول الله ﷺ قد يقول ما لا حقيقة واقعية له.

ومن أمثلة هؤلاء ابن خلدون الذي تجرأ فقال: (الطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه ﷺ إنما بعث

1() انظر ملفا بعنوان (الطب النبوي. رؤى نقدية أحاديث "الطب النبوي). هل يُحتج بها) على إسلام أن لاين وغيره من المواقع.

ليعلمنـــا الشـــرائع، ولم يُبعث لتعريـــف الطب ولا غـــيره من العاديات. وقد وقـع لـه في شـأن تلقيح النخـل مـا وقـع، فقـال: (أنتم أعلم بـأمور دنيـاكم...)؛ فلا ينبغي أن يُحمـل شـيء من الطب الـذي وقـع في الأحـاديث المنقولـة على أنـه مشـروع، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إذا اسـتعمل على جهـة التـبرك وصدق القصد الإيماني، فيكون له أثر عظيم النفـع، وليس ذلـك في الطب المزاجي)[1]

ومثله قال القاضي عياض: (أما أحواله ﷺ في أمور الـدنيا؛ فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل؛ أمـا العقد منها، فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجـه ويظهـر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمـور الشـرع - ثم ذكر حديث تأبير النخل - ثم قال: وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا مـا قالـه من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسـنة سـنها.. فمثـل هـذا وأشـباهه من أمـور الـدنيا الـتي لا مـدخل فيهـا لعلم ديانـة، ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلهـا همـه وشـغل نفسـه بهـا، والنـبي ﷺ مشـحون القلب بمعرفـة الربوبيـة، ملآن الجـوانح بعلـوم الشـريعة، مقيـد البـال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية)[2]

ومن الأمثلة على تلك الجرأة على رسول الله ﷺ مـا كتبـه بعضهم حول النصوص الكثيرة الـتي يحث فيهـا رسـول اللـه ﷺ على اسـتعمال السـواك، فقـد قـال بعـد إيـراده لهـا، واعترافـه بصـحتها: (إن ظـاهر الحـديث هـو الأمـر بالسـواك، أمـا مقصـد الحـديث فهـو نظافـة الفم، ولمـا كـان السـواك هـو الوسـيلة المسـتخدمة في نظافـة الفم والأسـنان في ذلـك الزمـان فـإن الرسول ﷺ أمر باستخدامه، ولكن السـؤال المطـروح الآن هـو: إذا ما توفرت وسيلة عصرية لنظافة الفم والأسـنان أفضـل من السـواك أليس من الأفضـل الاسـتغناء بهـذه الوسـيلة عن السواك؟. ولقد حاول كثـير من أدعيـاء الطب النبـوي إثبـات أن السـواك أفضـل من معـاجين الأسـنان والفرشـاة، ولكن دون جدوى حيث انصرف أغلب الناس إلى المعجون والفرشاة، ولما

1() المقدمة: ص493.

2() الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 2 /183- 185.

يئس أدعياء الطب النبوي من إقناع الناس بالأخذ بظاهر الحديث استحدثوا معاجين أسنان من خلاصة السواك. وحتى هذه المعاجين لم يكتب لها النجاح أيضًا، وبقيت الفرشاة والمعاجين التقليدية أكثر فاعلية وأكثر انتشارًا في نظافة الفم والأسنان، بالإضافة إلى أن الفرشاة سهلة التنظيف والحفظ، كما أن المعاجين المطروحة للاستخدام تُصنع بطريقة علمية وصحية سليمة، وتضاف إليها مواد لمقاومة التسوس ونخر الأسنان. ولقد ثبت أن الاعتماد على السواك دون الفرشاة والمعجون هو واحد من الأسباب الرئيسية لتفشي ظاهرة تسوس الأسنان في بعض المجتمعات الإسلامية، كما أنه قد يكون وسيلة لنقل العدوى والأمراض حيث يصعب تنظيفه وحفظه. وإذا استحدثت مستقبلاً طريقة لنظافة الفم والأسنان أفضل من الفرشاة والمعجون فلا مانع من ترك الفرشاة والمعجون إلى هذه الطريقة)[1]

وهذا كلام خطير، وناتج عن جهل ودعوى أيضا.. لأن رسول الله ﷺ كان في إمكانه أن يأمر بتنظيف الفم من دون ذكر الوسيلة المرتبطة بذلك.. وذكره للوسيلة، بل ربطها ببعض الشعائر التعبدية يدل على أن الوسيلة في ذاتها مطلوبة، وأن لها تأثيرها الذي لاشك فيه.

ونحن نوقن أن الأمة لو التزمت بهذه السنة في كل محل، وبعد كل أكل، كما كان يفعل رسول الله ﷺ لما احتاجت إلى طب أسنان.. ولذلك فإن تلك الدعوى بأن الذين التزموا بسنة رسول الله ﷺ في السواك لم تنفعهم تلك السنة جرأة كبيرة على رسول الله ﷺ.

النموذج الثاني: لعن من لا يستحق اللعن:

وهو لا يتعلق بالقدح في العصمة العلمية فقط، بل يتعلق بالعصمة السلوكية والعملية أيضا، ذلك أنه يصور رسول الله ﷺ بصورة المزاجي المنفعل الذي يسارع إلى اللعن والإساءة لكل من اختلف معه، ولو في شؤون دنيوية بسيطة، ثم يطلب من الله تعالى بعد ذلك أن يستبدل تلك اللعنات التي صبها على ذلك الذي اختلف معه، ويحولها إلى رحمات.

وذلك الحديث هو ما يروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

1() انظر مقالا بعنوان (الطب النبوي. رؤى نقدية) على موقع إسلام أون لاين، مع العلم أن الموقع تتبناه تيارات الإسلام السياسي.

(اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)[1]

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة: (اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته؛ شتمته لعنته جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة)[2]

ومثله ما يروونه عن أنس قال: كانت عند أم سليم يتيمةٌ فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال: (آنت هيه، لقد كبرت لا كبر سنك)، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية ! قالت الجارية: دعا علي نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبر سني أبدا، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما لك يا أم سليم؟!)، فقالت: يا نبي الله ! أدعوت على يتيمتي؟، قال: (وما ذاك يا أم سليم؟!)، قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: (يا أم سليم ! أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت: (إنما أنا بشرٌ أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة)[3]

وهم يستدلون بهذا الحديث على علم رسول الله ﷺ المحدود، وأنه عرضة للاجتهاد الخاطئ، وأنه لا يكتفي بأن ينطق عن الهوى، وإنما يلعن ويسب ويضرب على الهوى، كما ذكر ذلك الألباني، فقال: (قد يبادر بعض ذوي الأهواء أو العواطف الهوجاء إلى إنكار مثل هذا الحديث بزعم تعظيم النبي ﷺ وتنزيهه عن النطق به، ولا مجال إلى مثل هذا الإنكار فإن الحديث صحيح، بل هو عندنا متواتر، فقد رواه مسلم من حديث عائشة، وأم سلمة كما ذكرنا، ومن حديث أبي هريرة وجابر، وورد من حديث سلمان، وأنس، وسمرة، وأبي الطفيل، وأبي

1() رواه البخاري (6361) واللفظ له، ومسلم (2601)

2() مسلم (4/ 2008، رقم 2601) واللفظ له، وابن حبان (14/ 446، رقم 6516)، والبيهقي (7/ 61، رقم 13158)

3() رواه مسلم (4/ـ 2008، رقم 2601) واللفظ له، ورواه أحمد (2/ـ 493، رقم 10408)

سعيد وغيرهم[1]، وتعظيم النبي ﷺ تعظيما مشروعا إنما يكون بالإيمان بكل ما جاء عنه ﷺ صحيحا ثابتا، وبذلك يجتمع الإيمان به ﷺ عبدا ورسولا دون إفراط ولا تفريط، فهو ﷺ بشر بشهادة الكتاب والسنة، ولكنه سيد البشر وأفضلهم إطلاقا بنص الأحاديث الصحيحة)[2]

وقال آخر: (في هذا الحديث رد على أهل الغلو في حق النبي ﷺ، فقد بين أنه بشر يغضب كما يغضب البشر، وإن كان أعلم الخلق بالله، وأتقاهم لله، وأبعدهم عن كل سوء وخطأ، إلا أنه ليس معصوما من الخطأ في اجتهاده، وليس معصوما من مثل ذلك الذي يصدر منه على وجه الندرة، بوصفه بشرا؛ لكنه ﷺ معصوم من أن يقر على اجتهاد أخطأ فيه، بل ينزل عليه الوحي بتصحيح ما أخطأ فيه، ثم إن ما صدر منه في حال غضبه، وتعلق به حق غيره من البشر، من مثل ذلك السب واللعن، هذا الذي صدر منه: مأمون العاقبة، إذا كان قد صدر في حق من ليس أهلا، بما وعده الله في هذه الأحاديث، أن يجعل ذلك له زكاة وأجرا وقربة من الله يوم القيامة)[3]

وقال: (والأقرب إلى ظاهر النصوص: أن ذلك اللعن، أو السب، أو الجلد والضرب، المذكور في هذه النصوص: قد صدر في حق من ليس أهلا له، إما باجتهاد منه ﷺ، وحكم على ظاهر الشخص، وهو في باطن الأمر غير مستحق لذلك، لكن النبي ﷺ، بما أنه بشر: لا يعلم الغيب، وإما بحكم غلبة الطباع البشرية، فيغضب ـ في هذه الحال ـ على من لا يستحق غضبه وسبه، ولأجل ذلك اقترنت هذه النصوص بقوله ﷺ: (إنما أنا بشر)؛ غير أن ذلك مأمون العاقبة منه ﷺ، فلا يتحقق مقتضى اللعن والسب فيمن ليس أهلا له، بل وعد الله نبيه أن يكون الأمر بعكس ذلك، فيكون له كفارة وقربة من الله، ولا يبقى لهذا الشخص مظلمة ولا حق عند النبي ﷺ، بل ربما كانت نعمة في حقه، أن ينال تلك الدرجة والكفارة)

وهكذا نرى كيف جر هذا الحديث الخطير برواياته المختلفة إلى هذه الصورة المشوهة لرسول الله ﷺ، والمتنافية تماما مع

1() انظر كنز العمال (2 / 124)

2() السلسلة الصحيحة (رقم/84)

3() الشيخ محمد صالح المنجد في مقال له بعنوان: دعاء النبي ﷺ بالرحمة لمن يسبه، موقع الإسلام سؤال جواب.

تلك الصورة الجميلة التي صوره بها القرآن الكريم، وصورته بها الأحاديث المقبولة الكثيرة، وهو دليل على نجاح المندسين والمدسلين فيما كانوا يرمون إليه، ذلك أنه يكفي حديث واحد ليحطم كل ما وصف به رسول الله ﷺ من رحمة ولين وعطف وحلم.

وعندما نبحث في سبب كل ذلك التشويه نجده مرتبطا بتلك الدعوات التي دعا بها رسول الله ﷺ بها على معاوية ومن هو من صنوه من المغيرين والمبدلين إلى رحمة وكفارة وقربة.

والدليل على ذلك أن كل أصحاب المشارب الأموية يفرحون بهذا الحديث، ويطبقونه على معاوية والأمويين الذين لعنهم رسول الله ﷺ وحذر منهم، كما سنرى أدلة ذلك في محله.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن كثير عند ترجمته لمعاوية بن أبي سفيان: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه.. أما في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أميرا، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير، وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.. وأما في الآخرة: فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة.أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)[1]

وقد أيده في قوله هذا النووي فقال: (وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له)[2]

2 ـ الأحاديث المتناقضة مع العصمة السلوكية:

وهي الأحاديث التي تتجاهل كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة المقبولة من أخلاق رسول الله ﷺ العالية، والتي لا يمكن أن يضاهيه فيها أحد، ومن النماذج على ذلك:

1() البداية والنهاية: 8/ 128.
2() المنهاج: 16/156.

[النمــوذج الأول] وهــو الحــديث المــروي في منــاقب عثمان بن عفان.. والذي أراد واضعه من خلاله أن يحبب النـاس في عثمان باعتباره من الشخصيات التي وقع حولها التنـازع بين مذاهب الأمة وطوائفها، لكنه نسي أن الذي سيضـحي بـه ليثبت به تلـك المنقبـة هـو رسـول اللـه ﷺ الـذي هـو أسـتاذ الأسـاتذة ومربي الأمة جميعا، بل هـو رسـول الرسـل، وأقـرب المقـربين إلى الله.

ونص الحديث هو ما روي عن عائشة، قـالت: كـان رسـول اللــه ﷺ مضــطجعا في بيــتي، كاشــفا عن فخذيــه، أو ســاقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن لـه، وهـو على تلـك الحـال، فتحـدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمــان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه ـ قال الراوي: ولا أقول ذلك في يوم واحد ـ فدخل فتحدث، فلما خـرج قـالت عائشـة: دخـل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبالــه، ثم دخــل عثمــان فجلســت وســويت ثيابــك، فقــال: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)(1)

وقــد تلقــف أصــحاب الســنة المذهبيــة هــذا الحــديث كمــا يتلقفون القرآن الكريم، يأبون من يتكلم فيه، ويبررون كل ذلـك بأشياء لا قيمة لها أمام قوله تعـالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُـقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]

ذلك أنهم إن قالوا: إن ما فعله رسـول اللـه ﷺ من كشـفه لفخذه لم يكن مما يستدعي الحياء، فذلك يجعلهم يتناقضون مع مـا ورد في السـنن الكثـيرة من إثبـات كـون الفخـذ عـورة(2).. وبذلك يكون كشفها حرامـا.. وبـذلك يكـون رسـول اللـه ﷺ في تصورهم قد ارتكب حراما.

فإن جادلوا، وقالوا: ومع تلك الأحاديث.. فالأرجح أن الفخذ ليس عورة.. رد عليهم بأن رسول الله ﷺ ذكر في الحديث بــأن كشـفها ليس من الحيـاء.. لأن المسـتحيي لا يتـورع عن الحـرام فقط، بل يتورع عن الشبهات، بـل حـتى عن المباحـات الـتي لا تنسجم مع ما يقتضيه الخلق الطيب.

1() رواه البخاري 8/ 65 رقم 6289. ومسلم 4/ 1929 رقم 2482.

2() ومنها ما روي عن محمد بن عبد الله بن جحش أن النبي ﷺ مر على معمر بفناء المسجد محتبيا كاشفا عن طرف فخذه فقال له النـبي ﷺ: (خمـر فخـذك يـا معمـر فـإن الفخذ عـورة)، رواه الطـبراني 19/ـ (550) و(552) و(553) و(554) و(555)، والحـاكم 3/637، والبيهقي 2/228.

فإن جادلوا ــ وهـذه عـادتهم ــ بـأن رسـول اللـه ﷺ خص بذلك عثمان.. رد عليهم بأن الخلق واحد مـع الجميـع، فلا يمكن لشخص أن يعتبر صادقا، وهو يصدق مع قوم دون قــوم.. أو في قضية دون قضية..

[**النمـوذج الثـاني**] ونص الحـديث كمـا رواه الترمـذي وصححه الألباني عن عائشة، قالت: كان رسول اللـه ﷺ جالسـا فسمعنا لغطا وصوت صبيان، فقام رسول اللـه ﷺ فـإذا حبشـية تزفن والصبيان حولها، فقال: (يا عائشة تعالي فانظري)، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول اللـه ﷺ، فجعلت أنظـر إليهـا ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: (أما شبعت، أما شبعت؟). قالت: فجعلت أقول لا لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر، قـالت: فارفض الناس عنها: قالت: فقـال رسـول اللـه ﷺ: (إني لأنظـر إلى شـــياطين الإنس والجن قـــد فـــروا من عمـــر)، قـــالت: فرجعت[1].

ومع أن تصور هذا الحديث وحده كاف للدلالة على الصورة المشوهة لرسول الله ﷺ والتي يرسـمها في النفـوس المؤمنـة به، ليحطم كل ما ورد في النصوص المقدسة من مكارم أخلاقه ﷺ.. إلا أنـا مـع ذلـك نحتـاج إلى بعض التوضـيحات الـتي ترسـم المشهد، وتقربه من القارئ المعاصر.

والصورة هي أنه كانت هناك جارية.. والظـاهر أنهـا عاقلـة بالغة.. بدا لها أن ترقص كما يرقص الحبشة في الشارع.. وأمام الناس.. وكان الصبية يلتفون حولها، وهي بتلك الحالة.. فلمحهـا رسول الله ﷺ ـ ونستغفر اللـه من هـذا ــ فأسـرع إلى عائشـة، وطلب منها أن تحضر مجلس الرقص.. وعندما حضرت وضـعت عائشة ـ بحسب الحديث ــ ذقنهـا على منكب رسـول اللـه ﷺ.. وأمام الناس.

وبعد مدة طلع عمر، فانفض الناس عن الجارية خوفا منه.. مع أنه كان رسول الله ﷺ معهم.. ومع ذلك لم يشعروا بشيء..

وليت الأمـر توقـف عنـد هـذا، إذن لأمكن أن نحتـال ببعض المبررات.. لكن المشـكلة أن هـؤلاء ذكـروا أن رسـول اللـه ﷺ عندما رأى النـاس يفـرون لحضـور عمـر قـال: (إني لأنظـر إلى شياطين الانس والجن قد فروا من عمر)

[1] رواه الترمذي (3691)

وهذا عجب عجاب.. وتصور المشهد وحده كاف لضرب كل القيم التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولن أجادل هؤلاء كثيرا.. بل أكتفي بـأن أطلب منهم فقـط أن يحيوا السنة المرتبطة بهذا المشهد.. بأن يحضروا زوجاتهم.. ثم يطلبون منهم أن يشـاهدوا عـروض الـرقص الـتي يقـوم بهـا الحبشة أو غيرهم.

فإن عز عليهم ذلـك، وخـافوا على وقـارهم، فليكتفـوا بـأن يحضروا زوجاتهم ـ وأمام الملأ من الناس ــ ويحيـوا سـنة وضـع الزوجة ذقنها على منكب زوجها كما رووا في الحديث.

فإن رأوا أن ذلك خادش لحيائهم ووقارهم ومروءتهم.. فلم جوزوا لرسول الله ﷺ ما نزهوا عنه نفوسهم.

وقد قرأت في فتاواهم الكثيرة ما يدل على حرمـة مـا هـو أقل درجة من الفعل الذي وصفوا به رسول الله ﷺ، فقـد وجـه للشـيخ محمـد الصـالح المنجـد في موقعـه [الإسـلام سـؤال وجواب] هذا السؤال: (هل يجـوز للـزوجين أن يقبض كـل منهم على يد الأخر وهم يمشون في الشارع؟)

ومع أن هذا أدنى بكثير من المشهد الذي رسـموه لرسـول اللـه ﷺ لكن مـع ذلـك كـان جـواب الشـيخ: (يجب على الرجـل وامرأته إذا سارا معـا في الشـارع أن يتحليـا بالحشـمة ويتصـفا بالوقار، وخاصة إذا كانا ملتزمين بأحكام الـدين وآداب الإسـلام، فإن الناس في العادة يتخذونهما قدوة، وينظـرون إليهمـا نظـرة تبجيل واحترام، فلا بد من مراعاة ذلك..)

هذه صورة من الصور الـتي تسـتعلي بهـا السـنة المذهبيـة على رسول الله ﷺ نفسه حين تجوز عليه من خـوارم المـروءة ما تنزه نفسها وسدنتها عنه.

وبمناسبة ذكر السدنة لو أنك قبل أن تورد الحـديث ذكـرت لهـؤلاء أنـه قـد نشـر على النت صـورة لابن بـاز أو العـثيمين أو غيرهما من المشايخ، وهو على الحالة التي صور بها رسول الله ﷺ لاشتد غضـبه، وذكـر لـك أن ذلـك كـذب، وأن ابن بـاز أو ابن العثيمين أكبر وأتقى من أن يفعلا هذا.

[**النموذج الثالث**] وهو نموذج يوغل في رفـع الحيـاء عن رسول الله ﷺ بتصويره بصورة بشعة لا يمكن أن تقبلهـا الفطـر السليمة، ومع ذلك يصححه المحدثون، ويدافعون عنـه متناسـين الأحاديث التي تعارضه.

ونص الحديث هو ما رووه عن جابر أن رسول اللـه ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تمعس منيئة لها، فقضى حاجتـه ثم خــرج إلى أصــحابه، فقــال: (إن المــرأة تقبــل في صــورة شيطان، وتدبر في صـورة شـيطان، فـإذا أبصـر أحـدكم امـرأة، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه)[1]

وفي رواية أخرى، أو حادثة أخرى عن عبد الله بن مسـعود قال: رأى رسول الله ﷺ امرأة فأعجبته، فأتى سودة وهي تصنع طيبا وعندها نسوة، فأخلينه، فقضى حاجته، ثم قال: (أيما رجـل رأى امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها)[2]

وقد دافـع عنـه ابن العـربي المـالكي مـع شـعوره بغرابتـه قائلا: (هذا حديث غريب المعني؛ لأن الذي جـرى للنـبي ﷺ كـان سرا، لم يعلمه إلا الله، ولكنه أذاعه عن نفسـه؛ تسـلية للخلـق، وتعليما لهم، وقد كان آدميا ذا شهوة، ولكنـه كـان معصـوما عن الزلة، وما جرى في خاطره حين رأى المـرأة أمـر لا يؤاخـذ بـه شرعا، ولا ينقص من منزلتـه، وذلـك الـذي وجـد في نفسـه من إعجاب المرأة له هي جبلة الآدمية الـتي تتحقـق بهـا صـفتها، ثم غلبها بالعصمة، فانطفت، وجاء إلى الزوجـة؛ ليقضـي فيهـا حـق الإعجاب والشهوة الآدمية بالاعتصام والعفة)[3]

ولســت أدري مــا أقــول تعليقــا على هــذه الروايــات، والتبريرات المرتبطة بها، وهل هي تتعلق برسول اللـه ﷺ الـذي نعرفـه.. والممتلئ بالطهـارة والعفـة.. ذلـك الـذي وصـف اللـه تهجده وزهده وعبادته وتقـواه.. ذلـك الـذي أتتـه الـدنيا راغمـة، فقال: إليـك عـني.. ذلـك الـذي آثـر في شـبابته إلى كهولتـه أن يتزوج امرأة تكبره سنا، وكان مع ذلك في أكـثر أوقاتـه متوجهـا إلى ربه مستغرقا في تلك العوالم الجميلة.. أم أنه شخص آخــر مختلف تماما؟

وهذا الشخص الذي ألصقوه برسـول اللـه ﷺ غـريب جـدا، فهو لا يكتفي بأن يستأذن أصحابه من أجـل أن يعاشـر زوجتـه.. بل يستأذن النساء أيضا بأن يتركنه مع زوجته لقضاء حاجته.. ثم يعود إليهم، وتعود هي إليهن.. وكأنه لم يحصل شيء.. وكأنـه لم يفعل شيئا يجتهد أصحاب الطبع السليم في سـتره، ويسـتحيون

1() رواه مسلم (رقم 1403)
2() رواه الدارامي (2/196) والبيهقي في الشعب (4/367)
3() عارضة الأحوذي (5/106)

من مجرد الإشارة إليه.

وفوق ذلك يرمون رسول الله ﷺ بأنـه رمي بصـره للمـرأة الغريبة الأجنبية، فأعجبته.. وهم يريدون بـذلك: أثـارت شـهوته.. لأن الإعجاب المجرد لا يدعو إلى ما ذكروه.

ولـو أنهم طبقـوا على تلـك الروايـات مـا ورد في النهي الشديد عن الحديث عن مثل تلـك الأمـور، لكفـاهم في رد تلـك الروايـات، فقـد روي أن رسـول اللـه ﷺ دخـل المسـجد، وفيـه نسوة من الأنصار، فـوعظهن، وذكـرهن، وأمـرهن أن يتصـدقن، ولو من حليهن، ثم قال: (ألا عسـت امـرأة أن تخـبر القـوم بمـا يكون من زوجها إذا خلا بها، ألا هل عسى رجل أن يخـبر القـوم بما يكـون منـه إذا خلا بأهلـه)، فقـامت امـرأة سـفعاء الخـدين، فقالت: والله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن. فقال ﷺ: (فلا تفعلوا ذلـك، أفلا أنـبئكم مـا مثـل ذلـك؟ مثـل شـيطان لقي شـيطانة بالطريق، فوقع بها، والناس ينظرون)(1)

وللأسـف، مـع أنهم يـروون هـذا الحـديث، ويطبقونـه في حيـاتهم أحسـن تطـبيق، فلا نـرى أحـدهم يـذكر علاقتـه بأهلـه.. لكنهم مـع رسـول اللـه ﷺ يتجـرؤون فيـذكرون مـا يسـتحيا من ذكره، وفي كل المحال التي لا تستدعي ذلك، مثلمـا يـروون أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هـل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال ﷺ: (إني لأفعل ذلـك أنـا وهذه، ثم نغتسل)(2)

فهل يمكن لمن روى هذا، أو نقلـه، أو لأي مفت في الـدنيا أن يذكر لمستفتيه كيف يعاشر أهله؟ وهل هنـاك ضـرورة تـدعو إلى ذلك؟

ولكن هؤلاء يجوزون على رسول الله ﷺ كل ما يتنافى مـع المـروءة والشـهامة والنبـل في نفس الـوقت الـذي يـنزهون أنفسهم عنه.

ومن الأمثلة الخطيرة على ذلك ما كـرره ابن تيميـة مـرارا عند تحذيره من صحبة الأحداث والمردان من قولـه: (وقـد روى الشعبي عن النبي ﷺ: أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ وكان فيهم غلام ظاهر الوضاءة أجلسه خلف ظهـره؛ وقـال:

1() مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: 199)

2() رواه مسلم (350)

إنما كانت خطيئة داود ـ عليه السلام ـ النظر)[1]

ثم علق عليه بقوله: (هذا وهو رسول الله ﷺ وهو مزوج بتسع نسوة؛ والوفد قوم صالحون، ولم تكن الفاحشة معروفة في العرب؟)[2]

وقد رواه ـ مع تشدده مع الأحاديث ـ وكأنه حديث صحيح لا مجال لرفضه مع أن الحديث مكذوب موضوع..

وهو دليل على تلك الصورة البشعة التي يحملها هؤلاء عن رسول الله ﷺ.. فهل يمكن لرسول الله ﷺ ذلك الطاهر المطاهر الممتلئ بالقداسة أن يخطر على باله مثل ذلك الشذوذ أصلا؟

خامسا ـ الأحاديث المحقرة للنبوة:

وهي الأحاديث التي تُذكر عادة في مناقب الصحابة، والتي لا ترى سبيلا لذكر فضلهم سوى بالتهوين من رسول الله ﷺ وتحقير شأنه، وبيان أن بعض مواقف الصحابة أو اجتهاداتهم أو أخلاقهم تعلو مواقف رسول الله ﷺ وأخلاقه.

وسنكتفي هنا بذكر بعض النماذج الدالة على ذلك.

النموذج الأول:

وهو ما سبق الإشارة إليه من تعظيمهم لعمر بن الخطاب، وتصويرهم بأن الشيطان يخاف منه، ولا يخاف من رسول الله ﷺ نفسه.

ومن الروايات الواردة في ذلك ما رووا عن أبي موسى، قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: (إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا)، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف)[3]

1() الفتاوى الكبرى لابن تيمية (3/ 203)

2() الفتاوى الكبرى لابن تيمية (3/ 203)

3() رواه أحمد (5/353) وفي (5/356) والترمذي (3690)

وهم يروون هذا متناسين أن عمر والصحابة جميعا، بل كل الـدنيا لا تسـاوي شـيئا أمـام رسـول اللـه ﷺ.. فكيـف يخـاف الشيطان في مجلس من عمر، ولا يخاف من رسول الله ﷺ؟

ولـو أن المصـحين للحـديث والمـدافعين عنـه، تركـوا الحـديث وروايـة الترمـذي لـه وتصـحيح الألبـاني، وعـادوا إلى عقـولهم قليلا، ليسـألوها عن حقيقـة الشـيطان، وعن دوره في الأرض، ثم عن أكثر الناس ترويعا له ومضادة لمشروعه لعرفـوا الحقيقة، وبأسـهل طريقـة.. فرسـول اللـه ﷺ هـو المنتـدب من العناية الإلهية ليحطم المشروع الذي أقسـم الشـيطان على أن يفعله ببني آدم ليزج بهم معه في دركات جهنم.

لكنهم للأسف لا يهتمون بالإجابة على هذه التساؤلات لأنهـا لا تخطـر على بـالهم أصـلا، لأن صـورة عمـر في أذهـانهم أهم وأعظم من صـورة رسـول اللـه ﷺ، كمـا عـبر عن ذلـك بعض المعاصـرين بقولـه: (لا شـك أنـه كـان لعمـر من خلال الخـير وخصال الإيمان مـا لم يبلـغ أحـد من هـذه الأمـة شـأوه، سـوى صديق هذه الأمة الذي سبقه، وفضل عليه، وأما من سـواه، من أصحاب النبي ﷺ، فمن بعدهم، فما بلغوا في الولاية، ولا خصال الإيمان منزلته، ولا باراه أحد فيها.. ومع ما كـان عليـه عمـر من عظيم الإخلاص، والصدق، وما أعطيه من منازل الخير والتقوى، فالذي يظهر أن ما أخـبر بـه النـبي ﷺ، من فـرار الشـيطان من عمر: كان كرامـة لـه، وخصوصـية، خصـه اللـه بهـا، لا يلـزم أن يكون قد أعطيها لأجل عمل معين قام بـه؛ بـل ربمـا كـان ذلـك لتكامل خصال الخير فيه، أو لأمر معين، لا نعلمه، ولم يأتنا خـبر من الصادق أن من فعـل كـذا، فـر الشـيطان منـه، ولا نعلم أن تلك الكرامة قد حصلت لغيره من الأمة أصلا.. ولعـل من أعظم تلك الخصال غيظا للشيطان، وإعانة لعمر عليه، حـتى فـر منـه: صدق لهجته في الحق، فلا يداهن، ولا يـداري، وقوتـه في الأخـذ به، فلا يضعف عنه، ولا يلين)[1]

ثم ساق نصا لابن تيمية يقول فيه: (الشيطان إنما يستطيل على الإنسان بهواه، وعمر قمع هواه)[2]

وهـو لا يـدري أنـه بـذلك لا يـرمي غـير عمـر من الصـحابة

1() انظر مقالا بعنوان: صفات عمر الـتي جعلت الشـيطان يخافـه ويفـرّ منـه، محمـد صالح المنجد، موقع الإسلام سؤال جواب.

2() منهاج السنة النبوية (6/ 55)

فقط، وإنما يرمي رسول الله ﷺ نفسه، ويـذكر أنـه لم يسـتطع قمع هواه؛ فذلك لم يفر منه الشيطان كما فر من عمر.

النموذج الثاني:

وهو تلـك الأحـاديث الـتي تصـور رسـول اللـه ﷺ، بعـد أن عاين ملاك الوحي، ونزل عليه من القرآن الكـريم مـا نـزل بقي في شك من أمره، وهل كـان من نـزل عليـه ملاك أم شـيطان، ولولا أن زوجته ـ كما تذكر الرواية ــ احتـالت لـذلك حيلـة، لبقي رسول الله ﷺ في شكه وريبته.

فقد روى أصحاب السنة المذهبية أن خديجة قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أتسـتطيع أن تخـبرني بصـاحبك هـذا الـذي نفسي بيده إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل فقال رسول اللـه ﷺ: يـا خديجـة هـذا جبريـل قـد جاءني فقـالت: قم يـا بن عمي فـاجلس على فخـذي اليسـرى. فقام رسول اللَّه ﷺ فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحـول رسـول اللَّه ﷺ فجلس على فخـذها اليمـنى فقـالت: هـل تـراه؟ قـال نعم. فحسرت فألقت خمارها ورسول اللَّه ﷺ جـالس في حجرهـا ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت يا بن عم اثبت وأبشر فواللَّه إنه لملك ما هذا شيطان(1).

بل رووا أن رسول الله ﷺ مع مـا عاينـه من أمـر اللـه في غار حراء، بقي في شك من أمره، وخشي أن يكـون مـا حصـل له مسا من الشيطان، لولا أن طمأنه ورقة بن نوفل..

وهكذا تحط السنة المذهبية من قدر رسول الله ﷺ لتجعله فريسـة للشـكوك والشـياطين لـولا أن يخلصـه منهـا بشـر من النـاس مـا نـالوا فضـلهم إلا برؤيتـه وصـحبته والتعلم على يديـه ونيل بركته.

ومن الأحاديث المدسوسة المرتبطـة بهـذا، تلـك الأحـاديث التي تذكر أن رسول الله ﷺ هم بالانتحـار بعـد انقطـاع الـوحي، ومنها ما رواه الزهري عن عائشة أنها قالت: (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزنا غدا منه مرارا كي يـتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بـذروة جبـل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا،

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 234)

فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع؛ فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى لـه جبريـل، فقال له مثل ذلك)[1]

والتي اعتذر لها بعضهم بأنها من كلام الزهري، وليست من كلام عائشة[2]، ولكن وجودها في كتاب في الصحيح، وضمن حديث يعدونه صحيحا، ويحفظونه عن ظهر قلب، لـه تأثيره الكبير في رسم تلك الصورة المشوهة التي حاول أعداء السنة استغلال الأحاديث لإشاعاتها ونشرها.

النموذج الثالث:

وهي تلك الأحاديث التي يطلق عليها [موافقات عمر]، والتي ألفت فيها المؤلفات الكثيرة، ومنها: نفائس الدرر في موافقات عمر، لأبي بكر ابن زيد الدمشقي، وقطف الثمر في موافقات عمر: لجلال الدين السيوطي، ونظم الدرر في موافقات عمر: لمحمد بن إبراهيم البلبيسي، والموافقات العمرية للقرآن الشريف: لمحمد بن جمال الدين، والدر المستطاب لموافقات عمر بن الخطاب: لحامد بن على العمادي الدمشقي، وضم الدرر في موافقات عمر: لبدر الدين محمد بن محمد الغزي، واقتطاف الثمر في موافقات عمر: لابن البدر الخطيب البعلي الدمشقي، والموافقات التي وقعت في القرآن لعمر بن الخطاب: أحمد بن علي بن محمد المقدسي، وغيرها.

والتي يُهان فيها رسول الله ﷺ، بل يهان القرآن الكريم نفسه، والذي يتوقف نزوله ـ حسب تلك الروايات ـ على الشدة التي يبديها عمر في المطالبة بنزول الأحكام كما يطلبها هو؛

1() صحيح البخاري، برقم (6581)

2() ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حجر: (ثم إن القائل (فيما بلغنا) هو الزهري، ومعنى الكلام: أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة. وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا، وقال الكرماني: هذا هو الظاهر) (فتح الباري (12 / 359))

وقال أبو شامة المقدسي: (هذا من كلام الزهري أو غيره، غير عائشة، والله أعلم؛ لقوله: (فيما بلغنا، ولم تقل عائشة في شيء من هذا الحديث ذلك) (شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، (ص 177))

وقال الألباني: (هذا العزو للبخاري خطأ فاحش، ذلك لأنه يوهم أن قصة التردي هذه صحيحة على شرط البخاري؛ وليس كذلك، وبيانه أن البخاري أخرجها في آخر حديث عائشة في بدء الوحي) (دفاع عن الحديث النبوي (40-41))

وهكذا رواه بهذه الزيادة أحمد (6 / 232 ـ 233) وأبو نعيم في (الدلائل) (ص 68 - 69) والبيهقي في (الدلائل) (1 / 393 – 395)

فتأتي كما يطلبها هو، بل أحيانا تأتي بنفس الصيغة التي نطق بها.. وذلك ما يثير من الشبه التي يتعلق بها المنكرون للنبوة ما لا يعلم به إلا الله.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الرواية أنه قال لرسول الله ﷺ: (يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى)، فنزلت الآية بنفس الصيغة[1].

ومنها أنه لما اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه مطالبين بالنفقة، قال لهن عمر: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)، فنزلت كذلك[2].

ومنها دعوته للحجاب، والذي نزل في شأنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾ (الأحزاب: 53)

ومنها قوله لأمهات المؤمنين: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ....﴾ (التحريم: 5)، فنزلت كما قال.

ومنها ما ورد في تحريم الخمر في عدة آيات، كقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: 219)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: 43)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: 90)

ومنها ما ورد في سورة المؤمنون من قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(المؤمنون: 14)

ومنها الصلاة على المنافقين عند موتهم في واقعة موت عبد الله ابن أبي ابن سلول ونزول قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ﴾(التوبة: 84)

ومنها الإستغفار للمنافقين، قال تعالى: ﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(المنافقون: 6)

ومنها واقعة الإفك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾

1() رواه البخاري (402)

2() رواه البخاري (402)

(النور: 16)

ومنها مسألة معاشرة الصائم لزوجته، وقـول اللـه تعـالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ.... ﴾ (البقرة: 187)

ومنها واقعة اليهود وعداوة جبريل وقول الله تعـالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة: 97)

ومنها واقعة قتـل عمـر لمن رفض حكم رسـول اللـه حيث قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (النساء: 65)

ومنها واقعة الإستئذان في الدخول وقول اللـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(النور: 27)

ومنها حكمه في أسارى بـدر، فـنزلت كمـا ذكـر:﴿مَـا كَـانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُـونَ لَـهُ أَسْـرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ... ﴾ (الأنفـال: 67)

وفي هـذا المقـام يـذكر الخطبـاء والوعـاظ كثـيرا، وببعض التباهي أن رسول الله ﷺ حين نزلت هـذه الآيـة:﴿مَـا كَـانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ (الأنفـال: 67) قـال: (لو نزلت نار من السماء لأحرقتنا إلا عمر)[1]

وكعادة الخطباء فـإنهم يمططـون هـذه القصـة، ويضـيفون إليها بعض التوابل ليخرج الناس منبهـرين بعبقريـة عمـر وذكائـه وحكمته، وينسوا أنهم خرجوا أيضا وقد بنوا كل ذلك البنيان على حسـاب تقـديرهم لرسـول اللـه ﷺ.. ولكن أصـحاب السـنة المذهبية لا يهمهم رسول الله ﷺ بقدر ما يهمهم عمر.

ونحن لا يهمنـا أن يقـدروا عمـر أو غـيره من الصـحابة أو التـابعين أو تـابعيهم.. ولكن لا على حسـاب رسـول اللـه ﷺ.. فنحن مـأمورون بالتأسـي برسـول اللـه ﷺ وتعظيمـه وتعزيـرة وتوقيره.. ولسنا مأمورين بفعل ذلك مع غيره.

ولهذا نجـد أصـحاب الهـوى الأمـوي يشـيدون بأمثـال هـذه الروايات مع علمهم بعدم وجود ما يـدل عليهـا في الواقـع، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن تيمية: (فأما درجـة السـابقين الأولين كأبي بكر وعمر فتلك لا يبلغها أحد، وقد ثبت في الصحيحين عن

1() ذكر القصة الطبري وابن كثير والقرطبي وابن العربي والماوردي وغيرهم.

النبي ﷺ أنه قال: (قد كان في الأمم قبلكم محـدثون، فـان يكن في أمتي فعمر، وفي حديث آخـر: (إن اللـه ضـرب الحـق على لسان عمر وقلبه)، وقال على: (كنا نتحـدث أن السـكينة تنطـق على لسـان عمـر)، وفي الترمـذي وغـيره: (لـو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، ولو كان بعدي نبي ينتظـر لكـان عمـر).. ومـع هذا فالصديق أكمل منه، فإن الصديق كمل في تصـديقه للنـبي، فلا يتلقى إلا عن النبي، والنبي معصوم، والمحـدث كعمـر يأخـذ أحيانا عن قلبه ما يلهمه ويحـدث بـه، لكن قلبـه ليس معصـوما، فعليه أن يعرض ما ألقي عليـه على مـا جـاء بـه الرسـول، فـان وافقه قبلـه، وان خالفـه رده، ولهـذا قـد رجـع عمـر عن أشـياء، وكان الصحابة يناظرونه ويحتجون عليه، فإذا بينت له الحجة من الكتاب والسنة رجع إليها وترك ما رآه)[1]

وقـد حـدث الـدكتور عبـدالعزيز بن محمـد بن عبداللـه السدحان في كتابه (الإمـام ابن بـاز دروس وعـبر) تحت عنـوان (سرعة استحضاره للأدلة)، فقـال ـ يـذكر مجلسـا من مجـالس ابن باز ـ: (نقل أحدهم مقولة عن بعض أهل العلم مفادُهـا: (لـو لم نُخبرَ بختام النبوة لقُلنا: إن ابن تيمية نبي)، فعُرِضت العبـارة على بعض أهل العلم فبالغ في أنكارِها. وعرِضـتُها بنفسـي على سماحته - رحمه الله تعالى - فتبسم ضـاحكاً، وقـال مـا معنـاه: نعم، لذلك أصل.. ثم ذكرَ حديث (لو كان بعدي نـبي لكـان عمـر بن الخطاب)[2]

وهكـذا يتصـرف هـؤلاء في النبـوة كمـا يحلـو لهم.. وكـأن النبـوة لعبـة من لعب الصـبيان.. لا مرتبـة من المـراتب الـتي لا يصـل العقـل إلى كنههـا وحقيقتهـا.. ووظيفـة تنـوء السـموات والأرض دون حملها.

النموذج الرابع:

وهي تلـك الأحـاديث الـتي لا تكتفي بتفضـيل عمـر على رسـول اللـه ﷺ في الكثـير من المواضـع، وإنمـا تضـيف إليهـا تفضيل عم عمر الذي عاش في الجاهلية على عم رسـول اللـه ﷺ الذي عاش في الإسلام.. فيعتبرون الأول مـع كونـه لم يعش لزمن البعثة موحدا مؤمنا، في نفس الوقت الذي يعتـبرون فيـه عم رسول الله ﷺ مشركا، ومات على شركه.

---

(1) الرد على المنطقيين (ص 513 - 514)

(2) الإمام ابن باز دروس وعبر، ص 33.

ولا يكتفون بذلك، بل يجعلون عم عمر أكثر ورعا وتقوى من رسول الله ﷺ.. ومن الأمثلة على ذلك الحديث الذي يردده ابن تيمية وأتباعه كثيرا، والذي يدل ظاهره على أن زيدا بن عمرو بن نفيل عم عمر بن الخطاب كان أكثر ورعا عن الشرك وأسبابه من رسول الله ﷺ، فقد روى في (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) وغيره من كتبه أن رسول الله ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة في لحم. فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه)[1]

بل يضيف إليها كل الروايات التي ورد بها الحديث ليؤكد المعنى، فيقول: (وفي رواية له: وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله؟!) إنكارا لذلك وإعظاما له)[2]

وبذلك أصبح زيد بن عمرو بن نفيل عم عمر بن الخطاب أكثر عقلا وحكمة وإيمانا من رسول الله ﷺ.. وذلك ليس بمستغرب لأن أساس السنة المذهبية هو تعظيم الصحابة، ولو على حساب رسول الله ﷺ.

سادسا ـ الأحاديث المتناقضة مع العلم والعقل:

ذلك أنه يستحيل أن يخالف رسول الله ﷺ أو أئمة الهدى تلك الآيات القرآنية الكثيرة التي تدعو إلى التفكر والتدبر والنظر واستعمال العقل، بالإضافة لتلك الأحاديث التي تعطي العقل منزلة كبرى، حتى أنه لا يمكن فهم الدين من دونه.

بناء على هذا، سنستعرض هنا بعض النماذج عن الأحاديث التي نرى ردها لمخالفتها لما يدل عليه العقل والبحث العلمي، وقد صنفناها بحسب مصادرها إلى الصنفين التاليين:

1. ما ورد في المصادر السنية:

وهي أحاديث كثيرة للأسف، ترتبط بجميع الجوانب، وخاصة الجوانب العقدية، والتي سنشير إليها بتفصيل عند الحديث عنها، ولذلك سنكتفي هنا ببعض النماذج من الأحاديث

1() اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 63)
2() اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 63)

التي تتعـارض مـع الحقـائق العلميـة المرتبطـة بـالكون والحيـاة ونحوهما.

النموذج الأول:

من الروايات المعارضة للحقـائق العلميـة في مجـال [علم الفلـك] مـا روي عن أبي هريـرة، أنـه قـال: بينمـا نـبي اللـه ﷺ جـالس وأصـحابه، إذ أتى عليهم سـحاب، فقـال نـبي اللـه ﷺ: أتدرون ما هذه؟ قالوا: اللـه ورسـوله أعلم، قـال: هـذه العنـان، هـذه روايـا الأرض، يسـوقها اللـه إلى قـوم لا يشـكرونه، ولا يدعونه، ثم قال: هل تـدرون مـا فـوقكم؟ قـالوا: اللـه ورسـوله أعلم، قال: فإنها الرقيـع: سـقف محفـوظ، ومـوج مكفـوف، ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بينكم وبينها خمسمائة عام، ثم قال: هل تدرون مـا فـوق ذلـك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن فوق ذلك سماءين، بعـد مـا بينهما خمسمائة سنة، ثم قال كذلك، حتى عد سبع سموات، مـا بين كل سماءين ما بين السماء والأرض، ثم قال: هل تدرون ما فـوق ذلـك؟ قـالوا: اللـه ورسـوله أعلم، قـال: إن فـوق ذلـك العرش، وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين، ثم قـال: هـل تدرون مـا الـذي تحتكم؟ قـالوا: اللـه ورسـوله أعلم، قـال: إنهـا الأرض، ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك؟ قـالوا: اللـه ورسـوله أعلم، قال: إن تحتها أرضا أخرى، بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عد سبع أرضين، بين كل أرضين مسـيرة خمسـمائة سـنة، ثم قـال: والـذي نفس محمـد بيـده، لـو أنكم دليتم بحبـل إلى الأرض السـفلى، لهبـط على اللـه، ثم قـرأ: ﴿هُـوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِـرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3])[1]

وهـذه الروايـة قريبـة من روايـة أخـرى رووهـا عن كعب الأحبار، فقد قال جوابا لمن سأله: أين ربنا؟ ـ:(سـألت أين ربنـا، وهـو على العـرش العظيم متكئ، واضـع إحـدى رجليـه على الأخرى، ومسافة هـذه الأرض الـتي أنت عليهـا خمسـمائة سـنة ومن الأرض إلى الأرض مسـيرة خمس مئـة سـنة، وكثافتهـا خمس مئـة سـنة، حـتى تمّ سـبع أرضـين، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العـرم متكئ، ثم تفطـر السـموات.. ثم قـال: إقـرؤوا إن

1() رواه أحمد (2/370)، والترمذي (3298)

شئتم: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: 5])[1]
وبعض الذين ينتقدون رواية أبي هريرة، لا ينتقدونها لأجل ما ذكر فيها من معارف تتعلق بالكون، لأنهم يؤمنون بكل ذلك من خلال روايات أخرى تؤيدها، وإنما ينكرون منها هذا المقطع: (لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله) لا لدلالته على التجسيم، وإنما لمنافاته للعلو الذي اعتبروه أصل أصول العقائد.

ولهذا حاولوا أن يبرروا ذلك المقطع من الحديث بكل ما أوتوا من صنوف الحيلة لتوجيهه لينسجم مع العلو، ولعل آخرها ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين عند ذكره للحديث، فقد قال: (هذا الحديث اختلف العلماء في تصحيحه، والذين قالوا: إنه صحيح يقولون: إن معنى الحديث لو أدليتم بحبل لوقع على الله عز وجل لأن الله تعالى محيط بكل شيء، فكل شيء هو في قبضة الله سبحانه وتعالى وكل شيء فإنه لا يغيب عن الله تعالى، حتى إن السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن عز وجل كخردلة في يد أحدنا.. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون دالا على أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان، أو على أن الله تعالى في أسفل الأرض السابعة فإن هذا ممتنع شرعا، وعقلا، وفطرة، لأن علو الله سبحانه وتعالى قد دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والإجماع، والعقل، والفطرة)[2]

وقبله قال ابن تيمية: (قوله: (لو أدلي أحدكم بحبل لهبط على الله) إنما هو تقدير مفروض؛ أي لو وقع الإدلاء لوقع عليه لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئا؛ لأنه عال بالذات وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى لكن بتقدير فرض الإدلاء يكون ما ذكر من الجزاء. فهكذا ما ذكره السائل: إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه وكان متوجها إليه بقلبه لكن هذا مما تمنع منه الفطرة؛ لأن قصد الشيء القصد التام ينافي قصد ضده؛ فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى فكذلك قصد الأعلى بالذات ينافي قصده من أسفل وكما أن ما يهبط إلى جوف الأرض يمتنع صعوده إلى تلك

1() تفسير الطبري (21/ 501)
2() مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين (1/ 89)

الناحية - لأنها عالية - فترد الهابط بعلوها كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد إليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط فكذلك ما يهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها - وهو المركز - لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز)[1]

إلى آخر كلامه، وهو يدل على الصورة المشوهة التي يحملونها على الكون وعن موقع الأرض فيه، والتي عبر عنها ابن تيمية بقوله: (ومن علم أن الأفلاك مستديرة وأن المحيط الذي هو السقف هو أعلى عليين وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه ـ وهو قعر الأرض ـ هو سجين واسفل سافلين علم من مقابلة الله بين أعلى عليين وبين سجين)[2]

فالأرض وفق هذه الرؤية هي المركز.. وفوقها السموات السبع، وفوقها العرش، وفوقها الله سبحانه وتعالى..

وقد قال التويجري شارحا التصور الفلكي للكون وفق الرؤية السلفية: (وقد جعل الله تبارك وتعالى الأرض مركزا ومستقرا للأثقال من جميع جهاتها. فلو سقط من السماء شيء ثقيل من أي جهة كانت لما استقر إلا في الأرض. وكذلك ما يسقط من الأثقال مما بين السماء والأرض فمقره الأرض. وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلى المركز في جوف الأرض وهو وسط الأرض السابعة السفلى)[3]

ثم نقل عن ابن كثير قوله ـ بعد أن ساق عدة أحاديث في إثبات سبع أرضين ـ: (فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الأثقال إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع) [4]

ونقل عن ابن تيمية قوله: (إذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى)[5]، وقوله: (ما

1() الرسالة العرشية (ص: 27)
2() مجموع الفتاوى [25/ 196ـ 197].
3() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59)
4() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59)
5() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59)

يهبـط من أعلى الأرض إلى أسـفلها وهـو المركـز لا يصـعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به مـا في قوتـه من الهبـوط إلى المركـز) [1]، وقولـه: (أهـل الهيئـة يقولـون لـو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقي في الخرق شـيء ثقيـل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركـز حـتى لـو ألقي من تلـك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعا في المركز ولو قـدر أن إنسـانين التقيـا في المركــز بــدل الحجــرين لالتقت رجلاهمــا ولم يكن أحدهما تحت صاحبه بل كلاهما فوق المركز) [2]

ولهذا نجد المؤمنين بهذا الحديث وأمثاله يتشددون مـع من يخالف هذه الرؤية، بل يقولون بتكفيره، ومن الأمثلـة على ذلـك ما فعله التويجري بعد نقله النقول الكثيرة عن ابن تيمية وغيره، فقد قال بعدها: (ولما ظهر أهل الهيئة الجديدة في آخــر القــرن العاشر من الهجرة وما بعـده وهم كوبرنيـك البولـوني وهرشـل الإنكليزي وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج أصحاب الرصـد والـزيج الجديــد أظهــروا خلاف مــا كــان عليــه المســلمون فقــالوا إن الشمس ساكنة لا تتحـرك أصـلا وإنهـا مركـز العـالم وأن الأرض والنجـوم تـدور عليهـا وقـد قلـدهم في ذلـك كثـير من ضـعفاء البصيرة من العصريين فخالفوا ما كان عليه جماعـة المسـلمين منذ زمن النبي ﷺ إلى زماننا، وهؤلاء ينبغي أن يوضح لهم الحق الـذي جـاء بـه القـرآن والسـنة فمن أصـر منهم بعـد ذلـك على المخالفة فهو كافر حلال الدم والمال لأنه قـد عانـد الحـق على بصيرة وأصر على تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله ﷺ)[3]

وهم لم يكتفــوا باســتنباط هــذه الحقــائق الفلكيــة من الحديث، بل ضموا إليها حقائق أخرى ترتبط بالأبعـاد بين الأفلاك المختلفة، والتي ورد في حديث أبي هريرة أنها خمسمائة سـنة، من غير تحديد هل هي بمسير الأقـدام، أم الإبـل، أم الخيـل، أم غيرها من وحدات القياس.

ومع أن هناك روايات أخرى ترتبط بتلك الأبعاد تختلـف مـع هذه الرواية، إلا أنهم استطاعوا بـذكائهم الحـاد أن يوفقـوا بينهـا جميعا، وأن يحسبوا بدقة المسافة التي تبعد بها الأرض عن كــل سماء من السموات السبع، بل حسبوا المسـافة الـتي تبعـد بهـا

1() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59)
2() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59)
3() الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 98)

الأرض عن العرش نفسه.

فقد قال ابن القيم في حل ذلك الإشكال الذي يعـرض من ناحيـة الاختلاف في الحسـاب بين الروايـات: (..فـإن المسـافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها، فسير البريـد مثلاً يقطـع بقـدر سـير ركـاب الإبـل سـبع مـرات، وهـذا معلـوم بالواقع فما تسيره الإبل سيراً قاصداً في عشـرين يومـاً يقطعـه البريد في ثلاثة، فحيث قـدر النـبي ﷺ بالسـبعين أراد بـه السـير السريع سير البريد، وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب، فكل منهمـا يصـدق الآخـر ويشـهد بصحته)[1]

وبناء على هذا فإن وحدة الحساب التي اعتمدها أبو هريرة في حديثه هي سير الإبل والركاب، كما ذكـر ابن القيم.. ويمكن للرياضيين أن يعتمدوا ذلـك، ليصـلوا إلى التحديـد الـدقيق وفـق الوحدات التي نستعملها في عصـرنا الحاضـر، وخاصـة في علم الفلـك الـذي اسـتغنى عن مسـيرة الإنسـان ومسـيرة الراحلـة بمسيرة الضوء..

وحتى نرى الفوارق بين حساب حديث أبي هريرة للمسافة بين السموات والحسابات الفلكيـة الحديثـة نسـتعرض بعض مـا قاله علماء الفلك الحديث في ذلك.

فقد ذكروا أن المسافة بيننا وبين جارنا القريب القمر تبعـد 384 ألف كم، ويحتاج الضوء إلى ثانية وثلث الثانية فقط ليقطع كل هذه المسافة من القمر إلى الأرض.

أمّا الشمس التي تبعد عنا حوالي 150 مليـون كم تقريبـاً، فإنّ الضوء يحتاج إلى 8.3 دقيقة ليصل منها إلى الأرض.

أمّـا أقـرب النجـوم إلينـا بعـد الشـمس وهي نجمـة ألفـا قنطورس فإنّها تبعـد عنـا 4.22 سـنة ضـوئية، وحيث إنّ السـنة الضوئية (المسافة التي يقطعها الضوء في سنة) تسـاوي 9.46 مليوم مليون كم. فهذا يعني أن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس تبعد عنا نحو 40 مليون مليون كم.

أمّا النجم القطبي الذي لطالما اسـتخدمه النـاس للإهتـداء عن الجهـات، فإنّـه يبعـد عنـا 433 سـنة ضـوئية، أي أنّ الضـوء يحتاج إلى 433 سنة حتى يصل إلينا منه، وهـذا يسـاوي نحـو 4 آلاف مليوم مليون كم.

---

[1] حاشية ابن القيم13/8.

أمّا أقرب مجرة إلينا وهي المرأة المسلسلة والتي يمكن رؤيتها بالعين المجردة من مكان مظلم كبقعة غبشاء بحجم أي نجمة أخرى تقريباً فإنّها تبعد عنا 2.5 مليون سنة ضوئية، أي نحو 24 مليون مليون مليون كم..

أما أبعد جرم سماوي يمكن رؤيته بالعين المجردة ــ في الوقت الذي أكتب فيه هذه الكلمات ـ فهي مجرة المثلث فإنها تبعد عنا 3 ملايين سنة ضوئية، وما زال في كوننا ما هو أبعد من ذلك بكثير.

وحتى ندرك جيدا مدى ضحالة العقل التي يتقبل مثل تلك الرواية وأخواتها نذكر نموذجا مصغرا ذكره الفلكيون لنظامنا الشمسي وجيرانه في حديقة ما، فإذا كان حجم الأرض بحجم كرة السلة، فإنّ القمر سيكون بحجم كرة التنس الأرضي تقريباً، وسنضع القمر (كرة التنس) على بعد 7.4 متر من الأرض (كرة السلة). أمّا الشمس فسيكون قطرها 26 متراً (حجم منزل) وستقع على بعد 2.8 كم من الأرض (كرة السلة). أمّا نجم ألفا قنطورس (أقرب النجوم إلينا) فإنّه سيقع على بعد 177 ألف كم من الأرض (كرة السلة). أما مجرتنا درب التبانة وهي الحديقة التي سنضع فيها نظامنا الشمسي فسيكون طولها 17.6 مليون مليون كم.

ولست أدري أين نضع الأرقام الهزيلة التي وضعها حديث أبي هريرة.. والتي تجعل الكون جميعا بعرشه وبفرشه لا يتجاوز المجموعة الشمسية في أحسن الأحوال.

النموذج الثاني:

من الروايات المعارضة للحقائق العلمية في مجال [علم الجغرافيا] ما روي عن أبي هريرة، أنه حدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كلم الله عز وجل البحر الشامي فقال: يا بحر، ألم أخلقك فأحسنت خلقك، وأكثرت فيك من الماء؟ قال: بلى يا رب. قال: كيف تصنع إذا حملت عليك عبادا لي يسبحوني، ويحمدوني، ويهللوني، ويكبروني؟ قال: أغرقهم. قال: فإني جاعل بأسك في نواحيك، وجاعلهم على يدي. قال: ثم كلم البحر الهندي فقال: يا بحر، ألم أخلقك، وأحسنت خلقك، وأكثرت فيك من الماء؟ قال: بلى يا رب. قال: فكيف تصنع إذا حملت عليك عبادا لي يسبحوني ويحمدوني، ويهللوني، ويكبروني؟ قال: أسبحك معهم، وأحمدك معهم، وأهللك معهم،

وأكبرك معهم، وأحملهم بين ظهري، وبطني. قال: فآتاه الله عز وجل الحلي والصيد والطيب)[1]

وهذا الحديث بالإضافة إلى ما فيه من تجسيم، حيث ذكر أن الله تعالى خص ركاب البحر الشامي بأن يحملهم في يده.. وبالإضافة إلى ما فيه من نواح علمية جغرافية نتركها للمختصين في علوم البحار.. فإن فيه نواح عقدية لا تتناسب مع ما ورد في النصوص المقدسة القطعية من طاعة كل شيء لله، وائتماره بأوامره.

فلا البحر ولا الريح ولا أي شيء آخر يملك من أمر نفسه شيئا، بل هو مسير بيد الله يحركه كيف يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:57)

وبمثل ذلك جاء تعبير (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) بدل تعبير (فشربتم) في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر:22)

وبمثل ذلك جاء تعبير (فَأَحْيَيْنَا) بدل (حيت) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر:9)

وهكذا قال ﷺ حاكيا عن ربه تعالى: (قال الله تعالى ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكوكب وبالكوكب)[2]

وهذا الحديث يصطدم تماما مع حديث أبي هريرة الذي يصور أن البحر هو الذي اختار السلوك الذي يقوم به مع من يركب عليه..

ومن تلك الأحاديث الجغرافية التي رواها أبو هريرة هذا الحديث الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، والذي ندعو المختصين من العلماء ليبحثوا عن هذه الأرض الغريبة التي ذكرها أبو هريرة، بل ادعى أن رسول الله ﷺ هو الذي أخبره عنها.

ففي الحديث عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن لله تعالى أرضا من وراء أرضكم هذه، بيضاء نورها، وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما). قالوا: كان رسول الله ﷺ يعني

1() العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1412)
2() رواه أحمد ومسلم والنسائي.

مثل الدنيا أربعين مرة، فيها عباد لله تعالى، لم يعصوه طرفة عين. قالوا: يا رسول الله، أمن الملائكة هم؟ قال: (ما يعلمون أن الله خلق الملائكة). قالوا: يا رسول الله، أفمن ولد آدم هم؟ قال: (ما يعلمون أن الله عز وجل خلق آدم). قالوا: يا رسول الله، أفمن ولد إبليس هم؟ قال: (ما يعلمون أن الله عز وجل خلق إبليس). قالوا: يا رسول الله، فمن هم؟ قال: (هم قوم يقال لهم الروحانيون، خلقهم الله عز وجل من ضوء نوره)[1]

ومن تلك الأحاديث ما أخبر به عن أنهار الجنة الموجودة على الأرض، ومنها قوله: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم فيه من ورقها)[2]

ومنها روايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)[3]

ولست أدري ما هي وجوه الاختلاف بين أنهار الأرض جميعا، وبين هذه الأنهار، ولم خصت هذه الأنهار وحدها بكونها من أنهار الجنة، مع العلم أن هناك أنهار أطيب وأعذب وأكثر ماء.. ومع العلم أن الله تعالى في القرآن الكريم ذكر البحار والأنهار، ولم يخص أحدا منها بشيء.. وهذا هو الفرق بين الطرح القرآني المقدس، والذي يتناسب مع كل البيئات، وبين الطرح البشري المدنس، والذي يفاضل بين بقاع الأرض، بل حتى بين أنهارها وبحارها.

وعندما نبحث عن مصدر هذا الحديث في الكتاب المقدس، نجده بسهولة في [سفر التكوين: الإصحاح الثاني، الفقرات 7-14]، ففيها: (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس - اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب - وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع - واسم النهر الثاني جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش - واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي أشور، والنهر الرابع الفرات)

وهو يتناسب تماما مع التصورات اليهودية للجنة، والتي تحصرها في عالم الدنيا، فامتلاك الدنيا عندهم والتسلط عليها

1() العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1440)
2() العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1420)
3() رواه مسلم (4/2183، رقم 2839)

وعلى أهلها هي الجنة.

النموذج الثالث:

من الروايات المعارضة للحقائق العلمية في مجال [علم الأحياء] ما يعرف بـ [حديث الذباب] المروي عن أبي هريرة، والذي يروونه في محال كثيرة منها المحال المتعلقة بالطب، كما فعل البخاري.

ولم يكتفوا لأجل إثباته بما تعودوا عليه من الرواية والدراية المرتبطة بالحديث، بل راحوا ـ وللعجب، ولعله لأول مرة ــ إلى ما يقوله علماء الجراثيم، معتبرين أن في الحديث سبقا علميا كبيرا، ولهذا لا نجد مقالا أو كتابا يتعرض لهذا الحديث إلا ومعه صور علمية حول الذبابة وجناحيها.

ولست أدري كيف تخلوا عن مواقفهم السلبية من الإعجاز العلمي، ومع القضايا العلمية القطعية التي لا شك فيها من أمثال مراحل الجنين ونحوه.. وراحوا يقفون موقفا إيجابيا، لكن تخونه الدقة العلمية.

وقبل أن نناقش ما أوردوه حول الحديث نذكر نصه، مع بعض رواياته، وهو ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:)إذا وقع الذبابُ فى شرابِ أحدِكم فَلْيَغْمِسْهُ ثم لِيَنْزِعْهُ فإنَّ فى أحدِ جناحيه داءً وفى الآخرِ شفاءً)[1]

وفي رواية أخرى أكثر تفصيلا: (إذا وقع الذبابُ فى إناءِ أحدِكم فليغمِسْه فإنَّ فى أحدِ جناحيه داءً وفى الآخرِ شفاءً وإنه

---

[1] () رواه البخاري في – كتاب بدء الخلق - باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء- 3/1206 رقم (3142)، وفي - كتاب الطب - باب إذا وقع الذباب في الإناء 5/2180 رقم (5445)، وأبو داود في – كتاب الأطعمة - باب في الذباب يقع في الطعام 3/365 رقم (3844)، والنسائي في - كتاب الفرع والعتيرة – باب الذباب يقع في الإناء-7/178 رقم (4262)، وفي السنن الكبرى- كتاب الفرع والعتيرة – باب الذباب يقع في الإناء- 3/88 رقم (4588)، وابن ماجه في – كتاب الأطعمة - باب يقع الذباب في الإناء - 2/1159 رقم (3505)، والدارمي في – كتاب الأطعمة – باب الذباب يقع في الإناء - 2/135 رقم (2039)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده 2/229 برقم (7141)، وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الوضوء - باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب في الماء لا ينجسه وفيه ما دل على أنه لا نجاسة في الأحياء - 1/ـ 56 برقم (105)، وابن حبان في صحيحه - كتاب الطهارة - باب المياه ذكر ما يعمل المرء عند وقوع ما لا نفس له تسيل في مائه أو مرقته - 4/ـ 53 رقم (1246)، وفى كتاب الأطعمة - باب آداب الأكل ذكر الأمر بغمس الذباب في المرقة إذا وقع فيها ثم الإخراج والانتفاع بتلك المرقة - 12/ـ 55 رقم (5250)، كلهم عن أبي هريرة.

يتقى بجناحِهِ الذي فيه الداءُ فليغمِسْه كلَّه ثم ليَنْزِعْه)[1]

وفي رواية أخرى: (إذا وقع الذبابُ فى إناءِ أحدِكم فَلْيَمْقُلْهُ فيه فإنَّ فى أحدِ جناحيه سُمًّا وفى الآخرِ شفاءً وإنه يقدمُ السمَّ ويؤخرُ الشفاءَ)[2]

وقد وقف الكثير من المتنورين من هذا الحديث موقفا سلبيا متشددا، لخطورة انتشار مثل هذه التعاليم على النواحي الصحية أولا.. وخطورته على تشويه الإسلام، وتصويره كدين يشجع على الأوساخ والقاذورات، بل ينصح بالتداوي بها.

وللأسف فإن هؤلاء الذين قبلوا هذا الحديث ودافعوا عنه هم الذين قبلوا حديث التداوي بأبوال الإبل، بل حولوا منها أدوية يبيعونها للناس من غير أن تمر على المحال الطبية المحترمة لترى مدى جدوى ذلك.

وقد ذكر الشيخ محمد الغزالي بأسف تلك الشدة التي قابل بها السلفيون دعاة التنوير بسبب إنكارهم للحديث، بل تكفيرهم لمنكره، فقال: (لا نريد أن ننتقل إلى مباحث فقهية مفصلة، وإنما نريد أن نقول: هب أن رجلاً قال: لا أستطيع قبول رواية (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء)، أيكون من الكافرين؟ كلا!! فلم يقل أحد أن أركان الإسلام تضم الإيمان بالله واليوم الآخر وغمس الذباب في الشراب إذا سقط فيه.. وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شرعية أو حكم قاطع، بيد أني من باب استكمال البحث العلمي فقط أسأل: هل الحديث مردود؟ إن بعض علماء الحشرات قرر أن هذه الحشرة تفرز الشىء والشىء المضاد له، فإن استقر هذا الرأى الفني فالحديث صحيح، وإن ثبت قطعاً أن الذباب مؤذ فى جميع الأحوال التى تعرض له ومن بينها الحالة المروية في الحديث رددته دون غضاضة، وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني، وقد روى البخاري أحاديث صحيحة السند لكن أئمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى عندهم منها)[3]

---

(1) رواه أحمد (2/229، رقم 7141)، وأبو داود (3/365، رقم 3844)، وابن حبان (4/53، رقم 1246)

(2) رواه أحمد (3/24، رقم 11205)، وعبد بن حميد (ص 279، رقم 884)، والنسائى (7/178، رقم 4262)، وأبو يعلى (2/273، رقم 986) ورواه أيضًا: الطيالسى (ص 291، رقم 2188)

(3) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص 102-103.

ومن أوائل المتنورين الذي ردوا على الحديث محمد توفيق صدقي في بعض محاضراته العلمية التي نشـرتها مجلـة المنـار، والتي هدفت من خلالها إلى التوعيـة الصـحية للمسـلمين الـذي كـانت تفتـك بهم في ذلـك الحين الكثـير من الأوبئـة الخطـيرة، بسبب نقص الوعي الصحي.

فقد ذكر عند حديثه عن القاذورات والنجاسـات وخطورتهـا الصحية وحرمتها الشرعية حـديث الـذباب، وعلـق عليـه بقولـه: (هــذا الحــديث مشــكل؛ إن كــان ســنده صــحيحًا، فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلـط الـرواة فيهـا كحديث (خلق الله التربـة يـوم السـبت) مثلاً وغـيره ممـا ذكـره المحققــون، وكم فيهمــا من أحــاديث لم يأخــذ بهــا الأئمــة في مذاهبهم، فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعًا على أن النبي ﷺ قاله بلفظه مع منافاته للعلم، وعدم إمكـان تأويلـه، على أن مضـمونه ينـاقض حـديث أبي هريـرة وميمونـة وهـو أن النبي ﷺ سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال: (إن كان جامدًا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي، وإن كان ذائبًا فأريقوه، أو لا تقربوه)، فالـذي يقـول ذلـك لا يـبيح أكـل الشـيء إذا وقـع فيـه الـذباب؛ فـإن ضـرر كـل من الـذباب والفـئران عظيم، على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريـرة، وفي حديثـه وتحديثـه مقـال بين الصحابة أنفسهم خصوصًا فيما انفرد به، كما يعلم ذلـك من سيرته، وغاية ما تقتضيه صحة السند في أحـاديث الآحـاد الظن، فلا قطـع بـأن هـذا الحـديث من كلام النـبي ﷺ، وكـانوا يـروون الحديث بالمعنى، فيجوز أن يكون لفظ الـراوي لم يـؤد المعـني المراد)[1]

لكنه للأسف عقب على هذا تعقيبا خطـيرا يريـد أن يرضـي به من يعظمون الرواة علي حساب رسـول اللـه ﷺ، فقـد قـال بعد كلامه السابق: (وهب أن الرسول ﷺ قال ذلك حقيقــة فمن المعلــوم أن المســلم لا يجب عليــه الأخــذ بكلام الأنبيــاء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع، بل الواجب عليه أن يمحصها، ويعرضها على العلم والتجربة؛ فإن اتضـح لـه صحتها أخذ بها والأعلم أنها ممـا قالـه الأنبيـاء - عليهم السـلام - بحسب رأيهم، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك وقـد حقـق

1() مجلة المنار (18/ 433)

هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه) [1]

وهذا كله ناتج من تأثير المحـدثين وتعظيمهم للصـحابة إلى الدرجة التي يجوزون فيها الخطأ على رسول الله ﷺ في سـبيل أن يبقى جنابهم محميا لا يتعرض لأي نقد أو تخطئة أو طعن.

وقد حـاول الشـيخ محمـد رشـيد رضـا باعتبـاره محـدثا أن يدافع عن أبي هريرة لا عن حديثه بسبب الضجة التي أثارها هذا الحديث في ذلك الوقت، فقـال: (أقـول: إن أبـا هريـرة (رضـي اللـه عنـه) كـان من أحفـظ الصـحابة، وهـو صـادق في تحديثـه. ولكن إسلامه كان في سـنة سـبع من الهجـرة، فصـحب رسـول الله ﷺ ثلاث سنين ونيفًا، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي ﷺ وإنما سمعها من الصحابة والتـابعين، فـإن كـان جميـع الصـحابة عدولاً في الرواية كما يقول جمهور المحدثين، فالتابعون ليســوا كذلك، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار، وأكـثر أحاديثـه عنعنة) [2]

هذا موقف المتنورين المتأخرين، أما موقـف غـيرهم، فقـد انتصروا للحديث انتصارا شديدا، بل اعتبروه إعجازا علميا باهرا، وبناء عليه أخذوا يتحدثون في العلوم المختلفة، ويطوعونها رغم أنفها لتستسلم لمقتضياته.

فقد قال ابن قيم الجوزية تعليقا على الحــديث: (واعلم أن فى الــذباب عنــدهم قــوة ســمية يــدل عليها الــورم، والحكمة العارضة عن لسعة، وهى بمنزلة السلاح، فإذا أسقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلـك السـمية بمـا أودعـه اللــه ســبحانه فى جناحــه الآخــر من الشـفاء، فيغمس كلـه فى الماء والطعام، فيقابل المـادة السـمية المـادة النافعـة، فـيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبـار الأطبـاء وأئمتهم، بـل هـو خـارج من مشـكاة النبـوة، ومـع هـذا فـالطبيب العـالم العـارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به، بأنه أكمـل الخلـق على الإطلاق، وأنــه مؤيــد بــوحى إلهى خــارج عن القــوة البشرية[3].

بــل إنــه راح يعمــل القيــاس في الحــديث ليشــمل كــل الحشرات المشابهة للذباب، فقال: (هـذا الحـديث فيـه أمـران:

1() مجلة المنار (18/ 433)

2() مجلة المنار (29/ 37)

3() زاد المعاد 4/112.

أمر فقهي، وأمر طبي فأما الفقهي فهو دليل ظاهر الدلالة جــدا على أن الذباب إذا مات في مـاء أو مـائع فإنـه لا ينجسه، وهـذا قول جمهور العلمـاء، ولا يعـرف في السـلف مخـالف في ذلـك ووجه الاسـتدلال بـه أن النـبي ﷺ أمـر بمقلـه، وهـو غمسـه في الطعام، ومعلوم أنه يموت من ذلـك ولا سـيما إذا كـان الطعـام حارا فلو كان ينجسه لكان أمرا بإفساد الطعام وهو ﷺ إنما أمـر بإصلاحه، ثم عدا هذا الحكم إلى كل مالا نفس له سائل كالنحلة والزنبـور والعنكبـوت وأشـباه ذلـك إذ الحكم يعم بعمـوم علتـه وينتفي لانتفاء سببه فلما كان سبب التنجيس هو الـدم المحتقن في الحيوان بموته وكان ذلك مفقودا فيما لا دم له سـائل انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته)[1]

وقال آخر: (فيه من الفقه: أن أجسام الحيوان طـاهرة، إلا ما دلت عليه السـنة من الكلب ومـا لحـق بـه فى معنـاه، وفيـه دليل:على أن ما لا نفس له سائلة إذا مات فى الماء القليـل لم ينجسه، وذلك أن غمس الذباب فى الإنـاء قـد يـأتى عليـه، فلـو كان نجسـه إذا مـات فيـه، لم يـأمر بـذلك، لمـا فيـه من تنجس الطعام، وتضييع المال)[2]

وبهـذه الاسـتنباطات العجيبـة لم يبـق الأمـر محصـورا في الذباب، بل شمل كل الحشرات، كالزنبور والعنكبـوت وغيرهمـا كما يذكر ابن القيم.

وكمــا وقــف المتــأخرون من المتنــورين بشــدة بســبب الحديث، فكذلك فعل المتقدمون، وقد قـال ابن حجـر في هـذا: (وقال الخطابى: تكلم على هـذا الحـديث من لا خلاق لـه فقـال كيف يجتمع الشفاء والداء فى جناحى الذباب؟ وكيف يعلم ذلـك من نفسه حتى يقدم جناح الداء، ويؤخر جناح الشفاء، وما ألجأه إلى ذلك؟ قلت: وهذا سؤال جاهل، أو متجاهـل، فـإن كثـيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة، وقد ألف الله بينها وقهرهــا على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان.. وقال ابن الجوزى: ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاهـا، وتلقى السم من أسفلها، والحية القاتل سمها تدخل لحومها فى الترياق الذى يعالج به السـم، والذبابـة تسـحق مـع الإثمـد لجلاء

1() الطب النبوي 1/ 88، وزاد المعاد 4/111.

2() معالم السنن5/340-341،وانظر:زاد المعـاد4/111-112،وشـرح السـنة للبغـوى 11/260.

البصر)[1]

وهكذا حشر الفقهاء والمحدثون أنفسهم في هذه العلوم الخطيرة التي تتوقف عليها حياة الناس، بل أتاحوا لهم أن يجتهدوا ويقيسوا ويستحسنوا كما يشاءون من غير الرجوع إلى المختصين من العلماء.

وخير من هذا الموقف الذي وقفه هؤلاء ما ذكره بعضهم بإيمان عجيب، وكأنه بين يدي آية قرآنية، أوحديث متواتر، فقد قال مخاطبا المتوقفين في صحة الحديث: (هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبى ﷺ حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقة أو بطلانه؟ وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله ﷺ، ووحى الله إليه؟! إن حديث رسول الله ﷺ، برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين، وإن لم يكونوا كذلك فليزمهم التوقف إن كانوا عقلاء. والمسلم لا يهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ما دام ثبت عن رسول الله ﷺ) [2]

وقال الألباني: (إن كثيراً من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء وهو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام أو الشراب علقت به تلك الجراثيم والحقيقة أن الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك، بل هو يؤيدهم إذ يخبر أن في أحد جناحيه داء، ولكنه يزيد عليهم فيقول: وفي الآخر شفاء، فهذا مما لم يحيطوا بعلمه، فوجب الإيمان به وإن كانوا مسلمين، وإلا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم وإن كانوا عقلاء علماء ! ذلك لأن العلم الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه؛ نقول ذلك على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة وقد اختلفت آراء الأطباء حوله، وقرأت مقالات كثيرة في مجالات مختلفة كل يؤيد ما ذهب إليه، تأييداً أو رداً، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث، وأن النبي ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3ـ 4]، ولا يهمنا كثيراً ثبوت الحديث من

1() انظر: فتح البارى 10/263 رقم 5782 وانظر: معالم السنن 5/341-342، وتأويل مختلف الحديث ص 210، 212.

2() انظر:سلسلة الأحاديث الصحيحة،المجلد1/61،وموقف المدرسة العقلية من السنة2/268،269 0

وجهة نظر الطب، لأن الحديث برهان قـائم في نفسـه لا يحتـاج إلى دعم خارجي، ومع ذلك فـإن النفس تـزداد إيمانـاً حين تـرى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح)[1]

وبناء على هذا ترك السلفيون تشددهم مع العلوم الحديثة، ومـع عرضـها على النصـوص المقدسـة، وراحـوا إلى كـل قشـة يجدوها ليستمسكوا بها في نصره هذا الحديث.

ومن ذلك ما عبر عنه بعضهم بقوله: (وقد شاء ربك العـالم بما كان وما يكون أن يظهر سر هذا الحديث، وأن يتوصـل بعض نطس الأطبــاء إلى أن في الــذباب مــادة قاتلــة للميكــروب، فيغمسه في الإناء تكون هذه المـادة سـبباً في إبـادة مـا يحملـه الذباب من الجراثيم التي ربما تكون عالقة به، وبذلك أصـبح مـا قال العلماء الأقدمون – تجويزاً – حقيقة مقررة)[2]

ولســت أدري كيـف عـرف، وهـو البـاحث المتخصـص في الحديث أن بحثا واحـدا أومجموعـة أبحـاث يمكنهـا أن تقـرر في مثل هذه المسألة الخطيرة، مع العلم أن هناك جراثيم لا حــدود لعددها، ومثلها أنواع كثـيرة من الـذباب، فهـل يصـدق ذلـك مـع الجميع؟

ولست أدري هل يمكن أن يجربوا مثل هذه التجــارب على أنفسهم، فيغمسوا الـذباب في أنـواع مختلفـة من الميكروبـات، ثم يغسمونها في الطعام، لينظروا مـدى فاعليـة ذلـك، قبـل أن ينصحوا بـه النـاس، وقبـل أن يتكلمـوا فيـه بمثـل هـذه الأحكـام الخطيرة التي قد تتوقف عليها حياة الناس.

لن أسترسل في ذكر ما استدلوا به من أدلة في هذا الباب من بحوث يصفونها بالعلمية، لكننا عندما نبحث في مصــادرها لا نجدها كذلك، بل هي أقرب إلى اللغة العاطفيـة منهـا إلى اللغـة العلمية، وهي أشبه بتلك البحـوث الـتي حـاولوا أن يثبـوا بهـا أن الأرض ساكنة، أو الشمس تطوف حولها.

وللأســف، فقــد كـانت بحــوثهم في هــذا المجــال مــدعاة للسـخرية من كثـيرمن المواقـع اللادينيـة أو التبشـيرية وغيرهـا، وليتها اكتفت بالرد على الحديث، أو على أبي هريرة، بـل راحت ترمي رسول الله ﷺ نفسـه بالجهـل والـدعوة للقـذارة، وادعـاء

1() السلسلة الصحيحة 1/97 - 98.

2() ذكـر الشـيخ أبـو شـهبة أن هـذا البحث نشـر في مجلـة الأزهـر عـدد رجب لسـنة 1378هـ.

علم الطب وغيرها من الدعاوى الخطيرة التي جلبها هذا الحديث الذي يكاد يخرب الإسلام من جذوره.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه بعضهم في موقع تبشيري تحت عنوان: [الذباب بين العلم والفكر اليهودي والاسلامي]، فمما ورد فيه: (العلم يخبرنا بأن الذباب حشرات ضارة، وهي تعيش في الأماكن القذرة، وتتوالد فيها، وهي عباره عن ماكينه نقل أمراض، فهي تنقل كما ضخما من الأمراض) [1]

ثم راح يثبت ذلك بالأدلة العلمية الكثيرة، وبعدها راح يستعرض ساخرا مما يدعيه أولئك المحدثون الذين تعلقوا بكل قشة ليصححوا الحديث.

ومن ذلك تلك المواقع والمجلات العلمية التي زعموا أنها تردد ما ذهبوا إليه، وكشف أنها كلها ألاعيب وأكاذيب لا حظ لها من العلم.

النموذج الرابع:

من الروايات المعارضة للحقائق العلمية في مجال [علم الأحياء] ما روي عن أبي هريرة، أنه حدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لولا بنو إسرائيل، لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر)[2]

وهو يحوي مغالطة خطيرة جدا تخص هذه العوالم، فهو يذكر أنها لم تكن موجودة قبل بني إسرائيل.. أي أن ما يتعرض له الطعام من تغير، وما يتعرض له اللحم من خنز لم يكن موجودا قبل بني إسرائيل.

وهذا يعني أحد أمرين: إما أن البكتريا أو الجراثيم أو غيرها لم تكن موجودة أصلا.. أو أنها كانت موجودة، ولكنها لا تتعرض للطعام أو اللحم حتى جاء الإسرائيليون فخزنوا الطعام، فعوقب البشر جميعا على سلوكهم هذا.

وقد كان هذا الحديث سببا في تهكم الكثير من الحداثيين وغيرهم على رسول الله ﷺ نفسه أو على راويه، أو على العقول التي قبلته وطالبت جماهيرها بقبوله.

1() انظر مقالا علميا بعنوان: [الذباب بين العلم والفكر اليهودي والاسلامي]

2() رواه البخاري رقم (3152) 3 / 1212، ورقم (3218) 3 / 1245، ومسلم رقم (1470) 2 / 1092، وأحمد رقم (8019) 2 / 304، ورقم (8155) 2 / 315، ورقم (8581) 2 / 349، وابن حبان في صحيحه رقم (4169) 9 / 477، وأبو عوانة رقم (4502- 4503) 3 / 143، وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم رقم (3449) 4 / 143.

ومن تلك التعليقات قول بعضهم: (اللحم يخنز ويفسد بسبب البكتيريا وليس بسبب بني إسرائيل، وهذا يعرفه تلاميذ المرحلة الابتدائية، وإن كان هناك رجال دين لا يعرفون ذلك، فهم من يحتاج للتعلم، لا أن يطلبوا من الناس أن يشاركوهم جهلهم. أما أن يكون سبب الزنى هو حواء، فهو اعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي، أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود) [1]

وقال آخر: (فساد اللحم وعفانته لا علاقة له بدين ولا بجهة ولا بلون، وإنما تخضع لعوامل قررها العلم الحديث من بكتيريا وفيروسات وغير ذلك مما هو مقرر عند علماء العلوم الحديثة، ولعل شطر هذه الرواية منتج من منتجات العنصرية الدينية والملّية؛ لأن رائحة التدافع الملّي بين المسلمين وغيرهم خاصة اليهود واضحة وجلية فيه)

وعلى هذا المنوال نجد الكثير من الأقلام التي تستثمر في هذا الحديث لتشوه به النبوة، ومنها مقال نشره موقع (الأقباط) منتدى منظمة أقباط الولايات المتحدة تحت سلسلة (من هو الكذاب)، وبعنوان (لولا اليهود لما وجدت البكتيريا، ولولا حواء لما خانت النساء)، وقد جاء فيه ما يلي: (أمامنا حلقة جديدة من سلسلة: من هو الكذاب! والتي نستعرض فيها أحاديث صحيحة جداً واردة في صحيحي البخاري ومسلم، وهما أعلى كتب الصحاح بالدقة والصحة بعد قرآنهم، في حين أنها تتعارض مع العقل أو المنطق أو التاريخ... وبذلك يضربون بأيديهم أحد مصادر دينهم الموحى بها أي: السنة، وكذلك يهدمون أسس ما يعرف عندهم بعلم الجرح والتعديل، ويشككون بأسانيد الأحاديث الصحيحة ورواتها العدول والثقات... مما يدخل الظن والريبة فيهم جميعاً... مما يجعلنا نطرح هذا السؤال الخطير: من هو الكذاب في الحديث؟ هل أحد الرواة العدول الثقات... أو الصحابي أو محمد نفسه؟)

ثم استعرضوا الحديث، وعقبوا عليه متهكمين بقولهم: (الحديث يحمل اليهود حقيقة فساد اللحم... وأنه لولا أن بني إسرائيل قد خزنوه لما فسد اللحم وتحلل! ويحمل حواء كل خيانات قامت وتقوم بها كل زوجة.!... وهكذا نجد بأن كل

1() انظر مقالا في الموضوع بعنوان: نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث [لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً] نشر: مجلة إسلامية المعرفة.

مصـائب الـدنيا تنـــزل إمـا على رأس اليهـود أو على المـرأة. اليهود! والنساء! فهما أساس البلاء عند المسلمين ومصـدر كـل بلوى ومشكلة! هذا الحديث أوضح نمـوذج لمـا يسـمى بنظريـة المؤامرة! أو مخططات بني صهيون. كما أن كل مصيبة يلقونها على المرأة!)

وراحـوا يفصـلون أكـثر قـائلين بسـخرية: (مسـألة فسـاد اللحم.. بسبب اليهود! تخريف نبوي !حـتى فسـاد اللحم... ألقى محمد سببه على رأس اليهود، وكأن اليهود -بمؤامراتهم الخبيثة- هم من اخـترعوا البكتريـا الـتي تحلـل وتفسـد اللحـوم، أو ربمـا استنسخوها، وهذا يعد هراء علمي بكل المقـاييس... فالبكتيريـا موجودة قبـل الإنسـان... ومـا تسـببه موجـود حـتى قبـل وجـود الحيوانات، فالبكتريا هي أقدم الكائنات الحية على سطح كوكب الأرض، فاللحم كان يفسد بالطبع قبـل أن يوجـد في الـدنيا بنـو إسـرائيل وقبـل إبـراهيم... فمـا يقولـه محمـد مجـرد تشـويش اختلط في ذهنه من جراء ما كـان يسـمعه متنـاثراً مغلوطـاً من التوراة المقدسة دون تأكـد ولا فحص! وأسـأل: من الـذي أخـبر محمد بهذه المعلومة العلمية جداً!؟ هل أخبره بها ربه بـالوحي؟ إن كان هذا قد حدث، فهذا يثبت بأن رب محمد لا يدرك أبسـط القواعد الطبيعية عن عمل الجسيمات والإنـزيمات المـؤثرة في الخلية... وتحلل اللحوم وبهذا تسقط ربوبيته...مـع نبـوة رسـوله الأمي المرسل إلى الأعراب الأشد كفراً ونفاقـاً... وجهلاً... وهم أمة لا تكتب ولا تحسـب... كمـا اعـترف محمـد مفـاخراً... فهـل اليهود من أوجدوا البكتريا؟!)

بناء على هذا راح بعض الباحثين المحققين المتنورين يدعو إلى إعادة النظر في قبول مثل هذا الحديث وأمثاله، من أمثـال الدكتور محمد سعيد حوى، الذي تناول هـذا الحـديث في مقالـة له في جريدة الرأي الأردنية، باعتباره نموذجاً للأحاديث الـواردة في الصحيحين، التي تعارض القرآن الكريم، وقد جاء فيه قوله: (من هذه النماذج التي تؤكد ضـرورة التحـري والبحث في بعض أحـاديث الصـحيحين لمعارضـتها لظـاهر كتـاب اللـه حـديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: (لـولا بنـو إسـرائيل لم يَخنْـــزَ اللحم (أو قـال الطعـام) ولـولا حـواء لم تخن أنـثى زوجهـا الـدهر).. ففسـاد اللحم مخـالف لمـا يعلم علميـاً من قـانون أجـرى اللـه الكـون وفقـه، بـأن اللحم يفسـد إذا تعـرض للهـواء وغـيره من

المؤثرات. ويخالف النص القرآني أيضاً. ومما يدل على مخالفة هذا النص للقرآن؛ أن القرآن قصَّ لنا قصة الذي أتى على قرية وهي خاوية على عروشها، ولم يبين القرآن متى ولا من ولا ممن، ولا يعنينا مطلقاً البحث في ذلك، والشاهد أنه قال له: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259]، أي إن الله أقام أمامه جملة من الآيات الخارقة للعادة، منها حفظ طعامه وشرابه، خلاف العادة مع المكث الطويل، ومنها كيف أراه خلق الحمار ونشز العظام، فلو كان القانون الذي كان سائداً، والذي جرت به العادة أن الطعام لا يفسد، لما كان في ذكر هذه الآية هنا أي معنى. وهكذا أستطيع الجزم بلا تردد -واستغفر الله من أي خطأ- أن هذا من النصوص الإسرائيلية التوراتية، وليست من كلام رسول الله ﷺ أبداً. وسيبقى السؤال الكبير ذي الحرج الشديد والحساسية المفرطة عند المحدثين: كيف تردُ حديثاً روي من أربعة طرق على الأقل عن أبي هريرة وبعضها في الصحيحين؟ ومن أين جاء الخلل إلى هذا الحديث الذي ثبت أنه لا يمكن أن يكون حديثا من كلام رسول الله ﷺ؟ لعلي أستطيع الإجابة عن ذلك فيما بعد)

النموذج الخامس:

من الروايات المعارضة للحقائق العلمية في مجال [علم الحيوان] ما روي عن أبي هريرة، أنه حدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (فقدت أمة من بني إسرائيل، لم يدر ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لا تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته)، قال أبو هريرة: حدثت بهذا الحديث كعبا، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، فقال لي ذلك مرارا، فقلت: أتقرأ التوراة؟!)[1]

وفي رواية: قال: (فقد سبط من بني إسرائيل، وذكر الفأرة، فقال: ألا ترى أنك لو أدنيت منها لبن الإبل لم تقربه، وإن قربت إليها لبن الغنم شربته)، قال: أكذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: أفأقرأ التوراة؟!.

وفي رواية، قال: (الفأرة مما مسخ، وآية ذلك أنه يوضع لها لبن اللقاح فلا تقربه، وإذا وضع لها لبن الغنم أصابت منه)،

1() رواه أحمد (2/234، رقم 7196)، والبخارى (3/1203، رقم 3129)، ومسلم (4/2294، رقم 2997) وأبو يعلى (10/420، رقم 6031)، والديلمى (3/126، رقم 4340)، وغيرهم.

قال: فقـال لـه كعب: سـمعت هـذا من رسـول اللـه ﷺ؟ قـال: (فأنزلت علي التوراة!!)

وهذا الحديث يتناقض ويتعـارض معارضـة تامـة مـع حـديث آخر، وهو ما رواه عن عبدالله قال: قالت أم حبيبـة، زوج النـبي ﷺ: (اللهم أمتعني بزوجي، رسـول اللـه ﷺ وبـأبي أبي سـفيان، وبأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: (قد سألت الله لآجـال مضـروبة، وأيام معدودات، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شـيئا قبـل حلـه،أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت اللـه أن يعيـذك من عـذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرا وأفضل)، قال: وذكــرت عنـده القـردة. قـال مسـعر: وأراه قـال: والخنـازير من مسـخ. فقال: (إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً. وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك)[1]

ومن البديهيات عند العلماء جميعا، أنه لا يقع التعـارض بين الأخبار؛ لأنه لو تعارض خبران كان أحـدهما كـذباً لا محالـة، كمـا صرح بذلك الطيب الطبري في قوله: (كل خبرين عُلِم أن النبي ﷺ تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهراهما متعارضين... لأنه يوجب كـون أحـدهما صـدقاً والآخـر كذباً إن كانا خبرين؛ والنبي ﷺ منزَّه عن ذلك، ومعصـوم باتفـاق كلِّ مثبت للنبوة)[2]

ومثلـه قـال ابن قدامـة في [روضـة النـاظر]، وهـو كتـاب معتمـد عنـد الكثـير من السـلفيين: (اعلم أن التعـارض هـو التناقض؛ ولا يجوز ذلك في خبرين؛ لأن خبر الله تعالى ورسـوله ﷺ لا يكـون كـذباً؛ فـإن وُجِـدَ ذلـك في حكمين، فإمـا أن يكـون أحدهما كذباً من الـراوي، أو يكـون الجمـع بينهمـا بالتنزيـل على حالين، أو في زمانين، أو يكون أحدهما منسوخاً)[3]

وللأسف؛ فإن بعض الذين ردوا الحـديث لم يـردوه بسـبب خطـأ الـراوي أو كذبـه وتدليسـه، وإنمـا اعتـبروا المخطئ في الحديث ليس أبا هريرة، وإنما رسول الله ﷺ نفسـه.. ذلـك أنهم كما يذكرون: اجتهد في ذلك، ولم يقل عن علم أو وحي..

وقد عـبر عن هـذا المعـنى الشـيخ عبـد العزيـز الـراجحي، فقال ـ تعليقا على الحديث ـ: (يعني: أن الفـأر مسـخ، لأمـة من

1() فتح الباري 353/6.

2() الكفاية في علم الرواية: ص 606.

3() روضة الناظر: (2/208)

بني إسرائيل مسخوا فأرا، وهذا قاله النبي ﷺ بظنه واجتهاده، حيث قال: ولا أراها أي: أظنها. وهذا قاله قبل أن يوحى إليه أن الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام، وإنما مسخ بنو إسرائيل قردة وخنازير ثم لم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام كما قال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أما الفأر فهو أمة من الأمم، وكذا القردة أمة، وكذا الخنازير والكلاب أمة، أما الممسوخون فإنهم لم يكن لهم نسل ولا عقب، بل ماتوا بعد ثلاثة أيام)[1]

وقبله قال ابن حجر: (وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال أن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك وعلى هذا يحمل قوله ﷺ لا أراها إلا الفأر وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي) [2]

وهذا التعليل المشوه لرسول الله ﷺ عجيب جدا، لأنه يتناقض مع كل تلك القيم التي دعا إليها القرآن الكريم، وقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.

وأولها تناقضه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]

ويتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4]

ويتناقض مع كل تلك الأحاديث الصحيحة المتواترة، التي سبق ذكرها، والتي تبين أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقا، ومنها قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو، قال: قلت: يا رسول الله، إنى أسمع منك أشياء أفأكتبها؟ قال: نعم. قلت: فى الغضب والرضا؟ قال: (نعم، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا)[3]

ومن الأحاديث التي ترتبط بعالم الحيوان ما حدث به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (صوت الديك وضربه بجناحه ركوعه وسجوده)[4]

ومنها ذلك الحديث الذي يستشهدون به في بيان فضائل

1() انظر موقعه على النت.

2() فتح الباري 353/6.

3() هذا الحديث ورواياته التالية في: أحمد (2/162) (6510) و(2/192) (6802) والدارمي (490) وأبو داود (3646)، وابن خزيمة (2280)، وغيرهم.

4() العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (5/ 1760)

أبي بكر وعمر، ونصه كما يرويه أبو هريرة، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: بينا رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنا خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله! بقرة تكلم؟ فقال: إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم، ثم قال ﷺ: (بينما راع في غنمه، عدا الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال [له]: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: (فإني أومن به، وأبو بكر وعمر)، وما ثم أبو بكر وعمر[1].

والحديث واضح في كونه من الأحاديث التي تقرب بها أبو هريرة لبني أمية الذين اهتموا بالرفع من شأن أبي بكر وعمر على حساب باقي الصحابة السابقين.

ولا يدري رواة هذا الحديث والمدافعون عنه أنهم بتأييدهم ونشرهم له، يتهمون باقي الصحابة في التوقف عما يخبرهم به رسول الله ﷺ من أخبار الغيب.. فهل يمكن لمثل بلال وعمار وخباب وأبي ذر وغيرهم من الذين أوذوا في الله أن ينكروا شيئا قاله رسول الله ﷺ خاصة مع هذا الأمر البسيط، وهم يعلمون أن قدرة الله لا يحدها شيء.

النموذج السادس:

من الروايات المعارضة للحقائق العلمية في الفلك والجيولوجيا وعلوم الحياة وغيرها من العلوم ما روي عن أبي هريرة، أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[2]

ومع كون الحديث رواه مسلم في صحيحه، ومع كون أبي هريرة يقول فيه: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي) إلا أن الكثير

1() رواه البخاري 7 /ـ 42 في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم رقم (2388) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، والترمذي رقم (3681) و(3696) في المناقب، باب مناقب أبي بكر، وباب مناقب عمر بن الخطاب.

2() مسلم (2789)

يؤكدون أن الحديث ليس مرفوعا لرسول الله ﷺ، وإنما هو موقوف على أبي هريرة، وأنا أبا هريرة بدل أن يقول: أخذ كعب الأحبار بيدي، قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي.

والسبب في إنكارهم لرفع الحديث هو كونه متعارضا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، بينما هذا الحديث يجعل الأيام سبعة.

وليتهم طبقوا هذه القاعدة مع سائر أحاديثه.. وليتهم طبقوها مع جميع أحاديث رسول الله ﷺ التي تتعارض مع القرآن الكريم.

وأنا موقن تماما أنه لولا تشكيك البخاري في الحديث لما تجرأ أحد منهم على التشكيك.. بل إنهم سيحاولون حينها، وبكل صنوف الحيل الجمع بينه وبين الآيات الكريمة، وإذا اضطروا إلى التكذيب، فإنهم سيكذبون رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه أخطأ في اجتهاده، مثلما فعلوا مع حديث الفأر.

والعجب ليس في هذا كله، وإنما في بعض ردود السلفية المعاصرين على مقتضيات الحديث التي تتنافى مع كل ما اكتشفه العلم الحديث في شأن مراحل الخلق؛ فقد قال مجيبا على إشكال حول ذلك: (إذا لم يثبت أن هذا الحديث قد قاله الرسول ﷺ فلا ننشغل بكلام الملحدين عليه، لأن الجدال إنما يكون في شيء قد ثبت أنه من الدين، وهذا الحديث ليس كذلك.. وعلى افتراض صحته وثبوته: فخلق الشجر يوم الاثنين لا ينافي خلق النور يوم الأربعاء، ومن زعم أنه ينافيه لاحتياج الشجر إلى النور للنمو فقوله غير صحيح، لما يأتي: أن هذا خلق الله، يخلق ما يشاء، فلا تحكمه قوانين الطبيعة لأنه سبحانه على كل شيء قدير، وقد خلق هذا الخلق الهائل من العدم، وهذا خلاف على خلاف ما يعهده الناس ويعلمونه.. وهذه القوانين التي تحكم الكون والمخلوقات كلها، الذي جعلها قوانين ثابتة مطردة هو الله تعالى، فإذا أراد أن يفعل شيئا خلاف هذه القوانين فمشيئته تعالى نافذة لا يقف أمامها شيء، وقد فعل الله تعالى ذلك، علمناه وعلمه الناس.. وأيضا لا يمكن - عن طريق العلم الحديث أو غيره - إثبات أن أول الخلق كانت تحكمه القوانين التي يعرفها الناس لأن كل هذه المخلوقات؛ السموات والأرض والجبال والبحار والبشر والحيوانات

والنباتات... إلخ، كل ذلك قد وجد من عدم، فلم يمر بمراحل خاضعة لقوانين معينة حتى وجد على هذه الصورة)[1]

وهكذا نراهم يحاربون العلم ومكتشفاته، ويدافعون حتى على ما ثبت لديهم بالدليل القاطع أنه من الإسرائيليات المكذوبة.. وهل هناك جهل مركب أكثر من هذا؟

2. ما ورد في المصادر الشيعية:

وهي أحاديث كثيرة، وربما لا تقل في كثرتها عن نظيراتها في المصادر السنية، وسنعرض لها في محالها المناسبة من هذه السلسلة، وهي لاتعارض فقط القرآن الكريم، وإنما تعارض الأحاديث الكثيرة الواردة عن أئمة الهدى في الدعوة إلى العقل والحكمة، وعدم الجري وراء الخرافة والغرائب والأوهام، كما عبر عن ذلك الإمام علي بقوله: (أصل الإنسان لبّه، وعقله دينه، ومروته حيث يجعل نفسه، والأيام دول، والناس إلى آدم شرع سواء)[2]

وقال: (ليس الرؤية مع الأبصار، وقد تكذب العيون أهلها، ولا يغشّ العقل مَن انتصحه)[3]

وقال: (الجمال في اللسان، والكمال في العقل، ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه)[4]

وقال: (العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء)[5]

وقال الإمام الصادق: (دعامة الإنسان العقل، ومن العقل: الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم.. فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالما حافظا زكيا فطنا فهما، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصّره ومفتاح أمره)[6]

وغيرها من النصوص الكثيرة التي سنعرض لها في محلها الخاص من هذه السلسلة.

ونحب أن ننبه هنا إلى أن كل تلك الأحاديث الواردة في

1() انظر موقع: الإسلام سؤال وجواب، للشيخ محمد الصالح المنجد، سؤال: كيف خلق الله الشجر قبل أن يخلق النور، مع أن الشجر يحتاج إلى النور لنموه؟

2() بحار الأنوار: 1/82، وأمالي الصدوق.

3() بحار الأنوار: 1/95، ونهج البلاغة.

4() بحار الأنوار: 1/96، وكنز الكراجكي.

5() بحار الأنوار: 1/96).

6() بحار الأنوار: 1/90، والعلل.

المصـادر الحديثيـة الشـيعية من وضـع الغلاة الـذين حـذر منهم الأئمــة، لكن روايــاتهم للأســف لا تــزال في دواوين الحــديث، ليستعملها الأعداء وسيلة، لا لتشويه من يدعي النسـبة والولايـة لأئمة الهدى فقط، وإنما تشويه الأئمة أنفسهم.

ومن تلــك الأحــاديث في التحــذير من الغلاة قــول الإمــام الصـادق: (اتقـوا اللـه وعظّمـوا اللـه وعظّمـوا رسـوله ﷺ، ولا تفضّلوا على رسول الله ﷺ أحـداً، فـإنّ اللـه تبـارك وتعـالى قـد فضّله، وأحبّوا أهل بيت نبيكم حبّاً مقتصداً، ولا تغلـوا ولا تفرّقـوا ولا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم وقلنا متّم ومتّنـا، ثم بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم)[1]

وقال:(إنـا أهـل بيت صـدّيقون، لا نخلـو من كـذّاب يكـذب علينا ويُسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس.. كـان رسـول اللـه ﷺ أصدق الناس لهجةً وأصدق البرية كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان الإمـام علي أصـدق مَن بـرأ اللـه بعـد رسـول اللـه، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكـذيب صـدقه ويفـتري على الله الكذب عبدُ الله بن سبأ)[2]

وعن أبي هاشم الجعفري قـال: سـألت الإمـام الرضـا عن الغلاة والمفوضة، فقال: (الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شـاربهم أو واصـلهم أوزوجهم أو تزوج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانـة أو صـدق حـديثهم أو أعـانهم بشـطر كلمـة خـرج من ولايـة اللـه عزوجـل وولايـة الرسول ﷺ وولايتنا أهل البيت)[3]

وعن إبراهيم بن أبي محمود أنه قال للإمـام الرضـا: يـا بن رسول الله، إنّ عندنا أخباراً في فضـائل الإمـام علي، وفضـلكم أهل الـبيت، وهي من روايـة مخـالفيكم ولا نعـرف مثلهـا عنكم، أفندين بها؟، فقـال: (يـا ابن أبي محمـود، لقـد أخـبرني أبي عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ﷺ قال: من أصغى إلى ناطق فقـد عبده، فإن كان الناطق عن الله عـزّ وجـلّ فقـد عبـدَ اللـه، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبـد إبليس)، ثم قـال: (يـا ابن أبي محمود، إنّ مخالفينا وضـعوا أخبـاراً في فضـائلنا وجعلوهـا على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصـير في أمرنـا، وثالثهـا:

1() بحار الأنوار: 25/269، وقرب الإسناد ص61 .
2() بحار الأنوار: 25/287، والكشي ص71 .
3() بحار الأنوار (25/ 273)، عيون الاخبار: 326..

التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].. يا بن أبي محمود، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا، فإنه من لزمَنا لزمْناه، ومن فارقَنا فارقْناه، إنّ أدنى ما يُخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة، ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه.. يا بن أبي محمود، احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة)[1]

بناء على هذا سنذكر هنا نماذج من تلك الأحاديث المردودة.

النموذج الأول:

وهو ما ورد من الروايات في المصادر الشيعية حول عرض ولاية أهل البيت على النبات والجمادات والحيوانات، وهو ما اتخذه الكثير من دعاة الفتنة وسيلة لتشويه أئمة الهدى ومواليهم على الرغم من رد كبار علماء الشيعة على تلك الأحاديث وبيان عدم اعتبارها سندا ومتنا[2].

ومن تلك الروايات ما ورد في الجبال والأحجار الكريمة والمياه، ومنها ما روي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ وأنه قال لعلي: يا علي تختم باليمين تكن من المقربين قال: يا رسول الله ومن المقربون ؟ قال: جبرئيل وميكائيل، قال: بما أتختم يا رسول الله ؟ قال: بالعقيق الأحمر فإنّه أقرّ لله عز وجل بالوحدانية ولي بالنبوة ولك يا علي بالوصية ولولدك بالإمامة ولمحبيك بالجنة ولشيعة ولدك بالفردوس[3].

ومنها ما روي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (تختموا بالعقيق، فإنّه أوّل جبلٍ أقرّ لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولك يا علي بالوصية) [4]

ومنها ما روي عن الإمام الرضا في خبر طويل في فضل

1() بحار الأنوار: 25/278، والاحتجاج ص242، تفسير الإمام ص18 .

2() انظر مقالا بعنوان: عرض ولاية أهل البيت على الحيوانات والخضروات، الشيخ حسين الخشن، وهو الذي اعتمدنا عليه في الشواهد المذكورة.

3() علل الشرائع ج 1 ص 158..

4() عيون أخبار الرضا (ع) ج 2 ص 75، نقلها المجلسي في بحار الأنوار ج 27 ص 280.وما بعدها.

يوم الغدير، وأنه قال: (وفي يوم الغدير عرض الله الولايــة على أهل السماوات السبع، فسبق إليها أهل السماء الســابعة فــزين بها العرش ثم سـبق إليهـا أهـل السـماء الرابعـة فزينهـا بـالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزينهـا بـالكواكب، ثم عرضـها على الأرضـين فسـبقت إليهـا مكـة فزينهـا بالكعبـة، ثم سبقت إليها المدينـة فزينهـا بالمصـطفى محمـد ﷺ، ثم سـبقت إليها الكوفة فزينها بأمير المؤمنين وعرضـها على الجبـال فـأول جبل أقر بذلك ثلاثة أجبال: العقيق وجبل الفيروز وجبل الياقوت فصارت هـذه الجبـال جبـالهن وأفضـل الجـواهر، وسـبقت إليهـا جبال أخر فصارت معادن الذهب والفضة وما لم يقر بــذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئا وعرضت في ذلـك اليـوم على الميـاه فما قبل منها صار عذبا، وما أنكر صار ملحا أجاجا، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلـوا طيبـا، ومـا لم يقبـل صار مرا، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فمـا قبلهـا صـار فصيحا مصوتا وما أنكرها صار أحر ألكن) [1]

ومنهـا مـا ورد في الفواكـه والخضـار والنبـات، ومن تلـك الروايات مـا روي أن الإمـام علي أخـذ بطيخـة ليأكلهـا فوجـدها مرة فرمى بها وقال: بعداً وسحقاً، فقيل: يا أمير المؤمنين ومــا هـذه البطيخـة؟ فقـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (إنّ اللـه تبـارك وتعالى أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبت، فما قبل الميثـاق كان عذباً طيباً، وما لم يقبل الميثاق كان مالحاً زعاقاً) [2]

ومنها ما روي مرفوعا إلى رسول اللـه ﷺ أنـه قـال: (حبـة أقرت لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولأخي علي بالوصية، ولأمتي الموحدين بالجنة: الأرز)[3]

ومنها ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (كلـوا الباذنجـان فإنّهـا شـجرة رأيتهـا في جنـة المـأوى، شـهدت للـه بـالحق، ولي بـالنبوة، ولعلي بالولايـة، فمن أكلهـا على أنهـا داء كانت داء، ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء)[4]

ومنها ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (إن لبـني أميـة من البقول الجرجير)[5]

1() بحار الأنوار ج 27 ص 262.

2() بحار الأنوار ج 27 ص 281، الاختصاص ص 249..

3() الدعوات ص 149.

4() فردوس الاخبار: 3 / 244 ح 4720. .

5() المحاسن ج 2 ص 518..

ومنها ما ورد في كون الوزغ من أعـداء الإمـام علي، فقـد حـدث بعض الغلاة قـال: كـان رجـل عنـد أبي جعفـر من هـذه العصابة يحادثه في شيء من ذكر عثمـان، فـإذا وزغ قـد قرقـر من فوق الحائط، فقال أبو جعفـر: أتـدري مـا يقـول ؟ قلت: لا، قال: يقول: (لتكفن عن ذكر عثمان أو لأسبّن علياً)[1]

ومنها ما روي في الأيـام المعاديـة لأهـل الـبيت، ومنهـا مـا روي عن الإمام البـاقر أنـه حـدث حـديثاً طـويلاً جـاء فيـه: (أمـا العصافير فإنهم موالي عمر لأنهم منـه، وأمّـا القنـابر فـإنهم من موالينا أهـل الـبيت، وإنهم يقولـون في صـفيرهم: بـوركتم أهـل البيت وبوركت شيعتكم ولعن الله أعداءكم، ثم قال: عادانــا من كل شئ حتى من الطيور الفاختة ومن الأيام أربعاء)[2]

وقد رد الشيخ حسين الخشن على هـذه الروايـات، بوجـوه كثيرة نلخصها فيما يلي[3]:

أولاً: أن بيان فضل الولي ومكانة الولايـة إنّمـا يهـدف إلى تعزيــز ارتبــاط النــاس بــه وإقامــة الحجــة عليهم أو إقنــاعهم بمشروعهم، وعليه، فاللازم في بيـان فضـل النـبي ﷺ أو الـولي اعتمـاد طريــق مقنـع للنـاس ولـو كـان طريقـاً إعجازيـاً، وليس اعتماد طريق لا يمكن التثبت منه، بل أقل ما يقال فيه إنّه مثـير للجدل ومستغرب أو مستنكر لدى الكثير من الناس وربما يزيــد شكوكهم وريبتهم ولا يتفهمونه، كما هو الحال في دعوى عــرض الولايـة على النباتـات والجمـادات والحيوانـات، وانقسـامها إلى موالٍ لأهل البيت ومعادٍ لهم.

ثانيا: أنّ من ذكـر هـذه الروايـات بهـدف إثبـات الولايـة التكوينية وشمولها لكل ذلـك، لا ينسـجم مـع مـا رووه، ذلـك أنّ الولاية التكوينية ــ على فـرض ثبوتهـا وغض النظـر عمـا سُـجّل عليهـا من مناقشـات ــ لا يتوقـف جعلهـا على إذنٍ وقبـول من جُعلت عليه الولاية حتى يتجه القـول في الروايـة بأنّهـا عُرضـت على هذه المخلوقات وطلبت موافقتهم.. أي أن القائل بالولايــة التكوينية يعتبر أنّ المخلوقات مقهورة تكوينًا لإرادة الــولي، ولم يؤخذ إذنها في ذلك، بينما الذي يستفاد من روايات العرض، هــو استئذان الكائنات وطلب موافقتها.

1() بحار الأنوار ج 27 ص، الحديث 267. .
2() بحار الأنوار ج 27 ص 272.
3() عرض ولاية أهل البيت على الحيوانات والخضروات، الشيخ حسين الخشن.

ثالثا: أنه مع كون القرآن الكريم يشير إلى أنّ للمخلوقات نوعًا من التعقل والإحساس، كما يدل على ذلك تسبيحها لله تعالى، إلا أن هذا لا يبرر عرض الولاية عليها وطلب إقرارها بذلك.. وما الغرض من عرضٍ كهذا؟ هل الغرض هو إدانتها في حال تمرّدها؟ وهل يمكن لها أن تملك إرادة التمرّد أساسًا؟

ومن الواضح أنّه لا معنى للإدانة هنا، لأنّه لا معنى للتمرد، بل ولا معنى للتكليف أساساً، فالعجماوات والجمادات والنباتات تقع خارج دائرة الخطاب والتكليف الإلهي، ولو كان لهذه المخلوقات إرادة الفعل أو الترك لكان ثمّة وجه لتكليفها، لكنها في الواقع مجبرة على سلوك معيّن لا تحيد عنه أبداً، ولا تعرف التمرّد عليه، ولو كانت مكلّفة وأمكن لها تمرّد لكان اللازم محاسبتها ثواباً أو عقاباً.

رابعا: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب 7] يقدم توصيفاً لواقع الحال، وهو أنّ هذه الكائنات غير مؤهلّة ذاتياً لحمل الأمانة الإلهيّة، لا أنّ ثمّة طلباً إلهياً حقيقياً توجّه إليها بطلب حمل الأمانة، وهي بدورها ردت بالرفض وأعلنت العجز، وهي لا تدلّ على المطلوب، لأنّ السماوات والأرض بحسب نص الآية أعلنت عن عدم لياقتها لتحمل الأمانة الإلهية، لا أنّها تمرّدت عن حملها أو انقسمت بين مقرٍ ورافض.

خامسا: أن هذه الروايات جميعا ضعيفة من حيث أسانيدها[1]، بالإضافة إلى أن بعضها منقول من المصادر

1() ومن الأمثلة على ذلك أن الرواية الأولى (رواية علل الشرائع) سندها كله مجاهيل، فعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، هو شيخ الصدوق ولا ترجمة له في كتب الرجال، ومنصور بن عبد الله بن إبراهيم الأصفهاني، لا ترجمة له في الرجالية، انظر: مستدركات علم الرجال ج 7 ص 510، علي بن عبد الله الأسكندراني أيضا مجهول ولا ترجمة له، انظر: مستدركات علم الرجال ج 5 ص 400، والعباس بن العباس القانعي مجهول ولا توثيق له، انظر مستدركات علم الرجال ج 4 ص 347، وسعيد الكندي مجهول ولا توثيق له، انظر: مستدركات في علم الرجال ج 4 ص 75، وعبد الله بن حازم الخزاعي، وإبراهيم بن موسى الجهني، لم يترجموه، انظر: مستدركات علم الرجال ج 1 ص 212.

وأما الرواية الثانية فسندها أيضا ضعيف، فمحمد بن أحمد بن الحسين بن يوسف البغدادي الوراق، رجل مجهول ولا ترجمة له في تراجم الرجال مع أنه شيخ الصدوق، انظر: مستدركات علم الرجال ج 7 ص 65، وأما علي بن محمد بن عنبسة مولى الرشيد فهو مجهول ولم يذكروه، انظر: مستدركات علم الرجال ج 5 ص 463، وقال: النمازي:

السنية، مثل حديث الباذنجان وشهادته لله تعالى ولرسوله ﷺ ولعلي، هو حديث لا يصح من جهة السند، ولم يرد في المصادر الحديثية الشيعية من الدرجة الأولى بل ولا الثانية، فلا يوجد في الكتب الأربعة، ولا في كتب الشيخ الصدوق، وإنما رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق، وكذلك ابن شهر اشوب نقلاً عن كتاب الفردوس للديلمي؛ وسند الرواية هو من أسانيد المدرسة السنية، وكذلك الديلمي مؤلف الكتاب هو من علماء السنة، ثم تسرّب الحديث إلى بعض الكتب الحديثية المتأخرة كالبحار وغيره، ولهذا أدرجه بعض أعلام السنة في عداد الأحاديث الموضوعة والباطلة، منهم الفتني في كتاب تذكرة الموضوعات، والعجلوني في كشف الخفاء وغيرهم[1] ، بل إن بعض علماء السنة وهو الحافظ إبراهيم بن محمد الناجي الشافعي (تـ 900 هـ) ألّف كتابًا بعنوان [قلائد المرجان في الحديث الوارد كذبًا في الباذنجان]

النموذج الثاني:

وهو في حديث اشتهر في وسائل الإعلام، واستخدمه الملاحدة والحداثيون وغيرهم للسخرية من الإسلام ورسول الله ﷺ، كما استخدمه الطائفيون للسخرية من الشيعة، مع أنه موجود في مصادر الفريقين: السنة والشيعة، ولو أنهم كانوا صادقين في مواجهة الفتن، وحريصين على عدم تسلل الشبه إلى دينهم أو نبيهم ﷺ لردوا على كلا المصدرين، ولم يكتفوا بالإشهار به، والدلالة عليه، لرمي خصومهم.

وبما أن المحل هنا محل ذكر النماذج في المصادر الشيعية؛ فقد ورد الحديث فيها مرويا عن الإمام علي أنه قال: (إن أول شيء من الدواب توفي هو عفير حمار رسول الله ﷺ، توفي ساعة قبض رسول الله ﷺ، قطع خطامه ثم مر يركض

(ولعله متحد مع علي بن محمد بن جعفر بن عنبسة المعدود من الضعفاء له كتاب الكامل وهو راوي كتب دارم، انظر: مستدركات علم الرجال ج 5 ص 440، والقاسم بن محمد بن العباس العلوي، هو رجل مجهول أيضا، انظر: مستدركات علم الرجال ج 6 ص 259، وأما دارم بن قبيصة النهشلي فهو رجل معروف وترجم له النجاشي ولم يوثقه، انظر: رجال النجاشي ص 162، بل قال ابن الغضائري: (لا يؤنس بحديثه، ولا يوثق به)، انظر: رجال ابن الغضائري ص 58.

وأما الرواية الثالثة فهي رواية ابن طاووس فهي ضعيفة.. وهكذا سائر الروايات التي ذكرناها.

1() وممن رماه بالوضع أبو الحسن علي بن محمد الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ص 2 ص 238 الحديث 11.

حتى أتى بئر بني خطمة بقباء فرمى بنفسه فيها فكانت قــبره.. إن ذلك الحمار كلم رسول الله ﷺ، فقـال: بـأبي أنت وأمي، إن أبي حـدثني عن أبيـه عن جـده عن أبيـه أنـه كـان مـع نـوح في السفينة فقام إليـه نـوح فمسـح على كفلـه ثم قـال: يخـرج من صـلب هـذا الحمـار يركبـه سـيد النبـيين وخـاتمهم، قـال عفـير: فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار) [1]

ومن الصيغ التي ورد بها الحديث في المصـادر السـنية عن أبي منظـور قـال: لمـا فتح اللـه على نبيـه ﷺ خيـبر؛ أصـابه من سهمه أربعـة أزواج نعـال، وأربعـة أزواج خفـاف، وعشـر أواقي ذهب وفضة، وحمارٌ أسودٌ. قـال: فكلم النـبي ﷺ الحمـار، فقـال له: ما اسمك ؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جـدي ستين حمارا، كلهم لم يركبهم إلا نبي، ولم يبق من نسـل جـدي غيري، ولا من الأنبياء غـيرك، أتوقعـك أن تركبـني، وكنت قبلـك لرجـل من اليهـود، وكنت أعـثر بـه عمـدا، وكـان يجيـع بطـني ويضرب ظهري، فقال له النبي ﷺ: قد سميتك يعفورا، يا يعفـور قال: لبيك. قال: أتشتهي الإناث ؟ قال: لا، وكان النبي ﷺ يركبه في حاجته؛ فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل، فيـأتي البـاب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار؛ أومـأ إليـه أن أجب رسول الله ﷺ. قال: فلمـا قبض النـبي ﷺ؛ جـاء إلى بـئر كـانت لأبي الهيثم بن التيهان؛ فتردى فيها، فصـارت قـبره؛ جزعـا منـه على رسول الله ﷺ)[2]

وقد قال فيه محقق كتاب (مرآة العقول) ـ وهــو من أعلام محــدثي الشــيعة ومحققيهم ــ في هــامش تعليقــه على هــذه الرواية: (ولا يتعقـل معـنى صـحيح لهـذه المرسـلة تحمـل عليـه ولعلها مما وضعه الزنادقة استهزاءاً بالمحدثين السذج كمـا أنهم وضعوا كثيراً من الاحاديث لتشويه الدين)[3]

ومثـل ذلـك رد عليـه كبـار أعلام المحـدثين من المدرسـة السنية، فقد أورده ابنُ حبان في (المجـروحين)، وقـال فيـه: (لا أصـل لهـذا الحـديثِ، وإسـنادهُ ليس بشـيءٍ.ولا يجـوزُ الاحتجـاجُ بمحمدِ بنِ مَزْيَد) [4]

1() الكافي 1/184، بحار الأنوار: 17/405.
2() الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 1/314، تاريخ مدينة دمشق: 4/232.
3() راجع مرآة العقول: 3/ 53.
4() ابنُ حبان في المجروحين (2/328)

كمــا رواه ابنُ الجــوزي في الموضــوعات، وبــوب عليــه بقولـه : (بـابُ تكليم حمـارهِ يعفـور)، وقـال فيـه: (هـذا حـديثٌ موضوعٌ فلعن اللهُ واضعهُ، فإنه لم يقصد إلا القدحَ في الإسلامِ، والاستهزاءَ به) [5]

وتمنينا لو أن من قام بالإشهار المجاني لهذا الحـديث ذكـر أقـوال هـؤلاء العلمـاء من المدرسـتين، حـتى ينبـه إلى أنـه من الخرافـات الـتي تسـللت للمصـادر الإسـلامية، لا أن يضـرب بـه طائفة من طوائـف المسـلمين، وهـو في الحقيقـة لا يضـرب إلا الإسلام، ذلـك أن الأعـداء لا يفرقـون بين السـنة والشـيعة، بـل حربهم موجهة للإسلام نفسه.

5() الموضوعات (555)

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب ـ كسائر أجزاء السلسلة ـ التمييز بين الأحاديث التي تتوافق وتتناسب مع المعاني والحقائق القرآنية، وغيرها من الأحاديث التي استعملت وسيلة لضربها وتشويهها وتحريفها، سواء ما ورد من ذلك في المصادر السنية أو الشيعية.

هو يقتصر على الأحاديث المرتبطة بمنابع الهداية الكبرى، والتي نص عليها قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 44]

وهي تشير إلى أن رسول الله ﷺ كلف بوظيفتين مرتبطتين بالهداية: إحداهما نقل الوحي الإلهي كما أنزل إليه إلى أمته، والثانية بيانه وتوضيحه وشرح كيفية تنفيذه.

وبذلك، فإن الأحاديث الواردة في هذا الباب في المصادر الحديثية المختلفة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

أولهما: الأحاديث الواردة في فضل القرآن الكريم، وبيان ضرورة اتباعه، وأنه لا يمكن التحقق بالإسلام إلا من خلاله.

ثانيهما: الأحاديث الواردة في فضل السنة المطهرة، وأنها لا تقل عن القرآن الكريم من حيث وجوب الاتباع، ولو أنها تليه عند التنازع.

وقد خصصنا كل صنف بفصل خاص، جمعنا فيه نوعين من الأحاديث:

1. الأحاديث المقبولة لموافقتها للقرآن الكريم.
2. الأحاديث المردودة لمعارضتها له، مع بيان سبب المعارضة.